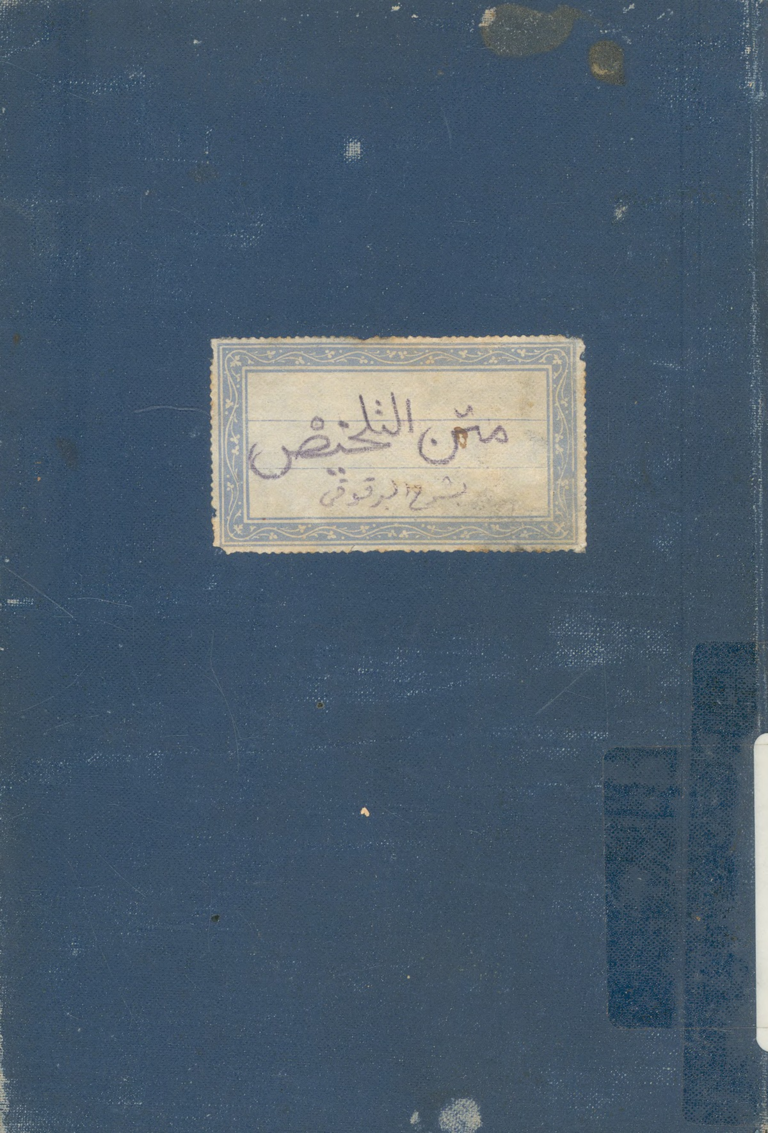
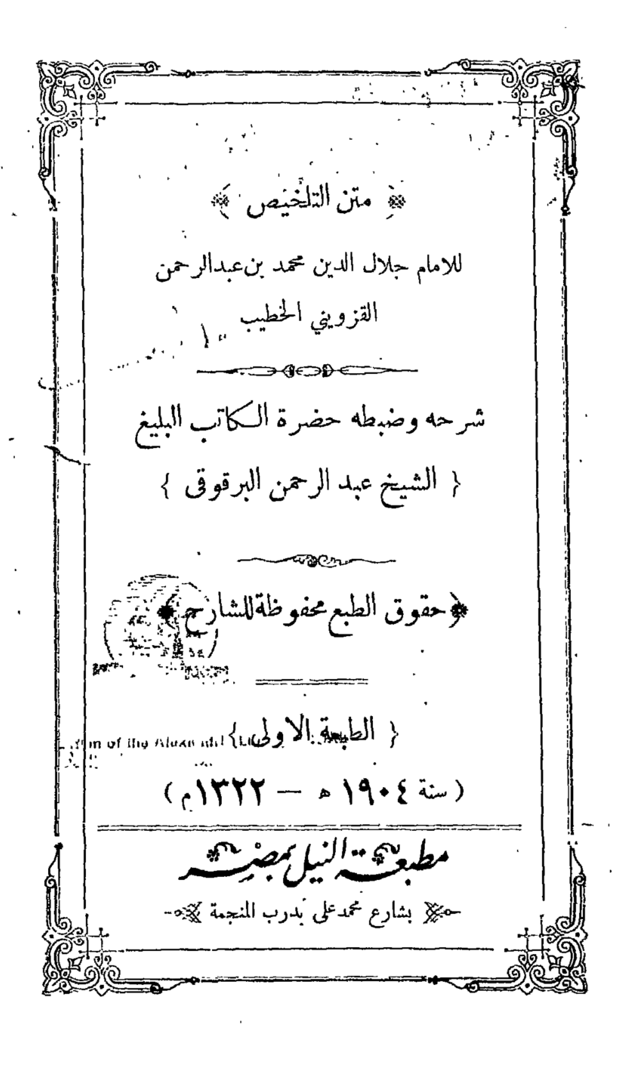

متن التلخيص
بشرح البرقوقي



متن التلخيص

للامام جلال الدين محمد بن عبدالرحمن
القزويني الخطيب

شرحه وضبطه حضرة الكاتب البليغ
{ الشيخ عبد الرحمن البرقوقي }

{ الطبعة الاولى }

(سنة ١٩٠٤ هـ — ١٣٢٢م)

مطبعة النيل بمصر

بشارع محمد على بدرب المنجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ على ما أنعمْ وعلَّمَ مِنَ البيَانِ ما لم نَعلَمْ * والصلاةُ والسَّلامُ على سيّدِنا محمَّدٍ خيْرِ مَنْ نَطقَ بالصَّوابِ وأَفْضلِ مَنْ أُوتيَ الحِكمةَ (١) وفَصلَ الخِطابِ وعلى آلهِ الاطهارِ وصَحابَتِهِ الاخيارِ ، أما بعدُ فلمَّا كانَ علمُ البلاغةِ وتوابعِها من أجلّ العلومِ قدراً * وأدَقّها سرًّا إذْ به تُعْرَفُ دقائقُ العربيةِ وأسرارُها وتُكشَفُ عن وجوهِ الإعجازِ في نَظمِ القرآنِ أستارُها ، وكان القِسمُ الثالثُ من مِفتاحِ العلومِ الذي صنَّفه الفاضلُ العلاَّمةُ أبو يعقوبَ يوسفُ السَّكاَّكيُّ أعظمَ ما صُنّفَ فيه من الكُتُبِ المشهورةِ نفعاً لكونهِ أحسنَها ترتيباً وأتمَّها تحريراً

(١) الحكمة كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب الكلام البين الذي ينبه المخاطب الى المقصود من غير التباس او الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل

وأكثرَها للاصول جمعاً ولكن كان غيرَ مَصُونٍ عن الحَشْو والتطويلِ والتَّعقيدِ قابلاً للاختصارِ ومُفْتقِرًا الى الايضاحِ والتَّجريدِ أَلَّفتُ مختصَرًا يتضمن ما فيه من القواعدِ ويشتملُ على مايُحتاج اليه من الأَمثلةِ والشواهدِ ولَم آلُ جَهْدًا [1] في تحقيقه وتهذيبِه ورتَّبتُه ترتيباً أقربَ تناوُلاً من ترتيبه ولم أُبالغْ في اختصارِ لفظه تقريباً لِتعاطيهِ وطاباً لتسهيلِ فهمِه على طالبيه وأضفْتُ الى ذلك فوائدَ عثَرْتُ في بعضِ كتبِ القومِ عليها وزوائدَ لم أظفرَ في كلام أحدٍ بالتصريح بها ولا الاشارةِ اليها { وسميتُه تلخيصَ المِفتاح } وأنا أسألُ اللهَ تعالى من فضله أن ينفعَ به كما نفعَ بأصله إِنَّه وليُّ ذلك وهُو حَسْبي ونِعمَ الوكيل

(١) الأَلْو التقصير واصله ان يعدي بالحرف بيد انه ضمن معني المنع فصار المعني لم امنعك اجتهادا



مقدمة

﴿ الفصاحةُ ﴾ يوصفُ بها المفردُ والكلامُ والمتكلِّمُ « والبلاغة » يوصَفُ بها الاخيرانِ فقطْ فالفصاحةُ في المفردِ خُلوصهُ من تنافرِ الحروفِ والغرابةِ ومخالفةِ القياسِ فالتَّنافرُ نحوُ * غَدَائِرُه مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلى *

(الفصاحة) ان للبيانيين فى الفصاحة والبلاغة أقوالا مضطربة وآراء متباينة وهذا حديث فيهما يثلج الصدران شاء الله •• الفصاحة وضعها العرب لمعان تشف عن الظهور والابانة يقولون فصح اللبن وأفصح اذا أخذت رغوته وأفصح الصبح اذا بدا ضوءه • وفيه المثل أفصح الصبح لذي عينين • وأفصح الاعجمى بالعربية وفصح لسانه بها خلصت لغته من اللكنة وهذا يوم مفصح وفصح لاغيم فيه ولا قر • ومن هنا أطبق علماء البيان على أن الكلام الفصيح ما كان سهل اللفظ واضح المعنى جيد السبك متلائم الحروف غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا مما نبذته العرب وعدلت عن ألفاظه البلغاء •• أو ما كان بنجوة من تنافر الحروف وغرابة الالفاظ ومخالفة ما ثبت عن الواضع وتنافر الكلمات والتعقيد فى النظم والمعنى ومخالفة القانون النحوى •• أما تنافر الحروف فهو وصف في الكلمة ينجم عنه ثقل مخماها على اللسان•

والغرابةُ نحوُ * وَفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا * أيْ كالسيفِ السُّرَيجيِّ في الدِّقةِ والاستِواءِ أو كالسِّراج في البَريقِ واللَّمَعانِ والمخالفةُ نحوُ * الحمدُ للهِ العليِّ الاجْلَلِ * قيل ومِنَ الكراهةِ في السَّمْع

والحكَم في ذلك هو الاحساس الروحاني والذوق السليم الذي يثمره التحفظ لكلام العرب ومزاولة أساليب البلغاء • ومما جاء متنافراً كلمة مستشزرات في قول امرئ القيس

غدائره مستشزرات الى العلا تضل المدارى فى مثنى ومرسل

الغدائر الذوائب والضمير يرتبط بفرع فى قوله

وفرع يزين المتن أسودَ فاحم أثيثٍ كقِنْو النخلة المتعثكل

والاستشزار الارتفاع والرفع جميعاً فيكون الفعل منه تارة لازماً وأخرى متعدياً والمداري جمع مدراة وهى شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من اسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لم يكن له مشط والمثنى المفتول والمرسل ضده والمراد وفور شعرها ••• والغرابة أن يكون اللفظ حوشيا غير مألوف الاستعمال ولا ظاهر المعنى وذلك نوعان حسن لا يعاب استعماله على العربي القُح وهو في النظم أحسن منه فى النثر وذلك مثل مشمخر فانها فى قول البحتري يصف ايوان كسرى

مشمخر تعلو له شُرُفات رفعت في رؤس رَضوى وقدسِ

لا بأس بها وقبيح جاس يعاب استعماله على سائر الفصحاء وهو أن يكون مع ذلك كزّا غليظاً مثل جحيش فى قول تأبط شرا

نحوُ * كريمُ الجِرِشَّى شريفُ النسبْ *وفيه نظرٌ وفي الكلام خلوصهُ من ضَعَفِ التأليف وتنافرِ الكلماتِ والتعقيدِ معَ فصاحتِها فالضَّعفُ نحوُ ضَرَبَ غلامهُ زيداً والتنافرُ كقوله

يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المهالك (١)

ومثل اطلخم في قول أبي تمام

قد قلت لما اطلخم الامر وانبعثت عشواء تالية غبساً دهاريسا (٢)

ومثل جفخ في قول المتنبي

جفخت وهم لايجفخون بهابهم شيم على الحسب الاغر دلائل (٣)

ومن هنا كان قول بعضهم • ان الكلام الفصيح ماكان في الفاظه عنجهية الغرابة وبعُد عن الافئدة الاحاطة بمعناه وعز على الافهام ادراكه •• جهلا بمحاسن الفصاحة وأوضاع البلاغة • قال الجاحظ • وهو ما هو رأيت الناس يديرون في كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مراراً فقال لهيحي • آإن سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها (٤) • ثم قال فان كانوا قد رووا هذا الكلام

(١) الموماة المفازة الواسعة ويقال للرجل اذا كان يستبد برأيه جحيش وحده وعيير وحده وهو ذم ويقال اعرورى الفرس ركبها عرياناً وهو افعوعل مستعار هنا للمهلكة

(١) اطلخم الامر اشتد والدهاريس الدواهي

(٣) جفخ فخر وتكبر وشيم فاعل والاغر الشريف

(٤) الشكر بالفتح ويكسر الفرج وضهل فلاناً حقه كمنع نقصه

* وليس قُرْبَ قبرِ حرْبٍ قبرُ * وقولِه

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمدحْــه والورَى

مَعي واذا مالُمْتُهُ لمتــه وحدِي

لــكى يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة الفصاحة هــذا ومن الغريب الحوشى ما يحتاج الى ان يخرَّج له وجه بعيد مثل مسرجا فى قول رؤبة بن العجاج

أيام أبدت واضحاً مفلجاً أغر براقا وطرفا أبرجا

ومقلة وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسنا مسرجا

المرســن الانف .. فلا يعـلم ما أراد بقوله مسرجا حتى اختلف في تخريجه فقيل من قولهم للسيوف سريجية أي منسوبة الى قين يقال له سريج يريد انه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجي وقيل من السراج يريد انه فى البريق كالسراج وهذا يقرب من قولهم سرج وجهه بكسر الراء أي حسن وسرج الله وجهه أي بهجه وحسنه (تنبيه) كما ان تهذيب الـكلام من الغرابة شرط فى الفصاحة كذلك تهذيبه من الابتذال فينبغي للفصيح أن يجتنب السوقى المبتذل الذي أبلاه التكرار وتدلى باستعمال العامة الى الحضيض .. ومخالفة ما ثبت عن الواضع مثل الاجالل فى قول أبي النجم * الحمد لله العلى الاجلل *

القياس الاجل بالادغام ومثله قول المتنبي

فلا يبرم الامر الذي هو حالل ولا يحالل الامر الذي هو يبرم

اياه وأبطله عليه وتطلها كتمدها تمطاها والشبرحق النكاح أو النكاح نفسه

والتعقيدُ أن لا يكونَ الكلامُ ظاهرَ الدِّلالةِ على المراد لخللٍ إمّا في النظم كقول الفرزدق في خال هشام

وما مثلهُ في الناسِ إلاَّ مملَّكاً أبو أمِّهِ حيٌّ أبوه يقاربُهْ

ومخالفة القانون النحوي مثل ضرب غلامه زيدا فان رجوع الضمير الى المفعول المتأخر لفظاً ممتنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظاً ورتبة ومثل ذلك قوله

كسا حلمُه ذا الحلم أثوابَ سُودَدٍ ورقى نَداهُ ذا الندى في ذرى المجد

وتنافر الكلمات ما كان مثل قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وقول ابن بشير يرثي أحمد بن يوسف

لا أذيل الآمال بعدك اني بعدها بالآمال جِدُّ بخيلِ

كم لها موقف بباب صديق رجعت من نَداه بالتعطيل

لم يضِرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه تتبرأ من بعض • ومن ذلك بيد انه أخف مما قبله قول أبي تمام

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي واذا مالمته لمته وحدى

(وقد) أنشد خلف الاحمر فى هذا المعنى

وبعض قريض القوم أولاد عَلة يكد لسان الناطق المتحفظ

وأجود الكلام مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فكانه أفرغ افراغاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان ومثله قول

أى ليس مثلهُ في الناس حيٌّ يقاربه إلا مملكا أبو أمـه

أبوه وإما في الانتقال كقول الآخر

أبي حية النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها   عشية أرآم الكناس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها   ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

الا رب يوم لو رمتني رميتها   ولكن عهدي بالنضال قديم

يقول رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميتُ كما رُميت وفتنتُ كما فُتنت ولكن قد تطاول عهدي بالشباب فانت اذا عمدت الى مثل هذا وجدت له اهتزازاً في نفسك وأريحية في فؤادك .. والتعقيد أن يشيك المتكلم طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب قلبك فلا تدري من أين تتوصل وأي طريق تسلك الى معناه مثال ذلك قول الفرزدق

الى ملك ما أمـه من محارب   أبوه ولا كانت كليب تصاهره

يريد الى ملك أبوه ما أمه من محارب . وقوله أيضاً يمدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان

وما مثله فى الناس الا مملكا   أبو أمـه حي أبوه يقاربه

يريد وما مثله فى الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه يعني وما مثله في الناس أحد يشبهه في الفضائل الا هشاماً . فهو كما تراه فى غاية التعقيد حتى كانه لم يجتمع فى صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

والشيب ينهض فى السواد كأنه   ليل يصيح بجانبيه نهار

ومثله قول المتنبي

سأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لتقْرُبوا
وتسكُبُ عيْنَايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

فإِنَّ الانتقـالَ من جمودِ العَيْنِ الى بخلِها بالدُّموع لا إِلى

وفاؤ كما كالربع أشجاه طاسمه بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

يريد وفاؤكما بان تسعدا كالربع أشجاه طاسمه .. يخاطب صاحبيه بان عدم وفائهما له بالمساعدة على البكاء مما يزيد فى حزنه كالربع كلما درست معالمه كانت أدعي لحزنه ثم اعتذر بان الدمع يشفى الباكي لان من حزن قلبه استراح بالبكاء .. وهذا الضرب من التعقيد يرجع الى اللفظ لان منشأه فساد النظم بما صنعه الشاعر فى التقديم والتاخير وغيرهما مما ليس له ان يصنعه ولا يسوغ ان يقدم عليه وثمت ضرب آخر يرجع الى المعنى وهو أن لايكون انتقال الذهن من المعنى الاول المفهوم بحسب اللغة الى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقول العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

بدأ فدل بسكب الدموع على مايوجبه الفراق من الحزن والكمد فأحسن وأصاب لان من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن وان يجعل كناية عنه كقولهم . أ بكاني وأضحكني على معنى (ساءني وسرنى)

ثم ساق هذا القياس الى نقيضه فالتمس أن يدل على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله لتجمدا لظنه ان الجمود خلو العين من البكاء

ما قصدَه من السُّرورِ قيلَ وَمِن كثرةِ التَّكرار وتتابُعِ الاضافاتِ كقوله * سبُوحٌ لها منها عليها شواهِدُ * وقولِه *

من غير اعتبار شيء آخر وغلط فيما ظن لان الجمود خلو العين من البكاء مع ان الحال حال بكاء ومع انه يراد منها أن تبكي فلا يكون كناية عن السرور وانما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر

الا ان عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود

ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال السرور لجاز أن يدعى به للرجل فيقال لازالت عينك جامدة كما يقال لا أبكى الله عينك وذلك مما لا يشك في بطلانه وعلى ذلك قول أهل اللغة سنة جماد لامطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها فكما لاتجعل السنة والناقة جماداً الا على معنى ان السنة بخيلة بالقطر والناقة لاتسخو بالدر لاتجعل العين جموداً الا وهناك ما يقتضي ارادة البكاء منها وما يجعلها اذا بكت محسنة موصوفة بانها قد جادت واذا لم تبك مسيئة موصوفة بانها قد ضنت (هذا) وبيت ابن الاحنف المذكور نظير كلام ابن الربيع بن خثيم فان رجلا قال له وقد صلى ليلة حتى أصبح اتعبت نفسك فقال راحتها أطلب ومثله قوله

تقول لو سليمى لو أقمت بأرضنا ولم تدراني للمقام أطوف

وهو معنى كثير حسن جميل (وقد) زاد بعضهم على هذه الامور المخلة بالفصاحة أمراً آخر وهو الكراهة في السمع بان يمج اللفظ ويتبرأ من سماعه كالجرشى في قول أبي الطيب المتني يمدح سيف الدولة

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب

(الجرشى النفس) وفيما ذكر هذا القائل نظر لان الكراهة

حمامةَ جَرْعَى حَوْمةِ الجَنْدَلِ اسْجَعى * وفيه نظرٌ وفي المتكلم ملَكةٌ يُقتدَر بها على التعبير عن المقصودِ بلفظٍ فصيحٍ والبلاغة

في السمع تشملها الغرابة وقد احترز عنها (وزاد) بعضهم أمرا آخر أيضاً وهو كثرة التكرار وتتابع الاضافات وأنشد على الاول قول أبي الطيب

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

(الغمرة الشدة والسبوح الفرس الحسن العذو التي لاتتعب راكبها فكأنها تسبح فى الماء) وعلى الثاني قول ابن بابك

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى فانت بمرأي من سعاد ومسمع

(الجرعاء تأنيث الاجرع وهي رملة لاتنبت شيئاً والحومة معظم الشئ والجندل الحجارة والسجع هدير الحمام) وفيه نظر لان ذلك ان أفضى باللفظ الى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم والا فلا يخل بالفصاحة قال الشيخ عبد القاهر قال الصاحب اياك و الاضافات المتداخلة فان ذلك لا يحسن وذكر انه يستعمل فى الهجاء كقول القائل

ياعلي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة فى خيارة

ثم قال الشيخ ولا شبهة فى ثقل ذلك في الأكثر لكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومما حسن فيه قول ابن المعتز

وظلت تدير الراح أيدي جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح

ومنه قول أبي تمام

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى والليل أسود رقعة الجلباب

(وأما البلاغة) فهي في اللغة تنبئ عن الوصول والانتهاء قال في القاموس بلغ الرجل بلاغة اذا كان يبلغ بعبارته كنه مراده مع ايجاز

في الكلام مطابقتُه لمقتضَى الحالِ معَ فصاحتِهِ وهو مختلفٌ فانَّ مقاماتِ الكلام متفاوتةٌ فمقامُ كلٍّ من التنكيرِ والاطلاق

بلا اخلال أو اطالة بلا املال ومن ثم قال البيانيون انها تطبيق الكلام على مقتضى الحال مع فصاحته وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم حيث يقول النظم توخي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام .. فالشاعر البازل أو الكاتب المجيد هو الذي يضع كلامه الموضع الذي تقتضيه تلك المعاني وهناك وربك معترك البلاغة الذي تظهر فيه الخواطر براعتها والبلغاء مُنَّتها فانت اذا عمدت الى ما توا صفوه بالحسن وشهدوا له بالفضل مثل قول الاول

تمنانا ليلقانا بقوم ... تخال بياض لأمهم السرابا
فقد لاقيتنا فرأيت حرباً ... عوانا تمنع الشيخ الشرابا

ومثل قول ابن الدمينة

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني ... فافرح أم صيرتني فى شمالك
أبيت كاني بين شقين من عصا ... حِذار الردى أو خيفة من زيالك
تعاللت كي أشجى وما بك علة ... تريدين قتلى قد ظفرت بذلك

فانك لا تجد سبباً لهذا الحسن الذي يهجم عليك ويملأ عينيك الا توخى تلك المعاني وتوفية حقوقها ثم انه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني فى أنفسها ولكن تعرض بحسب الاغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض فرب تنكير مثلا له مزية فى لفظ وهو فى لفظ آخر في غاية القبح (فظهر) لك أن البلاغة صفة فى الكلام بها يقع التفاضل

والتقديمِ والذِكرِ يباينُ مقامَ خلافهِ ومقامُ الفصلِ يباين مقامَ الوصلِ ومقامُ الايجاز يباين مقامَ خلافهِ وكذا خطابُ الذَّكيّ مع خطاب الغَبِيّ ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقامٌ وارتفاعُ شأن

ويثبت الاعجاز واذا كان ذلك كذلك فلا يكون مرجعها الالفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة بل الالفاظ باعتبار افادتها المعاني أي الاغراض والمزايا التي يصاغ لها الكلام (وكثيرا ما) تسمى تلك الصفة فصاحة ايضاً وهذا هو مراد الشيخ عبد القاهر بما يكرره في دلائل الاعجاز من ان الفصاحة صفة راجعة الى المعنى دون اللفظ (قال) ومما يشهد لذلك انك لاتشك اذا فكرت في قوله تعالى • وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين • فتجلى لك منها الاعجاز ويبهرك الذي ترى وتسمع •• انك لم تجد ماوجدت من المزية الظاهرة الا لأمر يرجع الى تركيبها وان الفضل تناتج مابينها وحصل من مجموعها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو افردت من بين اخواتها لأدت من الفصاحة ماتؤديه وهي في مكانها من الآية •• ومما يؤيد ذلك انك ترى الكلمة تؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك في موضع آخر وهاك مثالا يشهد بصحة ذلك وهو انه قدجاءت لفظة الشيء مقبولة حسنة في قول أبي دحية

اذا ماتقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لايمل التقاضيا

وجاءت ضعيفة مستكرهة في قول المتنبي

الكلام في الحُسْن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدمها فمقتضى الحال هو الاعتبارُ المناسبُ فالبلاغةُ راجعةٌ الى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب وكثيراً ما يُسمَّى ذلك فصاحةً أيضاً ولها طرفان أعْلى وهو حَدُّ الاعجاز وما يقرُبُ منه وأسفلُ وهو ما إذا غُيّرَ الكلامُ عنه الى مادونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وبينهما مراتبُ كثيرةٌ وتتبعُها وجوهٌ

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه   لعوقه شئ عن الدوران

فلو كانت الكلمة اذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها لما اختلف بها الحال ولكانت اما ان تحسن أبدا أو لاتحسن أبدا .. وهناك دليل ثالث وهو انا نعلم ان النبي عليه السلام تحدى العرب بفصاحة القرآن ولو كانت عائدة الى الالفاظ لكان قد تحداهم بالموجود عندهم في الماضي والحاضر .. ودليل رابع وهو ان العالم بلغة من اللغات لايحتاج في التلفظ بمفرداتها الى الروية والفكرة ويحتاج في التكلم بالكلام الفصيح بتلك اللغة الى الروية ... هذا هو لباب كلام عبد القاهر رحمه الله (تكملة) هذه نتف في البلاغة لثلة من البلغاء . قال عبد الحميد بن يحيي البلاغة تقرير المعنى في الافهام من أقرب وجوه الكلام وقال الرماني البلاغة ايصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ الى المعنى ولم

أُخَرُ تُورِثُ الكلامَ حُسناً وفي المتكلم ملكةٌ يُقتدَرُ بها على تأليفِ كلامٍ بليغٍ فعُلِمَ أنَّ كلَّ بليغٍ فصيحٌ ولا عكسَ وأنَّ البلاغةَ مرجِعُها إلى الاحترازِ عَنِ الخطأِ في تأديةِ المعنى المرادِ والى

يطل سفر الكلام وقال اعرابي البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة والدلالة بقليل على كثير هذا والبليغ عمرك الله من تراه يعبث بالكلام ويقوده بالين زمام ومن اذا أنشدته مثل قول البحتري

بلونا ضرائب من قد نرى	فما ان رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا	ت عزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خلقى سودد	سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخا	وكالبحر ان جئته مستثيبا

آنق له وأخذته الاريحية عنده اذ يرى شعرا دنا حتى أطمع ونأى حتى امتنع ولا غرو فالبحتري هو الذي ضرب في قداح الشعر باعلى السهام وأخذ في عيون الفضل بأوفي الاقسام وشعره هو الذي يترقرق فيه ماء الطبع ويرتفع له حجاب القلب والسمع (ملكة) الملكات هى الصفات الراسخة التي تحصل بتكرار الشيء (وهو) أي مقتضى الحال (مقامات الكلام) أي أحواله (فمقام كل من التنكير الخ) أي فالحال الذي يناسبه التنكير يباين الحال الذي يناسبه التعريف وهكذا (ولكل كلمة مع صاحبتها مقام) واذاً فلا ينبغي للبليغ ان يصنع مايخالف ذلك الا ترى ان الاعشى لو استبدل بقوله

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة	الى ضوء نار في يفاع تحرق

تمييز الفصيح من غيرِهِ والثاني منه ما يُبيَّنُ في علم متن اللغة أو التَّصريفِ أو النَّحوِ أو يُدْرَكُ بالحِسِّ وهو ماعدا التعقيدَ المعنويَّ وما يُحتَرَزُ به عن الاول علمُ المعاني وما يُحترزُ به عن التعقيدِ المعنويِّ علمُ البيانِ وما يُعْرَفُ به وجوهُ التحسين علمُ البديع وكثيرٌ يُسمِّي الجميعَ علمَ البيانِ وبعضُهم يسمِّي الاولَ علمَ المعاني والاخيرَيْنِ علمَ البيان والثلاثةَ علمَ البديع

قوله الى ضوء نار متحرقة لنبا عنه الطبع وأنكرته النفس كل الانكار وما ذلك الا لانه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال حيث ان المعنى على ان هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والاشعال حالا فحالا واذا قيل متحرقة كان المعنى على ان هناك ناراً قد ثبتت لها وفيها هذه الصفة فحسبُ . وقس على هذا مثله (للاعتبار المناسب) أي الذي اعتبره المتكلم مناسبه بحسب السليقة او بحسب تتبع تراكيب البلغاء وهو الخصوصيات (ومايقرب منه) ظاهر عبارة المفتاح انه معطوف على هو والضمير في منه عائد الى الأعلى ويكون حد الاعجاز خبرا عنهما وهو صحيح فان التنزيل فيه ما هو متناه في البلاغة وما هو دون ذلك وكلاهما وقع به الاعجاز (وأسفل) قال الرازي وليس من البلاغة في شيء (التحق الخ) وان كان صحيح الاعراب (ان كل بليغ فصيح ولا عكس) اما عبد القاهر فانه رأى ان الفصاحة والبلاغة والجزالة والبراعة الفاظ مترادفة (والثانى) أي تمييز الفصيح من غيره (بالحس) هو الذوق (الاول) يعني الخطأ في تأدية

﴿ الفنُّ الاولُ علمُ المعانِي ﴾

وهو علمٌ يُعْرَف به أحوالُ اللفظِ العربيِّ التي بها يُطابِقُ مُقتضَى الحال * وينحصِرُ في ثمانيـةِ أبوابٍ * أحوالُ الاسنادِ الخبريِّ أحوالُ المُسنَدِ اليـه أحوالُ المسـنَدِ أحوالُ متعلقاتِ الفعلِ القصرُ الانشاءُ الفصـلُ والوصلُ الايجـازُ والاطنابُ والمساواةُ لأنَّ الـكلامَ إمَّا خبرٌ أو انشاءٌ لانه إنْ كان لِنسبتِه خارجٌ تُطابقُهُ أو لا تطابقهُ فخبرٌ وإلا فانشاءٌ والخبرُ لا بُدَّ له من مسندٍ اليه ومسندٍ واسنادٍ والمسـندُ قدْ يكونُ له متعلِّقاتٌ اذا كان فعلاً أو في مَعْناه وكلٌّ من الاسـنادِ والتعلقِ إمَّا بقصرٍ أو بغير قصرٍ وكلُّ جملةٍ قُرِنَتْ بأُخْرَى إما معطوفةٌ عليها أو غيرُ معطوفةٍ والـكلامُ البليغ إما زائدٌ على أصلِ المرادِ لفائدة أو غيرُ زائدٍ

المعني المراد (أحوال اللفظ) أي الامور العارضة له من التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والفصل والوصل وغير ذلك مما سيأتي تفصيله (لانه ان كان لنسبته خارج تطابقه اولا تطابقه فخبر) يعجبني قول بعضهم الخبر هو القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفي او بالاثبات (او

« تنبيهٌ » صِدْقُ الخبرِ مطابقتُه للواقعِ وكَذِبُه عَدَمُها وقيل مطابقتُه لاعتقادِ المُخْبِرِ ولو خطأً وعدمُها بدليلِ قوله تعالى إِنَّ المنافقينَ لَكاذبونَ ورُدَّ بأنَّ المعنى لَكاذبونَ فى الشَّهادةِ أو فى تسْمِيَتِها أو فى المشهودِ به فى زَعْمِهم*

فى معناه) كالمصدر واسم الفاعل واسم المفعول وما أشبه ذلك (تنبيه) بين فيه حقيقة الصدق والكذب حيث تقدم اشارة ما الى ذلك فى قوله تطابقه أولا تطابقه (مطابقته للواقع الخ) وهذا هو المشهور وعليه التعويل (وقيل) القائل النظام (ولو خطأ) أي غير مطابق للواقع (بدليل ان المنافقين لكاذبون) فكذبهم جل شأنه في قولهم انك لرسول الله وان كان مطابقا للواقع لانهم لم يعتقدوه . وللنظام دليل آخر وهو أن من اعتقد أمرا فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال ما كذب ولكنه أخطأ كما روي عن عائشة انها قالت فيمن شأنه كذلك ما كذب ولكنه وهم ورد بان المنفى تعمد الكذب لا الكذب بدليل تكذيب الكافر كاليهودي اذا قال الاسلام باطل وتصديقه اذا قال الاسلام حق كذا الايضاح (في الشهادة) لان المعنى نشهد شهادة واطأت فيها قلوبنا السنتنا كما يترجم عنه ان واللام وكون الجملة اسمية فالتكذيب فى قولهم نشهد وادعائهم المواطأة لافى قولهم انك لرسول الله (أوفى تسميتها) اي في تسميتهم اخبارهم شهادة . لان الاخبار اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة (او فى المشهود به)يعنى قولهم انك لرسول الله (فى زعمهم) لانهم يعتقدون أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر

الجاحظُ مطابقتُه مع الاعتقادِ وعدمُها معَهُ وغيرُهما ليس بصدقٍ ولا كذبٍ بدليـل أَفْتَرَى على الله كَذِباً أم به جِنَّةٌ لانَّ المرادَ بالثانى غيرُ الـكَذِب لانه قسيمُه وغيرُ الصِّدقِ لانهم لم يعتقدوه وردَّ بأن المعنى أم لم يفْتَرِ فعبَّر عنه بالجِنَّةِ لان المجنونَ لا افتراءَ له

﴿ أحوالُ الاسنادِ الخبريِّ ﴾

لاشكَّ أنَّ قصدَ المخبِرِ بخبَرِه افادةُ المخاطَبِ إما

عنه فكانه قيل انهم يزعمون انهم كاذبون فى هذا الخبر الصادق (الجاحظ) حاصل ما ذهب اليه أن الخبر ثلاثة اقسام صادق وكاذب وغير صادق ولا كاذب لان الحكم اما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه واما غير مطابق مع الاعتقاد أو عدمه فالاول أي المطابق مع الاعتقاد هو الصادق والثالث أي غير المطابق مع الاعتقاد هو الكاذب والثاني والرابع أي المطابق مع عدم الاعتقاد وغير المطابق مع عدم الاعتقاد كل منهما ليس بصادق ولا كاذب فالصدق عنده مطابقة الحكم للواقع مع اعتقاده والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده وغيرهما ضربان مطابقته مع عدم اعتقاده وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده (بالثاني) أي الاخبار حال الجنة (بأن المعنى أم لم يفتر) فيكون التقسيم للخبر الكاذب في نوعيه الكاذب عن عمد ولا عن عمد (المخبر) أي من يريد الاخبار لا من ينطق بالجملة الخبرية فانه قد يقصد التحسر والتحزن .. فى القرآن حكاية عن امرأة عمران رب اني وضعتها أنثى وفيه حكاية عن زكريا

الحكمَ أو كونَه عالماً به ويُسمّى الاولُ فائدةَ الخبرِ والثانى لازمَها وقد يُنزَّلُ العالِمُ بهما منزلةَ الجاهلِ لعدم جرْيِه على موجَبِ العلم

عليه السلام • رب اني وهن العظم مني • ومثل هذا كثير ومنه قوله

قومي هم قتلوا اميم(١) أخي فاذا رميت أصابني سهمى
فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي

(الحكم) المراد به الثبوت أو الانتفاء وكون ذلك مقصودا للمخبر بخبره لا يستلزم تحققه فى الواقع وهذا مغزى قول من قال ان الخبر لايدل على ثبوت المعنى أو انتفائه وليس مغزاه انه لايفهم الثبوت منه ولا الانتفاء فان ذلك هو مفهوم الكلام بلا ريب ولا يصح انكاره فانا اذا قلنا زيد قائم فمفهومه ثبوت القيام لزيد وأما احتمال عدم الثبوت فليس مفهوما للفظ أصلا بل احتمال عقلي من جهة صحة تخلف الدلالة لكونها وضعية (كونه) أي المخبر (ويسمى الاول فائدة الخبر والثاني لازمها) قال السكاكي والاولى بدون هذه تمتنع وهذه بدون الاولى لاتمتنع كما هو حكم اللازم المجهول المساواة أي يمتنع ان لايحصل العلم الثاني من الخبر نفسه عند حصول الاول منه لامتناع حصول الثاني قبل حصول الاول مع ان سماع الخبر من المخبر كاف فى حصول الثانى منه ولا يمتنع ان لايحصل الاول من الخبر نفسه عند حصول الثانى منه لجواز حصول الاول قبل حصول الثاني وامتناع حصول الحاصل (وقد ينزل العالم بهما منزلة الجاهل) فيلقى اليه الكلام كما يلقى الى الجاهل •• وقد ورد كثيراً تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لاغراض ترجع

(١) اميم منادى مرخم

فينبغي أنْ يُقْتَصَرَ من التركيبِ على قدرِ الحاجةِ فان كان خاليَ الذِّهنِ من الحُكمِ والترددِ فيه استُغْنِيَ عن مؤكّدات الحكم وان كان متردِّدًا فيه طالباً له حَسُنَ تقويتُهُ بمؤكّدٍ وان كان مُنْكِرًا وجَبَ توكيدُه بحسَبِ الانكارِ كما قال تعالى حكايةً عن رُسلِ عيسى عليه السلامُ إذْ كُذِّبوا فى المرَّةِ الأولى إنّا اليكم مُرْسلُون وفي الثانيةِ إنّا اليكم لمُرْسَلون ويُسمَّى الضربُ الاولُ ابتدائيًّا والثاني طلبيًّا والثالثُ إنكاريًّا واخراجُ الكلامِ عليها إخراجاً على مُقتضَى الظاهرِ وكثيراً ما يُخَرَّجُ الكلامُ على خلافِه فيُجْعَلُ غيرُ السائلِ كالسائلِ إذا قُدِّم اليه ما يُلَوِّحُ له

الي التسوية بينه وبين الجاهل تعييرا له وتقبيحا لحاله وان شئت فعليك بكلام رب العزة • ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون • وانظر كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمى وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم (فينبغي) أي اذا كان الغرض الاصلي من الكلام ماتقدم فينبغي (فان كان الخ) اصل هذا الكلام ماأجاب به ابو العباس عن قول الكندي المتفلسف اني لأجد في كلام العرب حشوا يقولون عبد الله قائم وان عبد الله قائم وان عبد الله لقائم والمعنى واحد بأن

بالخبرِ فيستشرفُ له استشرافَ المتردّدِ الطالبِ نحوُ ولا تخاطبْني في الذين ظَلَموا إنَّهُم مغْرَقُون وغيرُ المنكرِ كالمنكرِ اذا لاحَ عليه شيءٌ من أماراتِ الانكارِ نحوُ

جاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمْحَهُ ... إنَّ بني عمِّكَ فيهم رِماحْ

والمُنْكِرُ كغيرِ المنكر اذا كانَ معهُ ما إنْ تأمَّلهُ ارْتَدَعْ

قال بل المعاني مختلفة فعبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر (نحو ولا تخاطبني) نحوه وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء وصلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم ومثل هذا قول بعض العرب

فغنها وهي لك الفداء ... ان غناء الابل الحداء

ومنه قول بشار بن برد

بكرا صاحبي قبل الهجير ... ان ذاك النجاح في التبكير

وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض (نحو جاء شقيق) فان مجيئه هكذا مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليل على اعجاب شديد منه واعتقاد انه لايقوم اليه من بني عمه أحد كأنهم كلهم عُزْل ليس مع أحد منهم رمح والبيت لحجل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد القيس بن معن وهو احد أولاد عم شقيق الذي جاء لمحاربتهم ومثل البيت قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون مؤكدا بان واللام وان كان مما لاينكر لان تماديهم في الغفلة والاعراض عن العمل لما بعده

نحوُ لا ريبَ فيهِ

من أمارات الانكار (نحو لاريب فيه) أي ليس مظنة للريب لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لاينبغي لمرتاب ان يقع فيه . ومقتضى صنيعه في الايضاح ان ذلك تنظير لتنزيل الشيء منزلة عدمه فينفي كما نزل الانكار منزلة عدمه فنفى مقتضاه وهو التأكيد (تكملة) قال الشيخ عبد القاهر تد تدخل كلمة ان للدلالة على الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان انه لا يكون كقولك للشيء هو بمرأى من المخاطب ومسمع . انه كان من الامر ما ترى وكان مني الى فلان احسان ثم انه جعل جزائي ما رأيت فتجعلك كانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننت وتبين الخطأ الذي توهمت . ومن خصائصها ان لضمير الشأن معها حسنا ولطفا ليس بدونها بل لا يصلح الا بها وذلك في مثل قول رب العزة انه من يتق ويصبر . فانها لا تعمى الابصار ومن لطيف ذلك ما تجده في آخر هذه الابيات التي انشدها الجاحظ لبعض الحجازيين

اذا طمع يوما عراني قريته كتائب يأس كرها وطرادها
أكد ثمادي والمياه كثيرة اعالج منها حفرها واكتدادها (١)
وأرضى بها من بحر آخر انه هو الري أن ترضى النفوس ثمادها

ومما تصنعه ان في الكلام انك تراها تهيء النكرة لان تكون مبتدأ كقوله

ان شواء ونشوة وخبب البازل الأمون (٢)

---

(١) الثماد جمع ثمد وهو الماء القليل (٢) المطية الموثقة الخلق المأمونة العثار

وهكذا اعتباراتُ النَّفْي « ثم الاسنادُ » منه حقيقةٌ عقليةٌ وهي اسنادُ الفعلِ أو معناهُ الى ما هو له عندالمتكلم في الظاهرِ كقول المؤمنِ انْبتَ اللهُ البقلَ وقولِ الجاهلِ أنبتَ الرَّبيعُ البقلَ وكقولك

وان كانت النكرة موصوفة تراها مع ان أحسن كقوله

ان دهراً يلف شملي بسعدي   لزمان يهم بالاحسان

ومن تأثير ان في الجملة انها تغني عن الخبر نحو

ان محلا وان مرتحلا   وان في السفر ان مضوا مهلا

فلو أسقطت ان لم يحسن الحذف أو لم يسغ (وهكذا اعتباراة النفي) فيستغنى عن التأكيد في الابتدائي ويحسن تأكيده في الطلبي ويجب تأكيده بحسب الانكار في الانكاري ويخرج الكلام فيه على خلاف مقتضى الظاهر والمثل ظاهرة (ثم الاسناد منه الخ) اعلم ان سبب تسمية الاسناد في هذين القسمين من الكلام عقلياً هو استناده الى العقل دون الوضع لان اسناد الكلمة الى الكلمة شيء يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة فلا يصير ضرب خبرا عن زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات الضرب فعلا له وانما الذي يعود الى واضع اللغة ان ضرب لاثبات الضرب لا لاثبات الخروج وانه لاثباته في زمان ماض وليس لاثباته في زمان مستقبل فأما تعيين من ثبت له فانما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ولو كان لغويا لكان حكمنا بانه مجاز في مثل قولنا خط أحسن مما وشي الربيع من جهة ان الفعل لا يصح الا من الحي القادر حكما بان اللغة هي التي أوجبت ان يختص الفعل بالحي القادر دون الجماد وذلك مما لا شك في بطلانه (أنبت

جاء زيدٌ وأنتَ تعلمُ أنه لم يجئْ * ومنه مجازٌ عقليٌّ وهو اسنادُه إلى مُلابَسٍ له غيرِ ما هو له بتأوُّلٍ وله مُلابَساتٌ شتَّي يُلابسُ الفاعلَ والمفعولَ به والمصدرَ والزمانَ والمكانَ والسببَ فاسنادُه للفاعلِ أو المفعولِ به اذا كان مَبْنيًّا له حقيقةٌ كما مَرَّ

الربيع البقل) مثاله قول الكفار ومايهلكنا الا الدهر فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قائله على انه متأول بل أطلقه بجهله وعماه اطلاق من يضع الصفة في موضعها لايوصف بالمجاز ولكن يقال عند قائله انه حقيقة وهو كذب وباطل (مجاز عقلي) ويسمى مجازا حكميا ومجازا فى الاثبات (اسناده) أي الفعل أو معناه (بتأول) متصل باسناده والتأول من آل الى كذا رجع اليه ومعناه تطلب المآل من الحقيقة أو الموضع الذي يؤول اليه من العقل وحاصل ذلك ان تنصب قرينة صارفة للاسناد عن ان يكون الى ماهو (وله) أي للفعل (واعلم) ان هذا الضرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة وذخر يعمد اليه الكاتب البليغ والشاعر المفلق والخطيب المصقع وربما يدور بخلدك ان الابداع فيه أمر يستطيعه كل الناس ويجم هذا الظن من انك ترى الرجل يقول أتي بي الشوق الى لقائك وسار بي الحنين الى رؤيتك وأشباه ذلك مما تجده لشهرته يجري مجرى الحقيقة التي لايتشكل أمرها وهو عمرك الله على خلاف ماتظن فانك لتراه يدق ويلطف حتي يمتنع مثله على الفحول البزل وحتي يأتيك بالبدعة لم تعرفها والنادرة تأنق لها هذا وليس كل شيء يصلح لان تتعاطي فيه المجاز العقلي بسهولة بل تجدك

والى غـيرهما للملابسةِ مجازٌ كقولهم عيشةٌ راضـيةٌ وسَيلٌ مفعَمٌ وشعرٌ شاعرٌ ونهارُه صائمٌ ونهرٌ جارٍ وبَني الاميرُ المدينة وقولُنا بتأولٍ يُخْرِجُ ما مرَّ من قول الجاهل ولهذا لم يُحمَلُ نحو قوله

في كثير من الامر وأنت تحتاج الى ان تهيء الشيء وتصاحبه له بشيء تتوخاه في النظم كقول من يصف جملا

تناسَ طِلاَبَ العامرية اذ نأت بأسجحَ مرقالِ الضحي قاق الضفر
اذا ما أحسته الافاعي تحـيزت شواة الافاعي من مثلمة سمر
تجـوب له الظلماء عين كأنها زجاجة شَرب غير ملأى ولاصفر

يريد انه يهتدي بنور عينه في الظلماء ويمكنه بها ان يخرقها ويمضي فيها ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لايجد السائر شيئا يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلا فلولا انه قال تجوب له فعلق له بتجوب لما تبين وجهة التجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي وكذلك لو قال تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يعيبه حينئذ ان يصف العين بما وصفها به الآن (منعم) اي مملوء (سائحة) قال الشيخ عبد القاهر ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء

ترتع مارتعت حتي اذا ادكرت فانما هي اقبـال وادبار

وذاك انها لم ترد بالاقبال والادبار غير معناهما حتى يكون المجاز في الكلمة وانما المجاز في ان جعلتها لكثرة ماتدبر وتقبـل كانها تجسمت من الاقبال والادبار وليس أيضا على حـذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه وان كانوا يذكرونه منه اذلو قلنا أريد انمـا هي ذات اقبال وادبار

أشابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ كرُّ الغداةِ ومرُّ العشيْ

على المجازِ ما لم يعلَمْ أو يظنَّ أنَّ قائله لم يُرِدْ ظاهرَه كما استدِلَّ على انَّ اسنادَ ميَّزَ في قول أبي النَّجْم

ميَّزَ عنه قُنْزُعاً عن قنزُعِ   جَذْبُ الليالي أبْطِئِ أو أسْرِعي

مجازٌ بقوله عقيبَه * أفْناهُ قيلُ اللهِ للشمْسِ اطلُعي * (وأقسامه

أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا الى شيء مغسول والى كلام عامي مرذول لا مساغ له عند من هو صحيح الذوق صحيح المعرفة نسابة للمعاني

(نحو قوله أشاب) وقول أبي الاصبع

اهلكنا الليل والنهار معاً   والدهر يغدو مصمِّماً جذعا

(أشاب) هو للصلتان العبدي الشاعر الحماسي وبعده

اذا ليلة أهرمت يومها   أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجاتنا   وحاجات من عاش لاتنقضي

تموت مع المرء حاجاته   وتبقى له حاجة مابقي

(ميز) قبله قد أصبحت أم الخيار تدعي   على ذنبا كلُّه لم أصنع

من ان رأت رأسي كرأس الاصلع

ميزاي فصل عنه أي عن رأسه والقنزع الشعر المجتمع في نواحي الرأس وجذب الليالي مضيها وتعاقبها وقوله أبطئ أو أسرعي حال من الليالي على تقدير القول أي مقولا فيها ويجوز ان يكون الامر بمعنى الخبر

(أفناه) تمامه * حتى اذا واراك أفق فارجعي *

أربعةٌ) لأنَّ طرفَيْهِ إمّا حقيقتانِ نحوُ أنبتَ الربيعُ البقلَ أو مجازانِ نحو أحيا الارضَ شبابُ الزمانِ أو مختلفانِ نحو أنبتَ البقلَ شبابُ الزمانِ وأحيا الارضَ الربيعُ وهوفى القرآن كثيرٌ وإذا تُليَتْ عليهم آياتُه زادتهمْ إيماناً يذبّحُ أبناءَهمْ ينْزِعُ عنهما لباسَهما يوماً يجْعَلُ الولْدانَ شِيباً وأخرجَتِ الارضُ أثقالَها وغيرُ مختص بالخبرِ بل يجْري في الانشاء نحو يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً ولا بُدَّ له من قرينةٍ لفظيةٍ كما مرَّ أو معنويةٍ كاستحالة

(حقيقتان) لغويتان (نحو أنبت الربيع البقل) مثله قوله * وشيب أيام الفراق مفارقى * وقول جرير

لقد لمتنا ياأم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

(مجازان) لغويان (واحيا الارض الربيع) مثله قول أبي الطيب

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل مايحيي التبسم والجدا

جعل الزيادة والوفور حياة للمال وتفريقه فى العطاء قتلا له ثم أثبت الاحياء فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم مع ان الفعل لايصح منهما ونحوه قولهم أهلك الناس الدينار والدرهم جعلت الفتنة اهلا كاثم أثبت الاهلاك فعلا للدينار والدرهم (واذا تليت الخ) فاثبت الفعل في جميع ذلك لما لا يثبت له فعل • اذا رجعنا الى المعقول • على معنى السبب (أثقالها) ما كنز فيها وأودع جوفها (نحو ياهامان ابن لي صرحا) فاثبت البناء لهامان وانما هو للعملة وهامان آمر (كما مر) يريد قول أبي النجم

قيام المسند بالمذكور عقلاً كقولك محبتك جاءت بي اليك أو عادةً نحوُ هزمَ الاميرُ الجُندَ وصدوره عن الموحدِ في مثل أشابَ الصغيرَ ومعرفةُ حقيقتهِ إمّا ظاهرةٌ كما في قوله تعالى

أفناه قيل الله (ومعرفة حقيقته) قال الامام عبد القاهر اعلم انه ليس بواجب في هـذا المجاز ان يكون للفعل فاعل في التقدير اذا أنت أسندت الفعل اليه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في ربحت تجارتهم ربحوا في تجارتهم فان ذلك لايتأتى في كل شيء الا ترى انه لايمكنك ان تثبت للفعل في قولك أقدمني بلدك حق لي فاعلا سوى الحق وكذا لاتستطيع في قوله

وصيرني هواك وبي لحيني يضرب المثل

وقوله يزيدك وجهه البيت ان تزعم ان له فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوي ولوجهه فالاعتبار اذن بأن يكون المعنى الذي يرجع اليه الفعل موجودا في الكلام على حقيقته معنى ذلك ان القدوم موجود على الحقيقة وكذلك الصيرورة والزيادة موجودتان على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه فيكون في الحكم. قال الرازي فيه نظر لان الفعل لابد من ان يكون له فاعل حقيقة لامتناع صدور الفعل لاعن فاعل فهو ان كان ما أسند اليه الفعل فلا مجاز والا فيمكن تقديره فزعم السكاكي ان الحق في جانب الرازي وان فاعل هذه الافعال هو الله تعالى وتبعه المصنف في ذلك قال التفتازاني وفي ظني ان هذا تكلف والحق ما ذكره الامام .. وهذا صحيح لان

فما ربحت تجارتهم أي فما ربحوا في تجارتهم وإمّا خفيّة كما في قولك سرّتني رؤيتك أي سرّني الله عند رؤيتك وقوله

يَزيدُكَ وجهُهُ حُسْنًا إذا ما زِدْتَهُ نَظَرا

أي يزيدك الله حسنًا في وجهه وأنكرهُ السكاكيُّ ذاهبًا الى أنّ ما مرّ ونحوَه استعارةٌ بالكناية على أنّ المرادَ بالربيعِ الفاعلُ الحقيقيُّ بقرينةِ نسبةِ الانباتِ اليه وعلى هذا القياس غيرُه

تقدير الفاعل الموجد وهو الله تعالى في مثل هذه الافعال تقدير لما لايقصد في الاستعمال ولا يتعلق به الغرض في التراكيب (يزيدك) هو لابي نواس من قصيدة يهجو فيها الاعراب لتعشقهم النساء دون الغلمان ومثله قول حاجز بن عوف

أبي عبر الفوارس يوم داج وعمى مالك وضع السهاما

فلو صاحبتنا لرضيت عنا اذا لم تغبق المائة الغلاما

يريد اذا كان العام عام جدب وجفت ضروع الابل حتى ان حاب منها مائة لم يحصل من لبنها مايكون غبوق غلام واحد • فالفعل الذي هو غبق مستعمل في نفسه على حقيقته والمجاز في اسناده الى الابل وجعله فعلا لها (وأنكره السكاكي) وهاك ماقاله • الذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه وجعله نسبة الانبات اليه قرينة للاستعارة وبجعل الامير المدبر لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية

وفيه نظرٌ لانه يستلزمُ ان يكونَ المرادُ بعيشةٍ في قوله تعالى في عيشةٍ راضيةٍ صاحبَها كما سيأتى وأنْ لاتصحَّ الاضافةُ فى نحو نهارُه صائمٌ لبطلان اضافةِ الشئ الى نفسه وأن لا يكونَ الامرُ بالبناء لهامانَ وأن يتوقَّفَ نحوُ أنبتَ الربيعُ البقلَ على السمع واللوازمُ كلها منتفيةٌ ولأنه ينتقضُ بنحو نهارُه صائمٌ لاشتماله على ذكر طرَفَي التشبيه

عن الجند الهازم وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة (وفيه نظر) ان ما أورده المصنف على مذهب السكاكي لايتم الا اذا كان المراد بالمشبه نفس المشبه به حقيقة والسكاكي صرح بان المراد المشبه به ادعاء فاعرفه هذا حتى تكون على بصيرة من الامر نعم قد ردوا مذهبه في الاستعارة بالكناية بما يصعب دفعه وسيمر بك في محله (ان يكون المراد بعيشة صاحبها) وهو باطل اذ لامعنى لقولنا فهو في صاحب عيشة (بما سيأتى) يريد تفسير الاستعارة بالكناية على مذهب السكاكي (وان لاتصح الاضافة) لان المراد بالنهار حينئذ فلان نفسه • يعني وقد وقعت هذه الاضافة في البليغ من الكلام • فما ربحت تجارتهم (وان لايكون الامر بالبناء لهامان) لان المراد به حينئذ هو العملة أنفسهم واللازم باطل لان النداء له والخطاب معه (وان يتوقف)لان أسماء الله توقيفية يعني وليس كذلك لان مثل هذا التركيب صحيح شائع سمع من الشارع أو لم يسمع (لاشتماله الخ) وذلك يمنع من حمل الكلام على الاستعارة

﴿ أحوالُ المسنَدِ اليه ﴾

أَمَّا حذفُه فللاحترازِ عن العَبَثِ بناءً على الظَّاهرِ أو تخييلِ العدولِ الى أقوَى الدَّليلَيْنِ منَ العقلِ واللفظِ كقوله * قال لي كيفَ أنتَ قلتُ عليلُ * أو اختبارِ تنبُّهِ السامعِ عند القرينةِ أو مقدارِ تنبُّهِهِ أو إيهامِ صَوْنِهِ عن لسانِكَ

كما صرح به السكاكي لكن أجابوا عن هذا بان ذلك انما يكون مانعاً اذا كان ذكرهما على وجه ينبئ عن التشبيه مثل زيد اسد (وبعد) فقد اعتاد السكاكي ان يخالف ائمة البلاغة فيما لاجداء في مخالفتهم فيه وما كان اغنانا عن معرفة مذهبه هذا: وحبذا عمل المصنف لو كان جعله دَبْرَ اذنه (أما حذفه) قال عبد القاهر يصف الحذف . انه لعجيب الامر شبيه بالسحر فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا اذا لم تبن (فللاحترازالخ) يقول ان المسند اليه بعد ان تدل عليه القرينة تختلف مقاصد البلغاء من حذفه فتارة يكون الغرض التحرز عن العبث لان ذكره يعد عبثاً لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به وأخري يكون لتخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين الى آخر ماذكره (قال لى) تمامه * سهر دائم وحزن طويل * فلم يقل انا عليل للاحتراز أو التخييل .. وربما يكون الحذف لغير ذلك لان لكل امرئ في باب البلاغة مانوى

أوعكسهِ أو تأتّي الانكارِ لَدَى الحاجةِ أوتعيُّنهِ أو ادِّعاءِ التعيُّن أو نحوِ ذلكَ * وأمّا ذِكْرُه فلِكَوْنهِ الاصلَ ولا مُقتضِيَ

(أوعكسه) أي ايهام صون لسانك عنه تحقيراله (أونحو ذلك) كاتباع الاستعمال الوارد على تركه مثل رمية من غير رام •• وشنشنة (١) أعرفها من أخزم ؛ أو على ترك نظائره كما في الرفع على المدح أو الذم أو الترحم فانهم لا يكادون يذكرون فيه المبتد أمثال ذلك قوله

هم حلو من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيث شاؤا
بُناة مكارم وأساة كَلْم دماؤهم من الكَلَب الشفاء

وقول الحماسي

رآنى على مابى عميلة فاشتكى الى ماله حالى اسر كما جهر
غلام رماه الله بالخير يافعا له سيميا لا تشق على البصر

وقول الا قيشر في ابن عم له موسر سأله فمنعه فشكاه الى القوم وذمه فوثب اليه ابن عمه ولطمه

سريع الي ابن العم يلطم وجهه وليس الي داعي الندي بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لما في بيته بمضيع

ومنه قولهم بعد أن يذكروا الرجل.. فتى من شأنه كذا وكذا وأغر من صفته كيت وكيت كقوله

(١) هو لابي اخزم الطائى وكان له ابن عاق يقال له اخزم فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم ابى اخزم فادموه فقال

ان بنى ضرجونى بالدم شنشنة أعرفها من اخزم

يعني ان هؤلاء اشبهوا اباهم في العقوق والشنشنة الطبيعة والعادة

للعدول عنه أو للاحتياط لضعف التعويل على القرينة أو التنبيه

ساء شكر عمرا ان تراخت منيتي | أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه | ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خاتي من حيث يخفى مكانها | فكانت قذي عينيه حتى تجلت

وقوله

فتي كان يدنيه الغنى من صديقه | اذا ماهو استغنى ويبعده الفقر
فتي لا يعد المال ربا ولا ترى | به جفوة ان نال مالا ولا كبر
فتى كان يعطى السيف فى الروع حقه | اذا ثوّب الداعى وتشقى به الجزر

وقول جميل

وهل بثينة يا للناس قاضيتي | ديني وفاعلة خيرا فاجزيها
ترنو بعيني مهاة اقصدت بهما | قلبي عشية ترميني وأرميها
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة | ريا العظام بلين العيش غاذيها

وبعد ان يذكرو الديار والمنازل ربع كذا وكذا قال

اعتاد قلبك من ليلى عوائده | وهاج أهواءك المكنونة الطلل
ربع قواء أذاع المعصرات به | وكل حيران سار ماؤه خضل (١)

وهذه طريقة مستمرة عندهم هذا ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح

العين تبدى الحب والبغضا | وتظهر الابرام والنقضا
درة ما انصفتني في الهوى | ولا رحمت الجسد المنضى
غضبى ولا والله يا أهلها | لا أطعم البارد أو ترضى

(١) اذاع المعصرات انزلت ماءها بكثرة والحيران الساري هو المزن يجرى ليلا

عليٰ غَباوَةِ السامِعِ أو زيادةِ الايضاحِ والتقريرِ أو إظهارِ تعظيمِهِ أو إهانتِهِ أو التبرُّكِ بذكرِهِ أو استلذاذِهِ أو بسْطِ الكلامِ حَيثُ الاصغاءُ مطلوبٌ نحوُ هي عَصايَ * وأمَّا تعريفُهُ فبالاضمارِ لانَّ المقامَ للتَّكلُّمِ أو الخِطابِ أو الغَيبةِ .. وأصلُ الخِطابِ أَنْ

التقدير هي غضبي . وهذا شعر يمتزج باجزاء النفوس ويصل الى القلوب بلا آذان (أو اظهار تعظيمه أو اهانته) كما في بعض الاسامى المحمودة أوالمذمومة (حيث الاصغاء مطلوب) أي في مقام يكون اصغاء السامع مطلوبا للمتكلم لشرفه ولذلك يطال الكلام مع الاحباء (للتكلم) كقول بشار

انا المرعث لا أخفى على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني (١)

(أو الخطاب) كقول الحماسة

وأنت الذي أخلفتني ماوعدتني واشمت بي من كان فيك يلوم

(أو الغيبة) لكون المسند اليه مذكوراً أو في حكم المذكور لقرينة كقول ابى تمام

بين أبي اسحاق طالت يد العلى وقامت قَناة الدين واشتد كاهله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

وقوله تعالى ولأبويه لكل واحد منهما السدس أي ولابوي الميت

---

(١) كان بشار يلقب بالمرعث لرعثة كانت له في صغره والرعثة القرط الذي يعلق في شحمة الاذن وذرت الشمس طلعت

يكونَ لمعيّنٍ وقد يترَكُ الى غيره ليَعمَّ كلَّ مخاطَبٍ نحوُ ولو ترَي إذِ المُجرِمونَ نا كِسو رؤسِهمْ عندَ ربهم أي تناهت حالُهم في الظُّهور فلا يختَصُّ بهاالمخاطَبُ.. وبالعلَميةِ لاحضارهِ بعَينْه في ذهنِ السامعِ ابتداءً باسْمٍ مختَصٍّ به نحوُ قل هو الله أحدٌ أو تعظيمٍ أوِ إهانةٍ أو كنايةٍ أو إيهامِ استلذاذِه أو التبركِ به ..وبالموصوليّةِ لعَدَمِ علْمِ المخاطَبِ بالاحوال المختصةبه سوى الصّلةِ كقولك الذي كان معَنا أمسِ رجلٌ عالمٌ أو استهجانِ التصريحِ بالاسم أو زيادةِ التقريرِ نحوُ وَرَاوَدَتْهُ التي هُوَ في

(لمعين) واحدا أو كثيراً (ليعم كل مخاطب) على سبيل البدل لاعلى سبيل التناول دفعة واحدة (نحو ولو ترى) وكما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد مخاطباً بعينه بل تريدان أُكرم أو أُحسن اليه قصدا الى ان سوء معاملته لايختص بواحد دون واحد (نا كسو رؤسهم) من الحياء والخزي (بها) أى برؤية حالهم (أو تعظيم أو اهانة) كما في الكنى والالقاب المحمودة والمذمومة (أو كناية) حيث الاسم صالح لها (أو نحو ذلك) مما يناسب اعتباره فى الاعلام كالتفاؤل والتطير (أواستهجان التصريح بالاسم)قال السكاكي والعدول عن التصريح باب من البلاغة يصار اليه كثيرا وان أورث تطويلا يحكي عن شريح ان عدى بن ارطاة أتاه ومعه امرأة له من اهل

بَيْنَها عِنْ نفسهِ أو التفخيمِ نحوُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غشيهم أو تنبيهِ المخاطَبِ على خطإٍ نحو

الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدى شريح قال عدي اين انت قال بينك وبين الحائط قال اني امرؤ من اهل الشام قال بعيد سحيق قال واني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه قال بالرفاء والبنين قال وانها ولدت غلاما قال ليهنك الفارس قال واردت ان انقلها الى داري قال المرء احق بأهله قال قد كنت شرطت لها وكرها قال الشرط املك قال اقض بيننا قال فعلت قال فعلى من قضيت قال على ابن امك •• عدل شريح عن لفظ عليك لئلا يواجهه بالتصريح على ما يشق على المخاصم من القضاء عليه (نحو وراودته) فالكلام مسوق لنزاهة يوسف وطهارة ذيله والمذكور أدل عليه من امرأة العزيز أو زليخا ومما هو نص في زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام في غـير المسند اليه بيت السقط

اعباد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا

فانه أدل على عدم خوفهم النصارى من ان يقول نحن عبيد الله (نحو فغشيهم) وقوله تعالى والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى ومثله قوله

مضى بها مامضي من عقل شاربها وفي الزجاجة باق يطلب الباقي.

ومنه في غير هذا الباب بيت الحماسة

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

فان مامفعول وقول ابي نواس

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم واسمت سرح اللحظ حيث أساموا

إِنَّ الذينَ تُرُونَهُمْ اخوانَــكُمْ
يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

أُو الايماءِ الى وَجْهِ بناءِ الخَبَرِ نحوُ إِنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ ثُمَّ إِنَّه ربما جُعِلَ ذَرِيعةً الى التَّعْرِيضِ بالتَّعْظِيم لشانِه نحوُ

وبلغت ما بلغ امرؤ بشــبابه فاذا عصارة كل ذاك أثامُ (نحوان الذين) ففيــه من التنبيه على خطأهم في هذا الظن ماليس في قولك ان القوم الفلاني والبيت لعبدة بن الطيب من قصيدة يعظ فيهــا بنيه (أو الايمــاء الى وجه بناء الخــبر) يقول قد يعرف المسـند اليه بالموصــولية لما فى صلته من الاشارة الى نوع الخبر من ثواب او عقاب او مدح او ذم مثلا وحاصله ان يؤتى بالفاتحــة على وجه ينبه الفطن على الخاتمة نحو ان الذين يستكبرون الآية ففى مضمون الصلة الذى هو الاستكبار ايماء الى ان الخــبر امر من جنس الاذلال والعقوبة قال السكاكي ثم يتفرع على هذا اعتبارات لطيفة ربمــا جعــل ذريعة الى التعريض بالتعظيم كقولك الذي يرافقــك يستحق الاجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الاذلال والصفع ومنه قولهم جاء (١) بعد اللَّتَيَّا

(١) قال السكاكي في فصل الايجاز وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي بترك صلة الموصول ايثارا للايجاز تنبيها على ان المشار اليها باللتيا والتي وهى المحنة والشدائد بلغت من شدتها وفظاعة شأنها مبلغا يبهت الواصف معها حتى لايحير ببنت شفة

إِنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لَنَا

بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأَطْوَلُ

أو شأنِ غيرهِ نحوُ الذين كَذَّبُوا شُعَيباً كانوا همُ الخاسرين

وبالاشارةِ لتمييزهِ أكملَ تمييزٍ نحوُ قولهِ

* هَذَا أبُو الصَّقْرْ فَرْدًا في مَحَاسنِهِ *

والتي أو بالاهانة كما اذا قلبت الخبر في الصورتين وربما جعل ذريعة الى تعظيم شأن الخبر كقول الفرزدق ان الذي سمك السماء البيت فان فيه ايماء الى ان الخبر المبني عليه امر من جنس الرفعة والبناء ثم في هذا الايماء تعريض لتعظيم بناء بيته من حيث انه فعل من رفع السماء أو تعظيم شأن غير الخبر نحو الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين ففيه ايماء الى ان الخبر المبني عليه امر من جنس الخسران وفيه مع ذلك تعظيم لشأن شعيب وفي هذه الاعتبارات كثرة: فَحُمْ لها حول ذكائك (هذا) وقد يقصد بالموصول الحث على التعظيم نحو جاء الذي عاملك أو التحقير نحو جاء الذي سألك أو التهكم كقوله تعالى • ياأيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ولطائف هذا الباب لاتكاد تضبط (لتمييزه اكمل تمييز) لغرض من الاغراض كان يكون في مقام المدح وفي حال اجراء أوصاف الرفعة ونعوت الأثرة (نحو هذا أبو الصقر) مثاله قوله

واذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مقبل	متسربل سربال ليل أغبر
أو ما الي الكوماء هذا طارق	نحرتني الاعداء ان لم تُنْحَرى

أو التعريض بغباوةِ السامــع كقوله

أُولئكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ

إِذَا جَمَعَتْنَا يَاجَرِيرُ المَجَامِــعُ

أو بيانِ حاله في القُرْب أو البعْدِ أو التَّوَسُّطِ كقولك هَذَا أو ذلكَ أو ذاكَ زيدٌ أو تحقيرِهِ بالقُرب نحوُ أهَذَا الذي يَذْكُرُ آلِهَتَــكُمْ أو تعظيمِهِ بالبُعْدِ نحوُ آلم ذلكَ الـكتابُ أو

وقول المتنبي

اولئك قوم ان بنوا أحسـنوا البنـا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا

والبيت لابن الرومى وتمـامه * من نسل شيبان بين الضال والسلم * الضال هو السـدر والسلم شجر ذو شوك وهما من شجر البوادى وأشار بذلك الا ماتمادح به العرب من سكنى البادية لان العز مفقود في الحضر (أو التعريض بغباوة السامع) وانه لايتميز الشيء عنـده الا بالحس (اولئك آبائي) هو للفرزدق من قصيدة يفتخر فيها على جرير (اهذا الذى يذكر آلهتكم) مثاله قوله تعالى • وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وقوله تعالى •• وهو من غير باب المسند اليه •• ماذا اراد الله بهذا مثلا وقول الشاعر

تقول ودقت صدرها بيمينها ... ابعلي هذا بالرحا المتقاعس

(نحو ذلك الكتاب) نحـوه فذلكن الذى لمتننى فيـه لم تقل فهذا

تَحقيره كما يُقالُ ذلِكَ اللعينُ فَعل كذا أو للتنبيه عِندَ تعقيب المشار اليه بأوصافٍ على أنه جديرٌ بما يَرِدُ بعدَهُ مِنْ أجْلِها نحو أولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هُمُ المُفلِحُون : وباللامِ للاشارةِ الى

وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن وتمهيدا للعذر في الافتتان به (نحو اولئك على هدى) فقد عقب المشار اليه وهو المتقين بأوصاف هي الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وغير ذلك ثم عرف المسنداليه بالاشارة تنبيها على ان المشار اليهم احقاء بما يرد بعد اولئك وهو كونهم على الهدى عاجلا والفوز بالفلاح آجلا من اجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة .. ومثل ذلك قول عروة بن الورد

لحا الله صُعلوكا اذ جَنَّ ليلُه (١) مُصافي المشاش آلفا كل مجزَر
ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا يَحُت الحصي عن جنبه المتعفر
يعين نساء الحي ما يستعنه فيضحي طايحا كالبعير المحسر
ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء سراج القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المشهر
وان بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف اهل الغائب المتنظر
فذلك ان يلق المنية يلقها حميداً وان يستغن يوماً فأجدر

(١) المشاش جمع مشاشة قيل هي رؤس المفاصل مثل الركبتين وفي اضافة مصافي الى المشاش من التهكم مالا يخفى والمجزر موضع جزر الابل والمتعفر المترب والبعير المحسر هو المعي وقوله وان بعدوا الخ على التقديم والتأخير اراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا

مَعهودٍ نحوُ وليس الذَّكَرُ كالانثىأي ليْسَ الذى طلَبَتْ كالتي وُهِبَتْ لهاأو الى نفس الحقيقةِ كقولك الرَّجلُ خيرٌ من المرأة وقد يأتي لِواحدٍ باعتبارِ عهديَّتِهِ في الذِّهن كقولك أُدْخُلِ السوقَ حيثُ لاعهدَ وهذا في المعنى كالنَّكرةِ وقد يُفيدُ

عدد له خصالا فاضلة كما ترى ثم عقب هذا بقوله فذلك فأفاد انه حري بما ذكر بعده لاجل اتصافه بتلك الخصال (معهود) بين المتكلم والمخاطب لتقدم ذكره صريحاً اوكناية كما في الآية او لعلم المخاطب به نحو اذ هما في الغار ونحو اذ يبايعونك تحت الشجرة وكقولك لمن فوق سهماً القرطاس. اولحضوره نحوهذا الرجل يا أيها الرجل (الى نفس الحقيقة) بصرف النظر عن عمومها وخصوصها (الرجل خير من المرأة) مثاله الدينار خير من الدرهم وقول المعري

والخِل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقوله تعالى . وهو من غير هذا الباب . وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي اى جعلنا مبدأ كل شيءٍ حي هذا الجنس الذى هوالماء (يأتى) أي المعرف بلام الحقيقة (باعتبار عهديته في الذهن) لمطابقته الحقيقة (ادخل السوق) فاشير باللام الي الحقيقة لكن في ضمن بعض الافراد لقيام القرينة على ذلك ومثله قوله تعالي واخاف ان يأكله الذئب (في المعني) واما في اللفظ فتجرى عليه احكام المعارف من وقوعه مبتدأ وذا حال ووصفا للمعرفة وموصوفا بها ونحو ذلك (كالنكرة) فيعامل معاملتها ويوصف بالجملة كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني *

الاستغراقَ نحوانَّ الانسانَ لَفِي خُسْرٍ وهو ضَرْبانِ حقيقيٌّ نحوُ

وانما لم يقل نكرة لمابينهما من تفاوت مّا وهو أن النكرة معناها بعض غير معين من جملة أفرادالحقيقة وهذامعناه نفس الحقيقةوانما تستفاد البعضية من القرينة كالدخول والاكل فيما مر (نحوان الانسان)فاشير باللام الى الانسانية في ضمن كل فردمن افرادها بدليل الاستثناء الذي هو معيار العموم لان شرطه دخول المستثني في المستثنى منه لولم يذكرهذا والحاصل ان المرادباسم الجنس المعرف باللام امانفس الحقيقة لامايصدق عليه من الافراد وهوتعريف الجنس والحقيقة ونحوه علم الجنس كأسامة واما فرد معين وهوالعهدالخارجي ونحوه العلم الخاص كزيد وامافردغير معين وهوالعهد الذهني ونحوه النكرة كرجل واما كل الافراد وهوالاستغراق ونحوه لفظ كل مضافا الي النكرة كقولنا كل رجل (وبعد) فقد قال الامام الحكيم الشيخ محمد عبده المصري في تفسيرسورة والعصر ان الاستغراق بأل في لسان العرب ليس كالاستغراق بلفظ كل وليست ال مساوية لكل التى تضاف الى النكرة ويراد بها تعميم الحكم فى جميع افراد الجنس وانما يراعى فى ال استغراق المعهود عند المخاطبين لانها فى لسانهم للعهد وتعريف الجنس اما في فرد او افراد ولن تفارق العهد ابداً وكذلك التي يسميها النحاة للعهد الذهني ويحيرون في الفرق بينها وبين النكرة ثم يقول فريق منهم ان الفرق في اللفظ واجراء احكامه اما المعنى فلافرق فيه وهو وهم فاسد . . وهذا وربك كلام من قتل اللغة علماً وأحاط بأسرارها خبرًا (وهو) أي الاستغراق (حقيقي) وهو أن يراد

عالِمُ الغيبِ والشهادةِأي كلِّ غيبٍ وشهادةٍ وعُرفيٌّ كقولنا جَمَعَ الاميرُ الصاغةَ أي صاغةَ بلدِهِ أو مملكته واستغراقُ المفردِ أشملُ بدليل صحةِ لا رجالَ في الدارِ اذا كان فيها رَجُلٌ أو رَجلان دُونَ لا رَجلَ ولا تَنافِيَ بين الاستغراقِ وَإفرادِ الاسم لانَّ الحرفَ إنما يَدْخلُ عليه مُجرَّدًا عن معنى الوحدةِ ولانه

كل فرد مما يتناوله اللفظ لغة (وعرفي) وهو أن يراد كل فرد مما يتناوله اللفظ بحسب متفاهم العرف (أى صاغة بلده أو مملكته) لاصاغة الدنيا (واستغراق المفرد اشمل) هذه العبارة قد أشار الى مغزاها جار الله الزمخشرى في كشافه ومعناها ان اسم الجنس المفرد اذا دخلت عليه أداة الاستغراق كحرف التعريف أو النفي كان شموله للافراد أكثر من شمول المثنى والجمع الداخل عليهما تلك الاداة وذلك ان المفرد يتناول كل واحد من الافراد والمثنى انما يتناول كل اثنين اثنين ولاينا فيه خروج الواحدوالجمع انما يتناول كل جماعة جماعة ولا ينافيه خروج الواحد والاثنين ودليل ذلك صحة لارجال في الدار اذا كان فيها رجل او رجلان وعدم صحة لارجل اذا كان فيها رجل او رجلان هذا وقد قالوا ان كلام المصنف مسلم في النكرة المنفية دون المعرف باللام لان الجمع المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الافراد بل هو في ذلك أقوى من المفرد (ولا تنافي) هذاجواب عن سؤال اورده السكاكي وهو ان افراد الاسم ينافي ان تكون الاداة الداخلة عليه للاستغراق لان الافراد يدل على الوحدة والاستغراق على التعدد

بمعنى كلِّ فردٍ لا مجموعِ الافرادِ ولهذا امتنعَ وصفُهُ بنعتِ الجمع : وبالاضافةِ لانها أخصرُ طريقٍ نحوُ * هوَايَ مع الرَّكْبِ اليمَانِينَ مُصْعِدُ * أو تضمنُّها تعظيماً لشأن المضاف اليه أو المضافِ أو غيرهِمَا كقولك عبْدِي حَضَرَ وعبدُ الخليفة رَكِبَ وعبدُ السلطانِ عندِي أو تحقيراً نحو ولَدُ الحجَّامِ حاضرٌ * وأما تنكيرُه فللإِفرادِ نحوُ وجاءَ رَجُلٌ من أقصى المدينةِ

(امتنع وصفه بنعت الجمع) ولا اكتراث بما حكاه الاخفش في الدينار الصفر والدرهم البيض (لانها الخ) او لاغنائها عن تفصيل متعذر كقوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفان اشبل

أو لتضمنها اعتبارا لطيفا مجازيا كقوله

اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب

(لانها اخصر طريق) والمقام مقام اختصار (هو اي) هو لجعفر ابن علبة الحارثي من ابيات قالها وهو مسجون وتمامه: جنيب وجثماني بمكة موثق: ومصعد من اصعد اي مضي وسار (فللا فراد) وقد ينكر لكون المقام غير صالح للتعريف اما لانك لاتعلم جهة من التعريف حقيقة او تجاهل • وباب التجاهل في البلاغة عريق وان شئت فانظر لفظ كأن في قول الخارجية

ايا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

ماذا تري •• واما لانه يمنع من التعريف مانع كقوله

يَسْعى أو النوعيةِ نحوُ وعلى أَبصارِهم غِشاوةٌ أو التعظيمِ أو التحقيرِ كقولِه

له حاجِبٌ في كلّ أمْرٍ يَشينُهُ
وليْسَ له عن طالبِ العرْفِ حاجِبُ

أو التَّكثيرِ كقولهم انَّ لَهُ لَإِبلاً وإنَّ له لَغنماً أو التقليل نحوُ ورضوانٌ مِنَ اللهِ أكبرُ وقد جاء للتعظيم والتكثير نحو وانْ يُكذّبوكَ فقد كُذّبَتْ رُسُلٌ أى ذوُوعددٍ كثيرٍ وآياتٍ عِظامٍ

اذا سئمت مهنده يمين   لطول الحمل بدله شمالا

لم يقل يمينه احترازاً عن التصريح بنسبة السآمة الى يمين الممدوح (رجل) أى فرد من أشخاص الرجال (غشاوة) أى نوع من الاغطية غير مايتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ورأى السكاكي ان التنكير للتعظيم اى غشاوة عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الادراك وهذا أليق (له حاجب) اى له حاجب ايُّ حاجب وليس له حاجب مّا ومثله قوله

ولله مني جانب لا أضيعه   وللهو مني والخلاعة جانب

والبيت لابن أبى السمط من ابيات منها...

فتى لايبالى المدلجون بنوره   الى بابه ان لاتضئ الكواكب
يصم عن الفحشاء حتى كأنه   اذا ذكرت فى مجلس القوم غائب

وَمِنْ تنكير غيره للإفرادأو النَّوْعية نحوُ واللهُ خَلَقَ كلَّ دابةٍ من ماء وللتعظيم نحو فأذنوا بحَرْبٍ من الله ورسوله وللتحقير نحو إنْ نَظنُّ الاظنا * وأماوصفه فلكونه مبيِّناً له كاشفاً عن معناه كقولك الجسمُ الطويلُ العريضُ العميقُ يَحتاجُ الي فَراغٍ يَشغَلُه ونحوُه في الكشفِ قولُه

الا لمعيُّ الذي يَظُنُّ بك الظنَّ كأنْ قدْ رأَي وَقدْسَمِعَا

(غيره) اى غير المسند اليه (كل دابة من ماء) اى كل فرد من افراد الدواب من نطفة معينة أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه هذا ومن تنكير غير المسند اليه للنكارة وعدم التعين قوله تعالى • أو اطرحوه أرضا • وللتقليل

فيوما بخيل تطرد الروم عنهمو ويومابجود تطرد الفقروالجدبا

أى بعدد نزر من خيولك وشئ يسير من فيضان جودك (واعلم) انه كما ان التنكير لابهامه يفيد التعظيم والتحقير والتقليل كذلك لفظ البعض كما فى قوله

تراك أمكنة اذا لم أرضها أويرتبط بعض النفوس حمامها

أراد نفسه ونحو . هذا كلام ذكره بعض الناس . ونحو قولهم . كفى هذا الامر بعض اهتمامه (في الكشف) وان لم يكن وصفا للمسند اليه (الالمعي) فالالمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذى يظن بك الظن • حكي ان الاصمعي سئل عن الالمعي فأنشد

أو مخصِّصاً نحوُ زيدٌ التَّاجِرُ عِنْدَنَا أو مدْحاً أو ذماً نحوُ جاءني زيدٌ العالِمُ أوالجاهلُ حيثُ يَتعيَّنُ المَوْصُوفُ قَبْلَ ذِكْرِهِ أَو تأكيداً نحوُ أمسِ الدَّابِرُ كانَ يوْماً عظيماً * وأَما توْكيدُه

البيت ولم يزد .. وهو لأوس بن حجر التميمي من قصيدة يرثى بها فَضالة بن كلدة وأولها

أيتها النفس اجملي جزعا   ان الذي تحذرين قدوقعا

ان الذي جمع السماحة والنجـ * ـدة والحزم والقوى جُمَعَا

أودي فما تنفع الاشاحة من   شيء لمن قد يحاول البدعا

الاشاحة الحـذر والبدع الامور الغريبـة .. ومثل البيت قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخـير منوعا قال الزمخشري الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلوع سريعة السير •• وعن أحمد بن يحيي قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع قلت قد فسره الله تعـالى (حيث يتعـين الخ) وإلا صار الوصف مخصصاً (هـذا) وقد يكون الوصف لبيان المقصود وتفسيره ومنه قوله تعـالىوما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه • قال في الكشاف فان قلت هـلا قيل وما من دابة ولا طائر الا أمم امثالكم وما معني زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معني ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط فى جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة أحوالها غير

فلِلتَّقرِيرِ أودفعِ توَهُّمِ التّجوُّزِ أو السهوِ أوعدمِ الشُّمُولِ *وأما بيانهُ فلإيضاحِهِ باسْمٍ مختَصٍّ به نحوُ قَدِمَ صدَيقُكَ خالِدٌ *

مهمل أمرها (التجوز) أي التكلم بالمجاز (أو عدم الشمول) أي أو لدفع توهم عدم الشمول فأنت انما تقول جاء القوم كلهم لانك لو قلت جاء القوم وسكت لكان يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف بعضهم الا انك لم تعتد به او انك جعلت الفعل الواقع من البعض كالواقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما يقال للقبيلة . فعلتم وصنعتم . يراد فعل قد كان من بعضهم . وربما يجمع بين كل واجمعين بحسب اقتضاء المقام كقوله تعالى. فسجد الملائكة كلهم اجمعون : بناء على كثرة الملائكة واستبعاد سجود جميعهم مع تفرقهم واشتغال كل منهم بشأن وبهذا يزداد التعيير والتقريع على ابليس • واعلم انهم لم يعنوا بقولهم التوكيد يفيد الشمول انه يوجبه من أصله وانه لولاه لما فهم الشمول من اللفظ والا لم يسم توكيداً وانما المعنى انه يمتنع ان يكون اللفظ المقتضي للشمول مستعملا على خلاف ظاهره ومتجوزا فيه (بيانه) أي تعقيبه بعطف البيان (فلايضاحه) وقد يجيء عطف البيان لغير الايضاح كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس *فقد ذكر الزمخشري ان البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به للمدح لا للايضاح كما تجيء الصفة لذلك وذكر في قوله تعالى ألا بُعداً لعاد قوم هود انه عطف بيان لعاد وفائدته وان كان البيان حاصلا بدونه ان يوسموا بهذه الدعوة

*وأمَّا الإِبْدَالُ مِنْهُ فلزيادةِ التَّقرِيرِ نحوُ جاءنى زيدٌ أخُوكَ وجاء القومُ أكثرُهم وسُلِبَ عمرٌو ثوبُه *وأما العطفُ فلتفصيلِ المُسنَدِ اليهِ معَ اختصارٍ نحوُ جاء زيدٌ وعمرٌو أوالمُسْنَدِ كذَلكَ نحو جاءنى زيد فعمرٌو أو ثمَّ عمرٌو أو جاءني القومُ حتي خالِدٌ أو رَدِّ السامعِ الى الصوَّابِ نحْوُ جاءنى زيدٌ لاَ عمرٌو أو صَرْفِ

وسما وتجعل فيهم أمراً محققاً لاشبهة فيه بوجه من الوجوه (فلزيادة التقرير) انما عبر بذلك ايماء الى ان البدل هو المقصود بالنسبة والتقرير زيادة تحصل تبعا (نحو جاءنى زيد أخوك) مثال لبدل الكل والتقرير فيه ظاهر لما فيه من التكرير ، ومثاله وهو من غير المسند اليه قوله تعالى • اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم • قال في الكشاف وفائدة البدل التوكيد لما فيه من التكرير والاشعارُ بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين (وجاء القوم اكثرهم) مثال لبدل البعض وقد حصل التقرير فيه بذكر ما اشتمل عليه الاول بالدلالة الكلية فان الاكثر بعض القوم (وسلب زيد ثوبه) مثال لبدل الاشتمال وبيان التقرير فيه ان المبدل منه يشعر به في الجملة فالنفس قبل ذكره تتشوف لشئ يطلبه المبدل منه فاذا ذكر صار متكررا (كذلك) اى مع اختصار (نحو جاءنى زيد فعمرو الخ) فالفاء وثم وحتى تشترك في تفصيل المسند وتختلف من جهة ان الفاء تدل على ان ملابسة الفعل للتابع بعد ملابسته للمتبوع بلا مهلة وثم كذلك مع مهلة وحتى مثل ثم الا ان فيها دلالة على ان ما قبلها مما ينقضي شيئاً فشيئاً الى أن يبلغ ما بعدها (جاءني زيد لا عمرو) تقول

الحُكْمِ الى آخَرَ نحوُ جاءنى زيد بلْ عمرٌو وما جاءنى عمرٌو بل زيد أو الشكِّ أو التَّشْكيكِ للسامعِ نحوُ جاءنى زيد أو عمرٌو

*وأما فَصلُه فلتخصيصهِ بالمُسند

لك لان زعم ان عمرا جاءك دون زيد او انهما جاآك جميعا • ومثل ذلك أن تقول ما جاءني زيد لكن عمرو • فانك تخاطب به من يعتقد ان زيدا جاءك دون عمرو (آخر) أي محكوم عليه آخر (نحو جاءني زيد بل عمرو) اعلم ان بل اذا تقدمها ايجاب جعلت ماقبلها كالمسكوت عنه عند الجمهور اومقطوعا بنفي الحكم عنه عند ابن الحاجب واثبت الحكم لما بعدها عند الجميع وان تقدمها نفي او نهي فهي لتقرير ما قبلها على حالته وجعل ضده لما بعدها وعند المبرد انها تنقل معنى النفي والنهي لما بعدها (أو الشك) أي شك المتكلم (أو التشكيك للسامع) اي ايقاعه في الشك •• بقي الابهام كقوله تعالي وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين والاباحة والتخيير مثل قولك ليدخل الدار زيد أو عمرو والفرق بينهما واضح فان الاباحة لا تمنع من الاتيان بالشيئين او الاشياء جميعاً (فصله) اي تعقيبه بضمير الفصل (فلتخصيصه بالمسند) اي لقصر المسند على المسند اليه • وقد يكون الفصل للتأكيد فحسب وذلك اذا كان التخصيص حاصلا بدونه بان يكون في الكلام ما يفيد قصر المسند على المسند اليه نحو • ان الله هو الرزاق • أو قصر المسند اليه على المسند كقول ابي الطيب

اذا كان الشباب السكر والشيـ * ـب همًّا فالحياة هي الحمام

(واعلم) ان مثل هذه المباحث المذكورة في العطف والفصل ولو بنيت

*وأما تقديمه فلكون ذِكرِهِ أهَمَّ إمَّا لِأَنَّهُ الاصلُ ولا مُقْتَضِيَ للعُدُولِ عنْهُ وإِمَّا لِيَتَمكَّنَ الخبرُ في ذهنِ السامعِ لِأَنَّ في المبتدَا تشويقاً اليهِ كقولهِ

والَّذِي حارَتِ البَرِيَّةُ فيهِ * حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جمادِ

وإمَّا لِتعجيلِ المَسَرَّةِ أوالمَسَاءَةِ للتفاؤُلِ أو التَّطيُّرِ نحوُ سَعدٌ في دارِكَ والسفَّاحُ في دَارِ صَدِيقكَ وإمَّا لإِيهامِ أَنَّهُ لا يزولُ عن الخاطرِ أو أَنَّهُ يُسْتَلَذُّ به وإِما لنحوِ ذَلكَ . قال عبدُ القاهرِ

في النحو فانها تذكر في البيان باعتبار استعمالها لمناسبة الحال . وهكذا كل ما ماثلها في ذلك (تقديمه) اعلم ان للتقديم في باب البلاغة القِدْح المعلى فانه لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك الى لطيفة ولا تزال تري شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان (والذى) البيت لابى العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعرى من أبيات يرثى بها فقيهاً حنفياً منها

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يدعونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعمال الى دار شقوة أو رشاد

والمقصود بالحيوان في البيت هو الانسان كما لا يخفى والحيرة الواقعة فيه من جهة نياط النفس بالجسم هذا وقد جعل السكاكى البيت شاهدا لكون المسند اليه موصولا وهو أحسن (وإما لنحو ذلك) مثل الدلالة

وقد يُقَدَّمُ لِيُفِيدَ تخصيصَهُ بالخبر الفعليِّ إنْ وَلِيَ حرفَ النَّفْيِ، نحوُ ما أنا قُلْتُ هذا أيْ لم أَقُلْهُ مع أنه مقولٌ لغيري ولهذا لم يَصِحَّ ما انا قلتُ هـذا ولا غيري ولا ما أنا رأيتُ أحداً

على أن المطلوب انما هو اتصافه بالخبر لا نفس الخبر كما اذا قيل لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب ويطرب ومثل افادة زيادة تخصيص كقوله

متى تهزز بني قطن تجدهم سيوفا في عواتقهم سيوف
جلوس في مجالسهم رزان وان ضيف ألمَّ فهم خفوف

(وقد يقدم الخ) هذا مغزي كلام عبد القاهر لا لفظه (تخصيصه بالخبر الفعلي) اي قصر الخبر الفعلي عليه (ولي حرف النفي) أي وقع بعد حرف النفي بلا فصل. (اي لم أقله الخ) فأفاد التقديم نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك فلا تقول ذلك الا في شيء ثابت انه مقول وانت تريد نفي كونك قائلا له ومن ذلك قوله

وما انا اسقمت جسمي به * ولا انا اضرمت في القلب نارا

المعني على ان السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفي اليه ولكن الى ان يكون هو الجالب له ويكون قد جره الى نفسه ومثله قوله * وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله * الشعر مقول على القطع والنفي لأن يكون هو وحده القائل له (لم يصح ما انا قلت هذا ولا غيري) لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الاول .. والذى يصح عند قصد هـذا المعني أن يقال ما قلت انا ولا احد غيري (ولا ما انا رأيت أحدا) لانه يقتضي المحال وهو ان يكون انسان غير المتكلم قد رأي كل أحد من الناس لانه قد نفي عن المتكلم الرؤية على جهة العموم في المفعول

ولا ما أنا ضربتُ الاَّ زيداً وإلاَّ فقد يأتى للتخصيص رداً على من زعم انفرادَ غيره به أو مشاركتَهُ فيه نحوُ أنا سعيتُ في حاجتكَ ويؤَكَّدُ على الأَوَّلِ بنحوِ لا غيرِي وعلى الثانى بنحو وَحْدِي وقد يأتى لتقوية الحُكْمِ

لان النكرة في سياق النفي تعم فيجب ان تثبت لغيره على جهة العموم فى المفعول (ولا ما انا ضربت الا زيدا) لان نقض النفي بالا يقتضي ان يكون القائل له قد ضرب زيدا وايلاء الضمير حرف النفي يقتضى ان لا يكون ضربه وذلك تناقض (والا) قد علمت ان المسند اليه المقدم ان ولى حرف النفي فهو يفيد التخصيص ألبتة وان لم يل حرف النفى بان لا يكون ثم نفي اصلا او يكون حرف النفى متأخرا عن المسند اليه فقد يفيد التخصيص وقد يفيد التقوى (غيره) اى غير المسند اليه (به) أى بالخبر الفعلى (ويؤكد على الاول) وهو ان يكون الكلام للرد على من زعم انفراد الغير (وعلى الثانى) وهو ان يكون للرد على من زعم المشاركة : فان قلت انا فعلت كذا وحدى في قوة انا فعلته لاغيرى فلم اختص كل منهما بوجه من التوكيد دون وجه فانا نقول لان جدوي التوكيد لما كانت اماطة شبهة خالجت قلب السامع وكانت في الاول ان الفعل صدر من غيرك وفي الثاني انه صدر منك بشركة الغير اكدت وأمطت الشبهة في الاول بقولك لا غيرى وفى الثاني بقولك وحدى لانه محزه ولو عكست احلت هذا ومن البين فى

ذلك قولهم في المثل . اتُعلمنى (١) بضب انا حَرَشْتُه (نحو هو يعطي الجزيل)فانت لاتريد ان غيره لايعطي الجـزيل ولاان تعرض بانسان ولكن تريد ان تقــرر في ذهن السامع وتحقق انه يفعــل اعطاء الجـزيل وسبب التقوى على ما ذكره الشـيخ عبـد القاهر هو ان الاسم لايؤتى به معرى من العوامل الا لحديث قد نوي اسناده اليـه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت قلب السامع بذلك أنك تريد الحـديث عنه فهذا توطئة له وتقدمة للإعلام به فاذا جئت بالحديث فقلت قام مثلا دخل على القلب دخول المأنوس به وذلك لامحالة أشـد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع للشك وجملة الامر انه ليس اعلامك بالشئ بغتة مثـل الاعلام به بعد التنبيه عليـه لان ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التأكيد والإحكام (قال) ويشهد لمـا قلنا انا اذا تأملنا وجدنا هـذا الضرب من الكلام يجئ فيما سبق فيـه انكار من منكر نحو ان يقول الرجل • ليس لى علم بالذى تقول . فتقول أنت تعـلم ان الامر على ما أقول ولكنك تميل الى خصمى •• ويجئ فيما اعترض فيه شك نحو ان تقول للرجل .. كانك لاتعـلم ماصنع فلان ولم يبلغك . فيقول أنا أعلم ولكنى أداريه .. وفي تكذيب مدع كقوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فان قولهم آمنا دعوي منهم

(١) المثــل يقوله العالم بالشئ لمن يريد تعليمه اياه وحرش الضب واحترشه صاده بالحيلة المعروفة وهي ان يحرك يده على باب جحره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربه فيأخذه

نحوُ أنتَ لا تَكذِبُ فانه أشَدُّ لنفي الكَذِب من

انهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به فالموضع موضع تكذيب .. وفيما القياس في مثله ان لايكون كقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون وذلك ان عبادتهم لها تقتضي ان لاتكون مخلوقة: وفيما يستغرب من الامر نحو ان تقول الا تعجب من فلان يدعي العظيم وهو يعيي باليسير ويزعم انه شجاع وهو يفزع من من أدني شيء : وفي الوعد والضمان كقول الرجل أنا أعطيك أنا أكفيك وذلك ان من شأن من تعده وتضمن له ان يعترضه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به فهو من أحوج شيء الى التأكيد•• وفي المدح والافتخار كقول الحماسي

هم يَفرُشون (١) اللِّبدكلَّ طِمِرة وأجردَ سبَّاحٍ يَبُذُّ المغالبا

وقول الحماسة

هما يابسان المجد أحسن لِبسةٍ شحيحان ماسطاعا عليه كلاهما

وقول الحماسي

هم يضربون (٢) الكبش يَبرق بيضهُ على وجهه من الدماء سبائب

وذلك ان من شأن المادح ان يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويبعدهم عن الشبهة وكذلك المفتخر كقول طرفة* نحن في المَشْتاةُ ندعو الجَفَلَيَ* المشتاة مكان الشتاء اوزمانه والجفلي الدعوة العامة الى الطعام(نحو

(١) اللبد الصوف والطمرة الفرس الجواد والاجرد الفرس القصير الشعر والسباح الذي يشبه عدوه السباحة ويبذ يغلب

(٢) الكبش رئيس الجيش يتركونه قتيلا والسبائب الثوب يشبهون بها طرائف الدم

لا تكذِبُ وكذا مِنْ لا تكذِبُ أنتَ لِانهُ لتأكيدِ المحكوم عليه لا الحكمِ وإنْ بُنِيَ الفعلُ على منكَّرٍ أفادَ تخصيصَ الجِنسِ أو الواحدِ به نحوُ رَجلٌ جاءني اي لاَامرأةٌ أوْلا رَجلاَنِ

أنت لاتكذب) مثاله قوله تعالى والذين هم بربهم لايشركون فانه يفيد من التأكيد في نفي الاشراك مالا يفيده قولنا والذين لايشركون بربهم ولاقولنا والذين بربهم لايشركون (لانه) اى لفظ انت في لاتكذب انت (لتأكيد المحكوم عليه) لئلا يتوهم انه غير ضمير المخاطب واسند الحكم للضمير تجوزا او سهوا او نسيانا (وان بني على منكر) يعني ان اخبر بالفعل عن منكرا فاد تخصيص الجنس او الواحد به نحو رجل جاءني اي لاامرأة او لارجلان وذلك لان اصل النكرة ان تكون لواحد من الجنس فيقع القصد بها تارة الى الجنس فقط كما اذا كان المخاطب بهذا الكلام قد عرف ان قد اتاك آت ولم يدر جنسه ارجل هوام امرأة اواعتقد انه امرأة وتارة الى الواحد فقط كما اذا عرف ان قد أتاك من هو من جنس الرجال ولم يدر ارجل هوام رجلان او اعتقد انه رجلان (وبعد) فحاصل كلام عبد القاهر ان الاسم اذا قدم على الفعل فان ولى حرف النفي افاد التقديم ان نفي الفعل مخصوص بهذا الاسم وان لم يل حرف النفي اقتضى ذلك ان يكون القصد الى الفاعل الا ان المعنى من هذا القصد ينقسم قسمين احدهما ما يفيد تخصيص فحوى الفعل بالاسم للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه الثاني مالايفيد الا تقوى الحكم وتقرره في ذهن السامع وهكذا أيضاً

..ووافقه السكاكي على ذلك إلا أنه قال التقديم يفيد الاختصاص إن جاز تقدير كونه في الاصل مؤخرًا على انه فاعل معنى فقط نحو أنا قمت وقدر وإلا فلا يفيد الا التقوي الحكم سواء جاز كما مر ولم يقدر او لم يجز نحو زيد قام واستثني المنكر

الفعل المنفي فاذا قلت انت لاتحسن هذا كان أشد لنفي احسان ذلك عنه من ان تقول لاتحسن هذا حتى لو اتيت بأنت فيما بعد تحسن فقلت لاتحسن انت لم يكن له تلك القوة هذا كله اذا بني الفعل على معرف فان بني على منكر افاد التقديم تخصيص الجنس او الواحد بالفعل كما علمت (على ذلك) اي على ان التقديم يفيد التخصيص والتقوى (الا انه قال) حاصل مذهبه ان المسند اليه المقدم ان كان نكرة فهو للتخصيص ان لم يمنع منه مانع وان كان معرفة فان كان مظهرا فلا يكون للتخصيص ألبتة وان كان مضمرا فان قدر كونه في الاصل مؤخرا فهو للتخصيص والا فللتقوي (نحو انا قمت) فانه يجوز ان تقدر أصله قمت أنا على ان انا تأكيد للفاعل الذي هو التاء في قمت فيكون فاعلا في المعنى وان كان تأكيدا في اللفظ (وقدر) معطوف على جاز يقول ان افادة التخصيص تتوقف على شيئين احدهما جواز التقدير والآخر حصول ذلك التقدير من المتكلم (نحو زيد قام) فانه لايجوز ان يقدر ان أصله قام زيد فقدم لانه يلزم عليه تقديم الفاعل اللفظي وهو لايجوز (واستثنى الخ) لما كان مغزى كلامه قبل ان لايكون نحو رجل جاءني مفيدا للتخصيص لانه اذا اخر فهو فاعل لفظا لامعنى استثناه بان قدر

بجعله مِنْ باب وَأَسرُّوا النَّجْوَي الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىْ على القول بالإِبدالِ مِنَ الضميرِ لئَلَّا يَنْتَفِيَ التخصيصُ اذْلا سببَ له سِوَاهُ بخلاف المُعَرَّفِ ثمّ قالَ وشرطهُ أَنْ لا يمنَعَ مِنَ التخصيصِ مانعٌ كقولِنا رجلٌ جاءني على ما مرَّ دُونَ قَوْلهم شَرٌّ أَهَرَّ ذاناب أَما على التقديرِ الاول فَلامتناعِ أَنْ يُرَادَ المُهِرُّ شرٌّ لا خيرٌ وأَمَّا على الثاني فَلِنُبُوِّهِ عن مَظانِّ استعماله واذْ قد صَرَّحَ الائمةُ بتخصيصه حيثُ تأَوَّلُوهُ بما أَهَرَّ ذاناب إِلاَّ شَرٌّ فالوجهُ

أصله جاءنى رجل لا على ان رجل فاعل جاءني بل على انه بدل من الفاعل الذي هو الضمير المستتر في جاءنى فيكون فاعلا معنى كما قيل في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا ان الذين ظلموا بدل من الواو فى أسروا وفرق بينه وبين المعرف بانه لولم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه اذ لاسبب لتخصيصه سواه ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدا بخلاف المعرف لوجود شرط الابتدا فيه وهو التعريف (وشرطه) اى شرط جعل المنكر من هذا الباب واعتبار التقديم والتأخير فيه (على مامر) من ان معناه رجل جاءني لاامرأة أو لارجلان (شراهر ذاناب) هذا مثل يضرب فى ظهور أمارات الشر ومخايله ·· واهره حمله على الهرير وهو التصويت وذو الناب السبع (الاول) يعنى تخصيص الجنس (الثاني) يعنى تخصيص الواحد (فلنبوه) لانه لايقصد به ان المهر شر

تفظيع شأنِ الشرِّ بتنكيره . . وفيهِ نظرٌ إذِ الفاعلُ اللفظيُّ والمعنويُّ سَواءٌ في امتناعِ التقديمِ ما بَقيا على حالهما فتجويزُ تقديمِ المعنويِّ دُونَ اللفظيِّ تحكُّمٌ ثمَّ لا نُسلِّمُ انتفاءَ التخصيص لولا تقديرُ التقديمِ لحصولِه بغيرِهِ كما ذكرَهُ ثم لا نُسلِّمُ امتناعَ أنْ يُرادَ المهرُّ شرٌّ لا خيرٌ . . ثم قال ويقرُبُ مِنْ هُوَ قامَ زيدٌ قائمٌ في التقوِّي لِتضمُّنه الضميرَ وشَبَّهَهُ بالخالى عَنْهُ من جهةِ عدمِ

لا شر ان (تفظيع شأن الشر بتنكيره) لان التنكير كما لا يخفى يفيد التعظيم والتهويل فيكون المعنى شر عظيم اهر ذا ناب لا شر حقير فيكون تخصيصاً نوعيا (هـذا) واني لا عجب من السكاكي عفا الله عنه حيث اسمع جعجعة ولا أرى طحناً وليت شعرى ما الذى حدا به الى مخالفة الامام عبد القاهر حتى وقع فى ذلك الخبط الظاهر (وبعد) فما كان يليق بالمصنف ان يثبت مذهبه هذا بين سطور كتابه (والمعنوى) كالتأكيد والبدل (ما بقيا على حالهما) أى ما دام الفاعل فاعلا والتابع تابعاً (تحكم) أي حكم بلا موجب (انتفاء التخصيص) يعنى فى نحو رجل جاءني (كما ذكره) اى السكاكي فى بيان وجه الخصوص فى قولهم شراهر ذا ناب من التهويل والتفظيع (ثم لا نسلم امتناع ان يراد المهر شر لا خير) قال الشيخ عبد القاهر انما قدم شر لان المراد ان يعلم ان الذي اهر ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير فجرى مجرى ان تقول رجل جاءنى تريد انه رجل لا امرأة وقوله

تَغَيُّرِه في التكلم والخطاب والغَيبة ولهذا لم يُحكَمْ بانه جملةٌ ولا عُومِلَ معاملتَها في البنَاء . . ومما يُرَى تقديمُهُ كاللازم لفظ مِثْلُ وَغَيْرُ في نحو مِثْلُكَ لا يَبْخَلُ وغيرُكَ لا يجود بمعنيأنتَ

العلماءانه انما صاح لانه بمعنى ما اهرذاناب الاشربيان لذلك وهذاصريح في خلاف ما ذكره السكاكي (ثم قال) هاك ما قاله السكاكي في مفتاحه بعد تقرير التقوى في نحو هو قام لما فيه من الاسناد مرتين . . ويقرب من قبيل انا عرفت وانت عرفت وهو عرف في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وانما قلت يقرب دون ان أقول نظيره لانه لما لم يتفاوت في التكلم والخطاب والغيبة في انا عارف وأنت عارف وهو عارف أشبه الخالى عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بأنه جملة ولا عومل معاملتها فى البناء حيث أعرب فى نحو رجل عارف رجلا عارفا رجل عارف (مثل وغير) اذا استعملا على سبيل الكناية (فى نحو مثلك لايبخل) مما لايراد بلفظ مثل انسان غير ما أضيف اليه ولكن اريد ان من كان على الصفة التى هو عليها كان من مقتضى القياس ان يفعل ما ذكر أو ان لا يفعل ولكون المعنى هذا قال الشاعر

ولم أقــل مثلك أعنى به   سواك يا فردا فى محاسنه

وعليه قول المتنبى

ملك يثنى المزن عن صوبه   ويسترد الدمع عن غربه

(وغيرك لا يجود) مثاله قول المتنبي

* غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع *

لا تبخلُ وأنتَ تجودُ من غيرِ ارادةِ تعريضٍ لغيرِ المخاطبِ لكونه أعونَ علي المرادِ بهما٠٠ قِيلَ وقد يقدَّمُ لأنَّهُ دَالٌّ على العُمومِ نحوُ كلُّ إنسانٍ لم يَقُمْ بخلاف مالَوْ أُخِّرَ نحوُ لم يقم كلُّ إنسانٍ فانه يُفِيدُ نفيَ الحكمِ عن جُمْلَةِ الأفرادِ لا عن كلِّ فردٍ وذلكَ لِئَلاَّ يلزَمَ ترجيحُ التأكيدِ

فانه معلوم انه لم يرد أن يعرض بواحد هناك فيصفه بانه ينخدع بل أراد انه ليس ممن ينخدع وكذا قول أبي تمام

وغيري يأكل المعروف سحتا ٠ وتشحب عنده بيض الايادى

فانه لم يردان يعرض بشاعر سواه فيزعم ان الذى قرف به عند الممدوح من انه هجاه كان من ذلك الشاعر لامنه بل أراد أن ينفى عن نفسه ان يكون ممن يكفر بالنعمة ويلؤم هذا واستعمال مثل وغير هكذا مركوز فى الطباع واذا تصفحت الكلام وجدتهما يقدمان أبداً على الفعل اذا نحى بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى فيهما اذا لم يقدماوالسرفى ذلك ان تقديمها يفيد تقوى الحكم كما سبق تقريره وسيأتى أن المطلوب بالكناية في مثل قولنا مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود هو الحكم وان الكناية أبلغ من التصريح فيما قصد بها فكان تقديمهما اعون للمعنى الذى جلبا لاجله (قيل) القائل ابن مالك وجماعة (نحو كل انسان لم يقم) فتقديم كل انسان على لم يقم يفيد نفى القيام عن كل الناس (وذلك لئلا يلزم الخ) يقول هذا القائل انه لولم يكن التقديم مفيدا لعموم النفى والتأخير

عَلى التأسيس لأَنَّ المُوجَبَةَ المُهْمَلَةَ المَعْدُولَةَ المَحْمُولِ في قُوَّةَ السَّالِبَةِ الجُزْئِيهِ المستَلزِمَةِ نَفيَ الحُكم عَنِ الجُمْلَةِ دُونَ كل فردِ

مفيدا لنفى العموم يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس ومعلوم ان التأسيس الذى هو انشاء معنى لم يكن حاصلا قبل أرجح من التأكيد الذى هو افادة ماقد حصل لان الافادة خير من الاعادة • وبيان اللزوم في التقديم ان قولنا انسان لم يقم موجبة مهملة معدولة المحمول أما انها موجبة فلانه حكم فيها بثبوت عدم القيام لانسان وأما انها مهملة فلانه أهمل فيها بيان كمية افراد المحكوم عليه وأما انها معدولة المحمول فلان حرف السلب قد جعل جزأ من المحمول واذا كانت كذلك كان معناها السلب عن جملة الافراد من غير تعرض لكليتها ولا لجزئيتها والمحقق منها السلب عن البعض فهى في قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن الجملة ألبتة لان مفهومها سلب الحكم عن بعض الافراد كقولنا ليس بعض الانسان بقائم وهذا المعنى يصدق عند انتفاء الحكم عن بعض الافراد دون بعض وعند انتفائه عن كل فرد وعلى كل حال يصدق النفي عن جملة الافراد أى عن مجموعها على طريق السلب المسلط على الاثبات الكلى واذا كان ذلك كذلك كانت المهملة والجزئية متلازمتين لانه كلما صدق السلب عن البعض الذى هو مفاد الجزئية صدق ثبوت السلب للمصدوق في الجملة الذي هو مفاد المهملة وكلما صدق ثبوت السلب للمصدوق في الجملة صدق السلب عن البعض •• فيتحقق بهذ ان الموجبة المهملة المعدولة المحمول للسلب عن الجملة لا عن كل فرد •••

والسالبةَ المهملةَ في قُوَّةِ السَّالبةِ الـكلية المُقْتَضيةِ للنفى عن كلّ فـردٍ لورُودِ مـوضوعها في سياقِ النَّفي وفيه نظرٌ لأنَّ النفيَ عن الجملةِ في الصُّورَةِ الأُولى وعن كلّ فردٍ في الثانيـةِ إنمـا أفادَهُ الإِسنادُ الى ما أُضيفَ إليه كلٌّ وقد زَالَ ذلكَ بالإِسـنادِ اليهـا فيكونُ تأسيساً لا تأ كيداً

فلو كان انسان لم يقم بعد دخول كل أيضا معناه كذلك كان كل مفيدا للمعنى الحاصل قبله فيجب ان يحمل على نفي الحكم عن كل فرد ليكون كل لتأسيس معنى آخر ترجيحا للتأسيس على التأ كيد ... وبيان اللزوم في التأخير أن قولنا لم يقم انسان سالبـة مهملة والسالبة المهملة في قوة السالبة الكلية المقتضية للنفى عن كل فرد مثل لاشئ من الانسان بقائم وانما كانت تلك في قوة هذه لورود موضوعها وهو نكرة في سياق النفي والنكرة فى سياق النفي تعم فمعنى لم يقم انسان نفي الحكم عن كل فرد فلو كان بعد دخول كل أيضا كذلك كان كل لتأ كيد معنى حصل قبل فيجب ان يحمل على نفي القيام عن جملة الافـراد ليكون كل لتأسيس معنى آخر اذ التأسيس أرجح من التأ كيد (وفيه) أي فيما استدل به هـذا القائل اما أصل قوله فصحيح (الاولى) يعني الموجبة المهملة المعدولة المحمول كقولنا أنسان لم يقم (الثانية) يعني السالبة المهمـلة كقولنا لم يقم انسان (ماأضيف اليه كل) وهو لفظ انسان (فيكون تأسيسا لاتأ كيدا) لان التأ كيد لفظ يفيد تقوية مايفيـده لفظ آخر

ولأنَّ الثانيةَ إذا أفادَتِ النَّفيَ عن كلّ فرد فقدْ أفادتِ النفيَ عن الجملة فإذَا حُملَتْ على الثاني لا يكونُ كلٌّ تأسيساً ولأنَّ النكرَةَ المنفيَّةَ إذا عمَّتْ كانَ قوْلُنا لم يَقُمْ انسانٌ سالبةً كُلّيةً لا مهملةً .. وقال عبدُالقاهر إنْ كانت كلٌّ دَاخلةً في حَيِّز النفيِ بأنْ أُخرَتْ عن أدَاتهِ نحوُ *ما كُلُّ ما يَتمنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ*

وما نحن فيه ليس كذلك (وبعدُ) فقد قالوا ان هذا المنع لا يصح الا على تقدير ان يراد التأكيد الاصطلاحى أما لو أريد بذلك ان يكون كل لافادة معنى كان حاصلا بدونه فاندفاع المنع ظاهر (الثانية) يعني السالبة المهملة (حملت) أي كل (الثاني) وهو النفى عن جملة الافراد (لايكون تأسيسا) بل تأكيدا لان هـذا المعني كان حاصلا بدونه وحينئذ فلو جعلنا لم يقم كل انسان لعموم النفي مثل لم يقم انسان لم يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس اذلا تأسيس أصلا بل يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر (ولان النكرة) هـذا بحث في التسمية يقول ان النكرة المنفيةاذا عمت كانت القضية المحتوية عليها سالبة كلية لامهملة فتسمية ذلك القائل هـا بالمهملة لايصح (وقال عبد القاهر) كلامه هو مفاد كلام ابن مالك وجماعته ولكن أين الماء من السماء وموقع السيل من مطالع سهيل وحبذا صنيع المصنف لو اكتفى بكلام الامام عبد القاهر وعدل عن تلك العبارة اليونانية كما لايخفى على طبع الذكي وضمير المنصف (ثم) ان ماذكره المصنف هو مغزى كلام عبد القاهر لالفظه ومن ثم كان فيه من التعقيد ماالامام منه براء (نحو

أومعمولةً للفعلِ المنفيّ نحوُ ماجاء القومُ كلُّهمْ أو ماجاء كلُّ

ما كل) مثله قول الآخر * ما كل رأي الفتى يدعو الى رشد *
والبيت للمتنبي وتمـامه * تجرى الرياح بمـا لاتشتهى السفن * وهو
مأخوذ من قول طرَفة بن العبد

فيالك من ذي حيلة حيل دونها   وما كل مايهوى أمرؤ هو نائله

(أومعمولة للفعل المنفي) الذي يظهر ان ذلك معمول لفـعل مقدر
معطوف على أخرت أي أو جعلت معمولة ... وهاك عبارة الشيخ عبد
القاهر مع تصرف مّا واعلم انك اذا أدخلت كلا في حيز النفي بان تقدم
النفي عليه لفظا أو تقديرا • يعني كما اذا قدمته على الفعل المنفي العامل
فيه فانه مؤخر تقديرا لان مرتبة المعمول التأخر عن العامل • .فالمعنى
على نفي الشمول دون نفي الفعل والوصف نفسه والسبب في ذلك انك
اذا قلت اتانى القوم مجتمعين فقال قائل لم يأتك القوم مجتمعين كان نفيه
ذلك متوجها الى الاجتماع الذى هو تقييد فى الاتيان دون الاتيان نفسه
حتى انه ان أراد ان ينفي الاتيان من أصله كان من سبيله ان يقول انهم
لم يأتوك أصلا فمـا معني قولك مجتمعين . واذا كان هذا حكم النفي اذا
دخل على كلام فيه تقييد فان التأكيد ضرب من التقييد فمتى نفيت كلاما
فيه تأكيد فان نفيك ذلك يتوجه الى التأكيد خصوصا فاذا قلت لم أر
كل القوم كنت عمدت بنفيك الى معنى كل خاصة واذن يجب ان يكون
قد أتاك بعض القوم * • واذا أخرجت كلا من حيز النفي ولم تدخله
فيه لالفظا ولا تقـديرا كان المعنى على انك تتبعت الجملة فنفيت الفعل
والوصف عنها واحـدا واحدا والعلة في ان كان ذلك كذلك انك اذا

القوم ولم آخُذْ كلَّ الدَّراهم أو كلَّ الدراهم لم آخُذْ توَجَّهَ النفيُ الى الشُّمولِ خاصةً وَأَفادَ ثبوتَ الفعل أو الوصفِ لبعضٍ

بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه وسلطت الكلية على النفي واعمالها فيه وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي ان لايشذ شيء عن النفي فاعرفه (توجه النفي الى الشمول خاصة) فان قلت فما تصنع في قوله تعالى والله لايحب كل مختال فخور • والله لايحب كل كفار أثيم • فانا نقول قد عرضنا ذلك على شيخنا الإمام فأجاب حفظه الله بمايشرح الصدر ويملأ النفوس ارتياحا قال • • قد يعدل عما يدل على عموم السلب الى ما يفيد سلب العموم * والسلب عام على الحقيقة * للتعريض بالمخاطب والايماء الى انه شر صنفه مثلا اذا قلت لسفيه * تعرض بانه شر السفهاء * انا لا احب كل سفيه فالمعنى انه لو فرض ان محبتي تتعلق بسفيه لكنت غير موضع لها * وكذلك الذى جاء فى الآيات الكريمة اريد به والله أعلم التعريض بمن نزلت فيهم من أعداء الله وانهم شر اصنافهم فقوله تعالى والله لا يُحبُّ كلَّ مختال فخور معناه ان محبة الله لا تعم المختالين الفخورين حتى تشمل هؤلاء فكأنه سبحانه يقول لو ان محبتنا تعلقت بمختال فخور لما تعلقت بأؤلئك لان مختالهم وفخورهم شر مختال وفخور وهكذا يقال فى سائر الآيات وما يكون ظاهره انه من سلب العموم وحقيقته انه من عموم السلب (وأفاد ثبوت الفعل أو الوصف لبعض أو تعلقه به) اما افادته ثبوت الفعل أو الوصف ففيما اذا كانت كل فاعلا معنى اولفظا للفعل او الوصف واما افادته تعلق الفعل او الوصف ففيما اذا كانت مفعولا لفظا أو معنى لهما واطلاق الثبوت على نسبة احدهما للفاعل والتعلق على نسبته للمفعول

أو تعلّقَهُ به وإلاَّ عَمَّ كلَّ فردٍ كقول النبي صلى الله عليه وسلَّمَ . لمَّا قال له ذُو اليَدَيْن أَقصُرَتِ الصلاَّةُ أم نَسِيْتَ . كلُّ ذلكَ لم يكُنْ وعليه قولهُ

قَدْ أَصبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ تَدَّعِي * عَلَيَّ ذنباً كلُّهُ لم أَصْنَعِ

اصطلاح شائع (والا) أي وان لم تكن كل داخلة في حيز النفي بان قدمت عليه لفظا ولم تكن معمولة للفعل المنفي (كل ذلك لم يكن) فالمعنى لا محالة على نفي الامرين جميعا وعلى انه عليه السلام أراد انه لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان والدليل على ذلك وجهان أحدهما ان السؤال بأم عن أحد الامرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الابهام فجوابه اما بالتعيين أو بنفي كل واحد منهما وثانيهما ما روي أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن قال له ذو اليدين بعض ذلك قد كان والايجاب الجزئي نقيضه السلب الكلي (وعليه قوله) أي قول أبي النجم ومثله قول دعبل

فوالله ما أدرى باي سهامها رمتني وكل عندنا ليس بالمكدى(١)
أبا الجيد أم مجري الوشاح وانني لأتهم عينيها مع الفاحم الجَعْد

المعنى على نفي ان يكون في سهامها مكد على وجه من الوجوه . ومن البين في ذلك قوله

فكيف وكل ليس يعدو حمامه ولا لامرئ عما قضى الله مَزْحَلُ

(كله لم أصنع) برفع كله على معنى لم أصنع شيئاً مما تدعيه عليّ من

(١) المكدى الذي يحفر ولا يجد الماء أي وليس من سهامها مايخطي

* وأمَّا تأخيرُه فلاقتضاءِ المقامِ تقديمَ المسندِ . . هذا كلُّه مُقتضى الظاهرِ . وقد يُخرَجُ الكلامُ على خلافِه فيوضعُ المضمرُ موضعَ المظهرِ كقولهم نِعمَ رجلاً زيدٌ مكانَ نعمَ الرَّجلُ في أحدِ القولينِ وقولهِم هُوَ أوهِيَ زيدٌ عالمٌ مكانَ الشأنُ أو القصةُ ليتمكَّنَ مايعقُبُهُ في ذهنِ السامعِ لأنَّهُ اذا لم يَفهمْ منه معنًى انتظرَهُ وقد يُعكسُ فانْ كانَ

الذنوب ولهذا عدل عن النصب (فلا قتضاء المقام تقديم المسند) وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله (كقولهم)ابتداء من غير جري ذكر أو قرينة حال (في أحد القولين) وهو القول بان المخصوص خبر مبتدأ محذوف وأما من يجعل المخصوص مبتدأ ونعم رجلا خبره فيحتمل عنده أن يكون الضمير عائدا الى المخصوص وهو متقدم تقديراً (وقولهم هو أو هى زيد عالم) ويختار تأنيث هذا الضمير اذا كان في الكلام مؤنث غير فضلة نحو • هى هند مليحة وقوله جل شأنه • فانها لا تعمي الابصار، قصداً الى المطابقة لا أنه راجع الى ذلك المؤنث • ولم يسمع نحو هي زيد عالم وان كان القياس يقتضي قياسه.هذا ومن ذلك وان كان من غير باب المسند اليه قولهم ياله رجلا ويالها قصة وربه رجلا وقوله تعالى فقضاهن سبع سموات(ليتمكن)تعليل لوضع المضمر موضع المظهر •• هذاوقد يكون وضع المضمر موضع المظهر لاشتهاره ووضوح أمره مثل قوله تعالى انا انزلناه أولادعاءان الذهن لا يلتفت الى غيره كقوله في المطلع * زارت

اسمَ إشارةٍ فلِكمالِ العنايةِ بتميـيزِه لاختصاصهِ بحُكمٍ بَديعٍ كقولِه

كَمْ عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مَذاهبُهُ * وجاهلٍ جاهلٍ تلقّاهُ مرْزُوقا
هذا الذي تَرَكَ الأوهامَ حائرَةً * وصيرَّ العالِمَ النّحْرِيرَ زِنديقا

أوالتهَكُّمِ بالسامِـعِ كما اذا كانَ فاقِدَ البصرِ أوالنداءِعلى كمالِ بَلادتِهِ أوفطانتِه أو ادّعاءِ كمالِ ظُهورِه وعليهِ منْ غيرِ هذا الباب

عليها للظلام رواق * الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد (يعكس) فيوضع المظهر موضع الضمر (كم عاقل) لأحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي هذا وان مما يفعم الحكيم دهشة ويملؤه استغرابا حال اولئك الشعراء الذين افاضوا في هذا المعنى وحاروا في ان لم يحظ العلماء بحطام الدنيا ونيل الجهلاء الحظ الاوفر من ذلك مع ظهور السبب لمن له مسكةمن فكر وذرة من علم ذاكلان العلماء قوم اختصهم الله بالاباء والعزة فهم لذلك يأنفون التكسب لما يستلزمه غالبا من الذّلة والملق وان سلكوا هذا السبيل صحبهم الفشل والخسارة لما لم يتوفر فيهم من شروط الكسب واسباب الربح وعلى العكس من ذلك تجد الجاهل والى الله مرجع كل شيء وهو الفاعل المختار

(أو النداء على كمال بلادته) لان في اسم الاشارة ايماء الى أن السامع لا يدرك الا المحسوس (أو فطانته) ففي استعمال اسم الاشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض ايماء الى ان السامع لذكائه صارت المعقولات

تعاللتِ كيْ أشجى وما بكِ علةٌ

تُريدينَ قتلي قدْ ظفرْتِ بذلكِ

.. وانْ كانَ غيرَهُ فلزيادةِ التمكُّن نحوُ قلْ هوَ اللهُ أحد اللهُ الصمدُ ونظيرُه من غيرِهِ وبالحقّ أنزلناهُ وبالحق نزلَ أو إدخالِ الرّوْعِ في ضميرِ السامعِ وتربيةِ المهابةِ أو تقْويةِ داعي المأمورِ

لديه كالمحسوسات (تعاللت) أي اظهرت العلة ومعنى اشجي احزن فانت تراه عمد الى اسم الاشارة مع ان المشار اليه غير محسوس وذلك لادعائه ظهور القتل وانه كالمحسوس والبيت لعبد الله بن الدمينة من قصيدة مطلعها

قفي قبل وشك البين يابنة مالك ولا تحرميني نظرة من جمالك

(فلزيادة التمكن) ومن هنا كان لاعادة اللفظ في مثل قوله

وإنْ طُرَّةٌ راقتك فانظر فربما أمرّ مذاق العود والعود اخضر

وقول المتنبي

بمن نضرب الامثال ام من نقيسه اليك واهل الدهر دونك والدهر

وبيت الحماسة

شددنا شدة الليث غدا والليثُ غضبان

من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل مالا يخفى موضعه وكان لو ترك فيها الاظهار الى الاضمار لعدمت الذي انت واجده الآن (الصمد) اي الذي يقصد في الحوائج ولا يقضي فيها غيره (وبالحق) مثله قول عبد الله بن عنمة * ان تسألوا الحق نعط الحق سائله * (داعي المأمور) اي ما

مِثالهُما قولُ الخلفاءِ أميرُ المؤمنينَ يأمرُكَ بكذا وعليهِ من غيرهِ فإذا عزمْتَ فتوكّلْ على اللهِ أو الاستعطافِ كقولهِ * إلهي عبدُكَ العاصي أتاكا *(السكاكيُّ) هذا غيرُ مختصٍّ بالمسندِ اليهِ ولا بهذا القدْرِ بلْ كلٌّ مِن التكلّمِ والخطابِ والغَيبةِ مطلقاً يُنْقَلُ الى الآخَرِ ويُسمّى هذا النقْلُ التفاتاً كقولهِ

يكون داعيا لمن امرته بشيء الى الامتثال والاتيان به (كقوله الهى عبدك العاصي أتاكا) فلم يقل انا العاصي اتيتك لان في لفظ عبدك من الخضوع الموجب للعطف والشفقة ماليس في لفظ انا وفيه مع ذلك تمكن من وصفه للعاصي ونظير هذا قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الى قوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذي يؤمن بالله وكلماته لم يقل فآمنوا بالله وبي ليتمكن من اجراء الصفات المذكورة عليه ويشعر بان الذي وجب الايمان به بعد الايمان بالله هو الرسول الموصوف بتلك الصفات كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وبعدا عن التعصب لنفسه(السكاكي هذا) عبارته. واعلم ان هذا النوع اعنى نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر ويسمي هذا النقل التفاتا عند علماء المعانى والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في القبول عند السامع واحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه وهم احرياء بذلك أليس

* تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَثْمُدِ * والمشهورُ أَنَّ الالتفاتَ هُوَ التعبيرُ عن معنىً بطريقٍ مِنَ الثلاثةِ بَعْدَ التعبيرِ عنه بِآخَرَ مِنْهَا وهذا أَخصُّ مثالُ الالتفاتِ مِنَ التكلمِ الى الخطابِ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الذي فَطَرَنِي واليه تُرْجَعُونَ والى الغَيبةِ إِنَّا أَعطيناكَ الكوثرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانحرْ وَمِنَ الخطابِ الى التكلم

قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دأبهم وهجيراهم (١) لامزقت ايدي الادوار لهم أديما ولا أباحت لهم حريماً افتراهم يحسنون قرى الاشباح فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الارواح فلا يخالفون فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد (كقوله تطاول) لامرئ القيس الكندي الصحابي من قصيدة يرثى بها اباه وتمامه *نام الخلي ولم ترقد* الاثمد اسم مكان والخطاب في ليلك لنفسه ومقتضى الظاهر ليلي فهو التفات على مذهب السكاكى وعند الجمهور تجريد ومثله قول ربيعة بن مقروم

بانت سعاد فامسى القلب معمودا * واخلفتك ابنة الحر المواعيدا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل واخلفتني (والمشهور) هذا من كلام المصنف (وهذا اخص منه) لان السكاكي اراد بالنقل ان يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره او كان مقتضى الظاهر ان يعبر عنه بغيره منها فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس (ومالى

(١) عادتهم

طَحَا بِكَ قلبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ
بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
يُكَلِّفُنِي لَيلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا * وعَادَتْ عَوادٍ بينناوَخُطُوبُ

والى الغَيْبَةِ حتى اذا كنتمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بِهِم وَمِن الغَيْبَةِ الى التكلم وَاللهُ الذي أرسلَ الرياحَ فَتثِيرُ سَحاباً فَسقْنَاهُ والى

الآية) أي ومالكم لاتعبدون الذى فطركم • تلطف في الارشاد بابرازه فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراد لهم ماأراد لها . واذعمدالى التكلم لذلك كان مقتضى الظاهر أن يجرى الكلام على طريقه فيقول واليه أرجع فلما تصدالى الخطاب حيث قال واليه ترجعون كان التفاتا (طحا بك) البيتان لعلقمة بن عبدة الفحل طحا بك ذهب بك كل مذهب وطروب له طرب في طلب الحسان ونشاط في مراودتهن وبعيد الشباب يعنى حين ولى وكاد ينصرم ومعنى عصر حان مشيب زمان قرب المشيب واهتمامه بالهجوم وشط بَعُد والولى القرب والعوادى الصوارف وعوادي الدهر عوائقه والخطوب الامور الشديدة تنزل فالتفت كما ترى في قوله يكلفني عن قوله بك (وبعد) فقد اشترطوا في الالتفات ان يكون المخاطب بالكلام في الحالين واحدا ومن هنا كان قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
أغثني يافداك أبي وأمي بسيب منك انك ذو ارتياح

ليس من الالتفات فى شيء لان المخاطب بالبيت الاول امرأته والمخاطب بالبيت

الخطاب مالك يوم الدين إياك نعبد . ووجهه أن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظاً للاصغاء اليه وقد تختص مواقعه بلطائف كما في الفاتحة فإن العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد من نفسه محركاً للاقبال عليه وكلما اجرى عليه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك الى أن يؤل الامر الى خاتمتها المفيدة أنه مالك الامر كله في يوم الجزاء فحينئذ يوجب الاقبال عليه والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع

الثانى هو الخايفة كما لايخفى (ووجهه) اى وجه حسن الالتفات (تطرية) تجديدا (كما في الفاتحة) . وكما في قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشأن الرسول وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان (من تلك الصفات) الدال اولها على انه المتولى لتدبير جميع العالمين وثانيها على انه المنعم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها (خاتمتها) وهي قوله مالك يوم الدين (تكملة) قد يطلق الالتفات على معنيين آخرين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فاذا ظننت انه يريد ان يجاوزه يلتفت اليه فيذكره بغير ماتقدم ذكره به قال تعالى وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال جل شأنه

والاستعانةِ في المهماتِ ... ومن خلاف المُقْتَضى تَلَقّي المخاطَب بغير ما يَتَرَقَّبُ بحملِ كلامه على خلافِ مُرادِهِ تنبيهاً على أنه هُوَ الأَوْلى بالقَصْدِ كقول القَبَعْثَرَى للحجَّاج وقد قال له مُتَوَعِّدًا لأَحملنَّكَ على الأَدْهَمِ مِثْلُ الامير يَحملُ على الأَدهمِ والأَشهب أي مَنْ كان مِثْلَ الامير في السُّلْطَانِ وبَسْطَةِ اليدَ

ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال جرير

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى ... لازلت فى علل وأيك ناضر

وقال متى كان الخيام بذي طلوح ... سقيت الغيث ايتها الخيام

اتنسى يوم تصقل عارضيها ... بفرع بشامة سقى البشام

والثاني ان تذكر معنى فتوهم ان السامع اختاجه شيء فتلتفت الى كلام يزيل اختلاجه ثم ترجع الى مقصودك كقول ابن ميادة

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة ... ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

(تلقى المخاطب) هذا هو الذى سماه السكاكى الاسلوب الحكيم وقال فيه ان هذا الاسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور وأبرزه في معرض المسحور وهل ألان شكيمة الحجاج لذلك الخارجى وسل سخيمته (١) حتى آثر ان يحسن على ان يسيء غير ان سحره بهذا الاسلوب وسماه الشيخ عبد القاهر مغالطة وعن سلوك هذه الطريقة فى جواب المخاطب عبر من قال مفتخرا

(١) السخيمة الضغينة والموجدة في النفس.

فَجَدِيرٌ بِأَنْ يُصْفَدَ لَا أَنْ يَصْفِدَ أو السَّائلِ بغير ما يتطلَّبُ بتنزيلِ سؤاله منزلةَ غيره تنبيهاً على أنه الأَوْلى بحاله أو المُهِمُّ لَهُ كقوله تعالى يَسْئَلُونَكَ عن الأَهلة قُلْ هِيَ مواقيتُ للنَّاسِ والحَجِّ وكقوله تعالى يسئلونك ماذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أنفقتُمْ مِنْ خيرٍ فللوالدَيْنِ والاقربينَ واليتامى والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ ومنه التَّعْبيرُ عَنِ المُسْتَقْبَلِ بلفظِ الماضِي تنبيهاً على تحقُّقِ وُقوعه

أتت تشتكي عندي مزاولة القرى　　وقد رأت الضيفان ينحون منزلى
فقلت كأنى ماسمعت كلامها　　هم الضيف جدي في قراهم وعجلى

(لاحملنك على الادهم) والحجاج يريد القيد (مثل الامير الخ) فانت ترى القبعثرى أبرز وعيد الحجاج فى معرض الوعد وتلقاه بغير مايترقب بحمل الادهم في كلامه على الفرس الادهم واكد ذلك بذكر الاشهب تنبيها على ان ذلك هو الاولى ان يقصده الامير (يُصْفَدُ) اى يعطي (لاان يَصفِدَ) يقيد (يسألونك عن الاهلة الآية) روى ان ثلة من الصحابة قالوا مابال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ويستوي ثم لايزال ينقص حتى يعودكما بدا • وهذا بظاهره سؤال عن السبب فأجيبوا ببيان الحكمة تنبيها على ان الاولى ان يسألوا عن ذلك • وبعدُ فالمحققون من المفسرين على انه سؤال عن الحكمة والكلام آت على مقتضى الظاهر (يسألونك ماذا ينفقون الآية) سألوا عن بيان ماينفقون فأجيبوا ببيان المصرف قال فى الكشاف ان

نحوُ وَيَوْمَ يُنفَخُ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ومَنْ فى الارض ومِثْلهُ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ونَحْوُه ذلِكَ يَوْمٌ مجمُوعٌ له الناسُ .. ومِنهُ القَلْبُ نحوُ عَرَضْتُ الناقةَ على الحَوْض وقَبِلَهُ السَّكاكِيُّ مُطْلقاً وَرَدَّهُ غيرُه مطلقا والحقُّ أَنهُ إِنْ تَضَمَّنَ اعْتِبَارًا لطيفاً قُبِلَ كقولهِ

قوله من خير تضمن بيان ماينفقونه وهو كل خير الا انه بني الكلام على ماهو أهم وهو بيان المصرف لان النفقة لايعتد بها الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لاتكون صنيعة　　حتي يصاب بها طريق المصنع

(نحوويوم ينفخ في الصورفصعق)ومقتضى الظاهر فيصعق هذا ونظم القرآن فنزع • وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن اسمه زنبور وهو طفل فجاء اليه يبكي فقال له يابني مالك قال لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة فضمه الى صدره وقال يابني قد قلت الشعر (.ومثله) اى ومثل التعبير عن المستقبل بغير لفظه اسم الفاعل واسم المفعول لان كلا منهما ليس حقيقة للاستقبال (لواقع) ومقتضي الظاهر يقع (القلب) هو ان يجعل احد اجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه وهو مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليه الا كال البلاغة (نحو عرضت الخ) ومقتضي الظاهر عرضت الحوض على الناقة لان المعروض عليه يجب ان يكون ذا شعور حتى يميل للمعروض أو يحجم عنه

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ * كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ
أَي لَوْنُهَا وَإِلاَّ رُدَّ كَقَوْلِهِ * كَمَا طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا *

وقد أخذ المصنف هذا من جعل الزمخشري قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار من القلب والسبب في هذا هو ان الاصل ان يجاء بالمعروض الى المعروض عليه وههنا جيء بالمعروض عليه وهو الناقة الى المعروض وهو الحوض فاعتبر ذلك فنزل احدهما منزلة الآخر (ومهمه) البيت لرؤبة بن العجاج المهمه المفازة ومغبرة مملوءة بالغبرة والارجاء الاطراف وقوله كان الخ أى كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فهو من القلب والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة ومثله قول ابي تمام يصف قلم الممدوح

لعابُ الافاعي القاتلاتِ لعابُه وأرْيُ الجنى اشتارته ايدٍ عواسلُ

(كما طينت) صدره: فلما ان جرى سمن عليها: وهو للقطامى من قصيدة يمدح بها زفر بن حارث الكلابى وقد انقذه من اعدائه وأعطاه مائة ناقة وقبله

اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا
وبعده امرت بها الرجال ليأخذوها ونحن نظن ان لن تستطاعا

فقد شبه الناقة في سمنها بالفدن وهو القصر المطين بالسياع وهو الطين بالتبن وقد عكس فجعل المطين هو السياع والمطين به هو الفدن وليس فيه اعتبار لطيف وفيه نظر لان القلب ههنا يدل على كثرة السياع حتى صار كأنه الاصل وسمن الناقة مشبه به فيدل حينئذ على عظم السمن حتى صار الشحم لكثرته بالنسبة للعظم كأنه الاصل ومما هو مردود

﴿ أحوالُ المسنَدِ ﴾

أَمَّا تَرْكُه فَلِما مَرَّ كقوله * فَإِنِّي وقَيَّارٌ بِها لَغَرِيبُ * وقولِه

لعدم تضمنه اعتبارا لطيفا قول حسان * يكون مزاجها عسل وماء * وقول عروة بن الورد * فديت بنفسه نفسى ومالى * وقول القطامى * ولايك موقف منك الوداعا * وحق الاستعمال يكون مزاجها عسلا وماء • فديت بنفسى نفسه وماله • ولايك موقفا منك الوداع (فلما مر) فى حذف المسند اليه • ومما يقتضى تركه اتباع الاستعمال كقولهم ضربى زيدا قائما وأكثر شربى السويق ملتوتا واخطب مايكون الامير قائما وقولهم كل رجل وضيعته وقولهم لولا زيدلكان كذا (كقوله فانى وقيار) فانه حذف المسند الى قيار كما ترى وتقدير الكلام فانى لغريب وقيار كذلك وما هذا الا لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب التوجع ومحافظة الوزن والسر فى تقديم قيار على خبران قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب كأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضاً ومن هنا قال الزمخشرى عند قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون الآية • الصابئون مبتدأ وهومع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة ان الذين آمنوا الى آخره لامحل لها من الاعراب وفائدة تقديم الصابئون التنبيه على انهم مع كونهم أبين المذكورين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم هذا وقد أنشد البيت صاحب الكامل فانى وقيارا بالنصب ثم قال ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلق وعمرا وعمرو فمن قال عمرا فانما رده على زيد ومن قال عمرو فانه

نحن بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ

وقولكَ زيدٌ منطلقٌ وعمْرٌو وقولك خرجتُ فاذا زيدٌ وقوله * إنَّ محَلا وإنَّ مُرتحلاً * أى إن لنا فى الدنيا ولنا عنها وقوله

وجهان جيد وهو ان تحمل عمرا على الموضع وجائز وهو ان يعطف على المضمر فى الخبر والبيت لضابئ بن الحارث البرجمي من أبيات قالها وهو محبوس فى المدينة أيام الخليفة الثالث وصدره* ومن يك أمسى بالمدينة رحله * الرحل المنزل وقيار اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومعناه التوجع من الغربة (وقوله نحن بما عندنا) أى نحن بما عندنا رضوان فالمسند الى نحن محذوف كما ترى للاحتراز عن العبث مع ضيق مقام الوزن قيل ومما حذف فيه المسند للاحتراز عن العبث قوله تعالى والله ورسوله أحق ان يرضوه أى والله أحق ان يرضوه ورسوله كذلك ويعجبنى ان يكون جملة واحدة وتوحيد الضمير لانه لاتفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا فى حكم مرضى واحدوالبيت لقيس بن الخطيم من فحول شعراء الجاهلية (وقولك زيد منطلق وعمرو) ومن هذا الباب قوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن أى واللائى لم يحضن مثلهن (وقولك خرجت فاذا زيد) فحذف المسند الى زيد للاحتراز عن العبث مع اتباع الاستعمال وانما كان ذكرههنا عبثالان اذا الفجائية تدل على مطلق الوجود وقد انضم اليها مايدل على الخبر المخصوص وهو خرجت المشعر بان المراد فاذا زيد بالباب أو موجود مثلا (وقوله ان محلا) اذ التقدير كما قال المصنف ان لنا فى الدنيا محلا

تعالى قل لو أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رحمةِ رَبِّي وقوله تعالى فَصَبْرٌ جميلٌ يَحْتَمِلُ الأمرَيْنِ أي أجْمَلُ أو فأمْرِي ولا بُدَّ من قرينةٍ

ولنا عنها الى الآخرة مرتحلا فالمسند محذوف كما ترى لقصد الاختصار مع اتباع الاستعمال ومن هذا قول الرجل للرجل هل لكم أحد إن الناس ألب عليكم فيقول ان زيدا وان عمرا أى لنا وقد وضع سيبويه فى ذلك بابا فقال • هذا باب مايحسن عليه السكوت فى هذه الاحرف الخمسة لاضمارك مايكون مستقرا لها وموضعا لو أظهرته وليس هذا المضمر بنفس المظهر • و ذلك ان مالا وان ولدا وان عددا قال عبد القاهر لو أسقطت انلم يحسن الحذف أو لم يجز لانها الحاضنة له والمتكفلة بشأنه والمترجمة عنه • والبيت للاعشى وتمامه * وان فى السفر اذ مضوا مهلا * فى الصحاح السفر جمع سافر كصحب وصاحب وفى القاموس السافر المسافر لافعل له (وقوله تعالى قل لو أنتم تملكون) قال صاحب الكشاف وتقديره لو تملكون تملكون مكررا لفائدة التأكيد فاضمر تملك الاول اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط مايتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال وهذا مايقتضيه علم الاعراب فاما مايقتضيه علم البيان فهو ان أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ

ونحوه قول حاتم • لو ذات سوار لطمتنى • وقول المتلمس * ولو غير اخوانى أرادوا نقيصتى * وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا والخبر (يحتمل الامرين) يعنى

كوقوعِ الكلامِ جواباً لِسؤالٍ مُحقَّقٍ نحو ولَئِنْ سألتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السمواتِ والارضَ ليقولُنَّ اللهُ أو مقدرٍ نحوُ * لِيُبْكَ

حذف المسند اليه وحذف المسند والتقدير فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل •• ومما يحتمل الامرين قوله تعالى سورة انزلناها وطاعة معروفة أي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة • والمطلوب منكم طاعة معروفة معلومة لايشك فيها ولايرتاب كطاعة الخاص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لاأيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة قاله الزمخشري ومن هذا الباب قوله تعالى ولاتقولوا ثلاثة • أي ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة أو ولا تقولوا الله وعيسى ومريم آلهة ثلاثة ففي الحذف تكثير فائدة التوسعة بالاحتمال (تكملة) قال صاحب المفتاح وقد يكون حذف المسند بناء على ان ذكره يخرج الى ماليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فانك لو قلت أم عندك عمرو أو أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال الى الانقطاع (نحو ليبك يزيد) وتمامه * ومختبط مما تطيح الطوائح * فأنت ترى انه لما قال ليبك يزيد كان سائلا سأله من يبكيه فقال ضارع أي يبكيه ضارع وقد روى البيت بفتح ياء يبك فيكون يزيد مفعول وضارع فاعل والضارع المستكين الخاشع وقوله لخصومة أي لاجل خصومة نالته لانه كان ملجأ للعائذين والمختبط الذي يطلب المعروف من غير آصرة والطوائح جمع مطيحة

يَزِيدُ ضارِعٌ لِخُصومَةٍ * وفضلُه على خلافه بتَكَرُّرِ الإسناد إجمالاً ثم تفصيلاً وبوقوعِ نحو يَزِيدَ غيرَ فضلةٍ وبكَوْنِ معرفة الفاعل كحصولِ نعمةٍ غيرِ مترَقَّبَةٍ لانَّ أوَّلَ الكلامِ غيرُ

وهى القواذف على غير قياس كلواقح جمع ملقحة يقال طوحته الطوائح أى نزلت به المهالك والبيت لضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيد (وفضله) يعنى هذا التركيب وهو بناء ليبك للمفعول على الرواية المشهورة (على خلافه) يعنى ليبك يزيد ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد (وبعد) فقد قال السكاكى ان مثل هذا التركيب متى وقع موقعه رفع شأن الكلام فى باب البلاغة الى حيث يناطح السماكين ويبارى الفرقدين وموقعه ان يصل من بليغ عالم بجهات البلاغة بصير بمقتضيات الاحوال ساحر فى اقتضاب الكلام ماهر فى أفانين السحر الى بليغ مثله مطلع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص مستتبعاته • ومن هذا الاسلوب قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن على وجه فان لله شركاء ان جعلا مفعولين لجعلوا فالجن يحتمل وجهين أحدهما ماذكره الشيخ عبدالقاهر ان يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سؤال مقدر كأنه قيل من جعلوا لله شركاء فقيل الجن فيفيد الكلام انكار الشرك مطلقا فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن فى الانكار دخول اتخاذه من الجن والثانى ماذكره صاحب الكشاف ان ينتصب الجن بدلا من شركاء فيفيد انكار الشريك مطلقا أيضاً قال وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول وفائدة التقديم استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا

مُطْمِعٍ في ذكره * وأما ذِكْرُه فلِما مرَّ وأَنْ يَتَعَيَّنَ كونه اسماً أو فعلاً * وأما إِفرادُه فلكَوْنه غيرَ سببيٍّ معَ عدَمِ إفادة

أو جنا أو غيرها ولذلك قدم اسم الله على الشركاء (فلما مر) في ذكر المسنداليه من ان الذكر هو الاصل ولا مقتضى للعدول عنه ومن الاحتياط لضعف التعويل على القرينة ومن التعريض بغباوة السامع مثل قوله تعالى بل فعله كبيرهم هذا بعد قوله أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم وغير ذلك (أو ان يتعين كونه اسما) فيستفاد منه الثبوت (أو فعلا) فيستفاد منه التجدد (فلكونه غير سببي الى آخره) اليك عبارة السكاكي مع شيء من التصرف قال وأما الحالة المقتضية لافراد الاسم فهي اذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم والمراد بالفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك ابوزيد منطلق والكرمن البر بستين وضرب اخو عمرو ويشكرك عمرو ان تعطه وفي الدار خالد اذ تقديره استقر أو حصل في الدار على اقوى الاحتمالين لتمام الصلة بالظرف • ومما يقتضي ان يكون جملة ان يراد تقوى الحكم بنفس التركيب كقولك (١) انا عرفت وانت عرفت وهو

(١) بيَّنا لك سبب التقوى في مثل هذه المُثُل عند الكلام على تقديم المسند اليه على ما ارتآه الشيخ عبد القاهر أما على ماذكره السكاكي فسبب التقوى ان المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعى ان يسند اليه شيء فاذا جاء بعده مايصلح أن يسند اليه صرفه الى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن الضمير أو متضمنا له ثم اذا كان متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير الى المبتدأ ثانيا فيكتسى الحكم قوة

تقوِّي الحكمِ والمرادُ بالسببيِّ نحوُ زيدٌ أبوه منطلقٌ * وأما كونه فعلاً فللتقييدِ بأحد الأزمنةِ الثلاثةِ على أخصرِ وجهٍ مع إفادةِ التجدُّدِ كقوله

أَوَ كلما وردَتْ عُكاظَ قبيلةٌ * بعثوا إليَّ عريفَهُمْ يتوسَّمُ

عرف وزيد عرف او ان يكون المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم عليه بالثبوت لما هو مبنى عليه أو بالانتفاء عنه مطلوب التعليق بغير ما هو مبنى عليه تعليق اثبات لذلك الغير بنوع مّا أو نفى عنه بنوع مّا أو يكون المسند فعلا يستدعى الاستناد الى مابعده بالاثبات أو بالنفى فيطلب تعليقه على ماقبله بنوع اثبات أو نفى لكون مابعده بسبب مما قبله فالاول نحو زيد أبوه منطلق فان مفهوم منطلق مع الحكم عليه بثبوته لمبتدئه يعنى أبوه قد علق بزيد بالاثبات له وزيد غير مابنى منطلق عليه والثانى نحو عمرو ضرب أبوه فان ضرب فعل أسند الى ما بعده وهو أخوه ثم علق على ماقبله وهو عمرو بالاثبات لان الاخ متعلق به ومضاف الى ضميره (كقوله) أى قول طريف بن تميم العنبرى من أبيات يصف بها نفسه بالشجاعة (أو كلما الى آخره) فالمعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالا فحالا وتصفح منه للوجوه واحدا بعد واحد ولو قيل متوسما لم يفد ذلك حق الافادة ومن البين في ذلك قوله جل شأنه هل من خالق غير الله يرزقكم وقول الاعشى

*وأما كونه اسما فلإِفادة عدمهما كقوله

لاَيأْلفُ الدِرهَمُ المضروبُ صُرَّتَنا * لكنْ يَمُرُّ عليها وهْو منْطَلِقُ

*وأما تقييد الفعلِ بمفعولٍ ونحوِه فلِتربيةِ الفائدةِ والمقيَّدُ في نحو

لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة * الي ضوء نار في يفاع تحرّق (١)
تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق
المعنى على ان هناك موقدا يتجدد منه الالهاب والاشعال حالا فحالا
(هذا) وعكاظ متسوق للعرب يجتمعون فيه فيتناشدون ويتفاخرون يقول
الشاعر ان لكل قبيلة على جناية فتى وردوا عكاظ طلبني الكافل
بأمرهم (فلافادة عدمهما) أى عدم التقييد المذكور وافادة التجدد
لان الاسم وضع لاجل ان يثبت به المعنى للشئ فحسب (كقوله) أى
قول النضر بن جؤية يتمدح بالغنى والكرم ومما هو ظاهر في ذلك
قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان أحدا لايشك في امتناع
الفعل ههنا كما لايخفى (ونحوه) كالحال والتميز (فالتربية الفائدة) لان
الحكم العارى عن القيود لايزيد عن فائدة نسبة المحكوم به للمحكوم عليه
بل ربما كان ذلك الحكم معلوما عند السامع فلا يفيد فاذا زيد قيد كان فيه

(١) لاحت لمعت واليفاع ماارتفع من الارض وتشب توقد والمقرور
المصاب بالقر وهو البرد والندى الكرم والمحلق اسم رجل كريم من ولد
أبي بكر بن كلاب من بنى عامر

كان زيدٌ منطلقاً هو منطلقاً لا كانَ* وأما تركُه فلمانعٍ منها * وأما تقييدُه بالشَّرط فلاعتباراتٍ لا تُعْرَفُ الا بمعرفةِ مابَيْنَ أدواتهِ من التفصيل وقد بُيِّنَ ذلك في علمِ النحو ولكنْ لا بُدَّ من النظر ههنا في إنْ وإذَا ولَوْ . . فانْ وإذا للشَّرطِ في الاستقبالِ لكنْ أصلُ إنْ عَدَمُ الجَزْمِ بوقوع الشرطِ وأصلُ اذَا الجزمُ بوقوعهِ ولذلك كان النادرُ مَوْقِعاً لإِنْ وغلَبَ لفظُ الماضي مع

فائدة غريبة وكلما كثرت قيوده كثرت فوائده (هو منطلقا لا كان) لان منطلقا هو المسند حقيقة وكان قيد له للدلالة على زمان النسبة (تركه) أى ترك تقييد المسند (فلمانع منها) كعدم العلم بالمقيدات أو عدم الاحتياج اليها وغير ذلك من الاغراض (للشرط في الاستقبال) أى لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط فى المستقبل (ولذلك كان النادر موقعاً لان) لانه غير مقطوع به فى غالب (١) الامر (وغلب لفظ الماضى مع اذا) لكونه أقرب الى القطع بالوقوع نظرا الى اللفظ (وبعد) فلا بد للبليغ من العلم بموقع ان واذا حتى يكون بنجوة من الخطأ ومفازة من اللوم أو ماترى كيف انحوا باللائمة على عبد الرحمن بن حسان اذ أخطأ بهما الموقع فى قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها

(١) قالوا ذلك لان النادر وهوماوقوعه قليل قد يجزم بوقوعه كما جزم بوقوع اليوم الآخر مع ندوروقوعه اذلا يحصل الامرة واحدة

اذا نحوُ فاذا جاءتهمُ الحسنةُ قالوا لنا هذه وإنْ تُصبهم سيئة يَطيَّرُوا بموسى ومَنْ معه لانَّ المرادَ الحسنةُ المطلقةُ ولهذا عرِّفتْ تعريفَ الجنسِ والسيئةُ نادرةٌ بالنسبة اليها ولهذا

ذممت ولم تحمدوادركت حاجتى * تولى سوا كم اجرها واصطناعها
أبى لك كسب الحمد رأي مقصر * ونفس اضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة * عصاها وان همت بشر اطاعها

(الحسنة) من الخصب والرخاء (لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (سيئة) جدب وبلاء (لان المراد الى آخره) اصل هذا الكلام لصاحب الكشاف غفر الله له وهاك عبارته فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الجنس وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع الا فى الندرة ولا يقع الا شئ منها انتهى كلامه أما قوله تعالى واذا مس الناس ضر بلفظ اذا مع الضر فالنظر الى لفظ المس والى تنكير الضر المفيد فى المقام التوبيخي القصد الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضرر وللتنبيه على ان مساس قدر يسير من الضر لأمثال هؤلاء حقه ان يكون فى حكم المقطوع به وأما قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض بعد قوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه أى أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذى تقتضيه البلاغة ان يكون الضمير فى مسه للمعرض المتكبر ويكون لفظ اذا للتنبيه على ان

نُكِّرَتْ وقد تُستعملُ إنْ في الجزم تجاهلاً أو لعدمِ جزمِ المخاطَبِ كقولك لمن يُكذِّبُكَ إنْ صدقتُ فماذا تفعلُ أو تنزيلهِ منزلةَ الجاهلِ لمخالفته مقتضَى العلمِ أوالتوبيخِ وتصويرِ أنَّ المقامَ لاشتمالهِ على ما يقلَعُ الشرطَ عن أصلِه لا يَصلُحُ الاَّ لفرْضِه كما يُفرَضُ المحالُ نحو أَفنضرِبُ عنكم الذِّكرَ صفحاً إنْ

مثله يحق ان يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به (تجاهلا) لاستدعاء المقام اياه كما اذا استطلت ليلتك فتقول ان يطلع الصبح وينقض الليل افعل كذا فتتجاهل تولها وتضجرا (أو تنزيله الى آخره) كما يقول الاب لابن لا يراعى حقه افعل ما شئت إنى إن لم اكن لك أبا كيف تراعى حقى (كما يفرض المحال) متى تعلق بفرضه غرض من الاغراض نحو ارخاء العنان لالزام الخصم والتبكيت كما ذكر الزمخشرى فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا انه من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا يوجد له مثل فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل تشير عليه هذا هو الرأى والصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لاأصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان مارأيت لارأى وراءه (نحو افنضرب الآية) فأنت ترى

كُنتُمْ قَوماً مُسْرِفِينَ فيمنْ قرأَ إنْ بالكسر أو تغليبِ غير المتَّصفِ به على المتصفِ وقولُه تعالى وإنْ كُنتُمْ في رَيْبٍ مما نَزَّلنا على عَبْدِنا يحتَمِلُهُما والتغليبُ يجري في فُنونٍ كقوله تعالى وكانت من القانتين وقولِه تعالى بل أنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلونَ ومنه

أنّ الاسراف مقطوع به لكن جى بلفظ ان لقصد التأنيب والتجهيل فى ارتكاب الاسراف وتصوير ان الاسراف من العاقل في هذا المقام مقام ظهور الآيات ونزول القرآن حريٌّ ان لايكون ثبوته له الا على مجرد الفرض والتقدير (به) أي بالشرط (يحتملهما) أى يحتمل ان يكون للتوبيخ على الريبة وتصوير ان الريبة مما لاينبغى ان تثبت لهم الا على الفرض لاشتمال المقام على مايزيلها وهو الآيات وان يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم فانه كان فيهم من يعرف الحق وانما ينكر عنادا (والتغليب) وهو ان يغلب على الشىء مالغيره لتناسب بينهما أو اختلاط وهو أمر قياسى يجرى فى كل متناسبين ومختلطين بحسب المقامات لكن غالب أمره دائر على الشرف والخفة (وكانت من القانتين) فعدت الانثى من الذكور بحكم التغليب لان القنوت مما يوصف به الذكور والاناث ولولا ذلك لقيل وكانت من القانتات (بل أنتم قوم تجهلون) فكان القياس يجهلون لان الضمير عائد الى قوم ولفظه لفظ الغائب لكونه اسما مظهرا لكنه فى المعنى عبارة عن المخاطبين فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة (ومنه أبوان) ومنه قوله تعالى لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى

أَبَوَانِ ونحوُه ولـكَوْنِهِما لتعليقِ أمْرٍ بغيره في الاستقبالِ كان كُلٌّ من جُملتَيْ كلٍّ فعليةً استقْباليةً ولا يُخالفُ ذلك لفظاً

ملتنا • أدخل شعيب عايهالسلام فى لتعودن فى ملتنا بحكم التغليب اذ لم يكن شعيب فى ملتهم أصلا وقوله تعالى فسجدوا الا ابليس عد ابليس من الملائـكة بحكم التغليب وقوله تعالى جعل لـكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه فان الخطاب فيه شامـل للعقلاء والانعام فغلب فيه المخاطبون على الغائبين والعقلاء على الانعام وقوله يذرؤكم فيه أي يبثـكم ويكثركم فى هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وأناثهم التوالد والتناسل فجعل هذا التدبير كالمعدن والمنبع للبث والتكثير ولذلك قيل يذرؤكم فيه ولم يقل به كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة (ونحوه) كالمشرقين للمشرق والمغرب والقمرين للشمس والقمر والحسنين للحسن والحسين وما اشبه ذلك مماغلب أحد المتصاحبين أو المتشابهين على الآخر بان جعل الآخر متفقا له فى الاسم ثم ثنى ذلك الاسم وقصد اليهما جميعاً (لتعليق أمر) يعنى الجزاء (بغـيره) وهو الشرط (في الاسـتقبال) مرتبط بلفظ غـيره على معنى جعل حصول الجـزاء مترتبا على حصـول الشرط فى الاستقبال (كان كل من جملتى كل فعلية استقبالية) ذلك لان الشرط كما لايخفى مفروض الحصول فى الاستقبال فيمتنع ثبوته ومضيه والجزاء معلق حصوله على حصول الشرط فى الاستقبال ويمتنع كما هو ظاهر تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول مايحصل فى المستقبل (لفظا) وأما معنى فلا يمكن التخالف بحال وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت

رسل من قبلك معناه فاصبر ولا تحزن فقد كذبت رسل من قبلك وقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا معناه ينصره من نصره قبل ذلك وقس على هذا بقدر ما يناسب المقام (هذا) وقد تستعمل (١) ان في غير الاستقبال قياسا اذا كان الشرط لفظ كان مثل قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية وفي غير ذلك قليلا كقول أبي العلاء المعري

وان ذهلت عما أجن صدورنا * فقد الهبت وجدا نفوس رجال

لظهور ان المعنى على المضى دون الاستقبال وقد تستعمل اذا للمضى مثل قوله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين • حتى اذا ساوى بين الصدفين حتى اذا جعله نارا وللاستمرار مثل قوله جل شأنه واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (الا لنكتة) فان قلت فأي نكتة في قوله تعالى • ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون وقد ذكر في موضع جزاء هذا الشرط ثلاث جمل متعاطفة وعدل في الثالثة الى لفظ الماضي فانا نقول الغرض من ذلك كما قال الزمخشرى الدلالة على انهم ودوا قبل كل شيء كفر المؤمنين وارتدادهم يعني انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قبل

(١) يكون ذلك اذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط في الماضي ولا يقال ان هذا ينافي ما قدمناه آنفا من ان الشرط مفروض الحصول في الاستقبال لانا نقول هذا حين استعمال ان للتعليق في المستقبل كما هو غالب أمرها

الاسبابِ أو كَوْنِ ما هو للوقوعِ كالواقعِ أو التفاؤُلِ أو إظهارِ الرَّغبةِ في وقوعهِ نحوُ إن ظَفَرْتُ بحسنِ العاقبةِ فهو المرام فانَّ الطالبَ اذا عَظُمَتْ رغبتُهُ في حصولِ أمرٍ يكثُرُ تَصَوُّرُه إيَّاه فربما يُخَيَّلُ اليه حاصلاً وعليهِ إنْ أردْنَ تَحَصُّناً * السكاكيُّ أو

الانفس وتمزيق الاعراض ورد كم كفارا • وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم ان الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شيء عنده ان يقصد أعز شيء عند صاحبه (لقوة الاسباب) وذلك كما تقول حال انعقاد أسباب الاشتراء ان اشترينا كذا كان كذا (أو كون ماهو للوقوع كالواقع)هذا كما هو ظاهر معطوف على قوة الاسباب يعنى انه يعبر بالماضى عن المستقبل فى جملة الشرط لقصد ابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل لكون المعنى شأنه الوقوع فهو كالواقع فى ترتب ثمرة الوقوع فى الجملة على كل منهما وذلك مثل ان تقول ان مت كان كذا وكذا (ان ظفرت الى آخره) هو مثال للامرين قبله (فربما يخيل اليه حاصلا) وقد يقوى هذا التخيل عند الطالب حتى اذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة واستخرج له محملا أخرى وعليه قول أبي العلاء المعري

ماسرت الا وطيف منك يصحبنى * سرى امامى وتأويبا على أثري

يقول لكثرة ماناجيت نفسي بك انتقشت فى خيالي فأعدك بين يدي مغلطا للبصر بعلة الظلام اذا لم يدركك ليلا أمامى واعدك خانى اذا لم يتيسر لي تغايط حين لايدركك بين يدي نهارا (وعليه) أي على اظهار

للتعريضِ نحوُ لئن أَشْرَكْتَ ليَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ونظيرُه في التعريضِ ومالِيَ لا أَعْبُدُ الذِي فَطَرَنِي أي وما لكم لا تَعبُدون

الرغبة فى الوقوع قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا فلم يقل ان يردن وجيء بلفظ الماضي للدلالة على توفر الرغبة فى ارادتهن التحصن وانما قال وعليه لان الله منزه عن الرغبة والمراد ههنا لازمها وهو كمال الرضا به (هذا) وفائدة قوله ان أردن تحصنا ان يبشع عند المخاطب الوقوع فى الاكراه لكي يعرف انه كان ينبغي له ان يأنف من هذه الرذيلة وان لم يكن ثم زاجر شرعي ذلك لان مضمون الآية النداء عليه بان أمته خير منه لانها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى الا الاكراه عليها (نحو لئن أشركت) فالخطاب لمحمد عليه السلام وعدم اشراكه مقطوع به لكن جئ بلفظ الماضى ابرازاً للاشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض والتقدير تعريضا لمن صدر عنهم الاشراك بانهم قد حبطت اعمالهم ومما هو بين فى ذلك قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين قال صاحب الكشاف هذا كلام ورد على سبيل الفرض والتقدير وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى (ونظيره فى التعريض ومالى لا أعبد الذى فطرنى) ومثل ذلك قوله تعالى • أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اذا المراد اتخذون من دونه آلهة ان يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذونكم انكم اذا لفي ضلال مبين ولذلك قيل آمنت بربكم دون بربى واتبعه فاسمعون

الذى فطركم بدليل واليه تُرْجَعُونَ ووجهُ حُسْنه اسماعُ المخاطَبين الحقَّ على وجهٍ لا يَزيدُ غَضَبَهُمْ وهو تركُ التَّصريح بنسبتِهِمْ الى الباطل ويُعِينُ على قبولِه لِكَونهِ أدخلَ في إمحاضِ النُّصْحِ حيث لا يُرِيدُ لهم إلا ما يُرِيدُ لنفسه : ولوْ للشَّرطِ في الماضي مع القَطعِ بانتفاءِ الشرطِ فيلزَمُ عدمُ الثُّبوتِ والمضيُّ في جملتَيها فدخولُها على المضارع في نحو لَوْ يُطيعُكُمْ في كثيرٍ

(حسنه) أي التعريض (المخاطبين) الذين هم اعداء المتكلم (ولو للشرط فى الماضي الى آخره) يقول اصل لو انها تدل على ان الجزاء كان فيما مضي بحيث يقع على تقدير وقوع الشرط مع القطع بانتفاء الشرط المقتضي انتفاء الجزاء فانت اذا قلت لو جئتنى لاكرمتك فهم ان المجيء شرط فى الاكرام وانه على تقدير وقوعه يقع وفهم مع هذا ان الاول لم يقع فيلزم .. حيث كان المجيء شرطا وانتفى .. انتفاء المشروط الذي هو الجزاء ومن هنا قيل ان لو لامتناع الشيء لامتناع غيره وتوفية ذلك حقه من البيان أمس بعلم اللغة (والمضيُّ) وذهب المبرد الى أنها تستعمل فى المستقبل استعمال ان وأنشد قول الهذلى

ولو تلتقى أصداؤنا بعد موتنا * ومن دون رمسينا من الارض سبسب(١)
لظل صدي صوتى وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(١) الاصداء جمع صدى ظل الصوت يرجع مثله فى الجبل ونحوه والرمس القبر والسبسب المفازة ويهش يرتاح ويميل

مِن الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ لِقَصْدِ اسْتِمْرَارِ الفِعلِ فِيما مَضَي وقتاً فوقتاً كما في قوله تعالى أَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم وفي نحو ولَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا على النارِ لِتنزِيلِه منزِلَةَ الماضي لِصُدُورِهِ عَمَّنْ لا خِلافَ في إخبارِهِ كما في رُبَمَا يَوَدُّ الذِينَ كَفَرُوا أو لاستِحضارِ الصورةِ

(لعنتم) اى لو قعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد الجبر (لقصد استمرار الفعل الى آخره) قال الزمخشري انما قيل يطيعكم دون أطاعكم للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمى الحريم تريد انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (كما فى قوله الله يستهزئ بهم) قال فى الكشاف فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم (وفى نحو ولو ترى الى آخره) من هذا الباب قوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم • وقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم • هذا ويجوز ان تكون لو فى هذه الآيات للتمنى كانه قال وليتك ترى وحينئذ لا استشهاد لان التى للتمنى تدخل على المضارع كما تدخل على الماضى (كما فى ربما يود) قال صاحب الكشاف فان قلت لم دخلت ربما على المضارع وقد أبوا دخولها الا على الماضى قلت لان المترقب فى أخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكانه قيل ربما ود (أو لاستحضار الصورة) هو معطوف على قوله

كما في قوله تعالى فَتُثِيرُ سَحاباً استحضاراً لِتِلكَ الصورةِ البديعةِ الدالَّةِ على القدرةِ الباهرةِ * وأمَّا تنكيرهُ فلإِرادةِ عَدَمِ الحصرِ والعهدِ كقولك زيدٌ كاتبٌ وعمرٌو شاعرٌ أو للتفخيمِ

لتنزيله يعنى صورة رؤية الكافرين موقوفين على النار قائلين ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وكذا صورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم والمجرمين ناكسي رؤسهم متقاولين بتلك المقالات وصورة ودادة الكافرين لوأسلموا (كمافى قوله تعالى فتثير سحابا) وكما فى قول تأبط شرا

الا من مبلغ فتيان فهم * بما لاقيت عند رحابطان
بانى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أرض * أخو سفر فخلى لي مكانى
فشدت شدة نحوى فاهوى * لها كفى بمصقول يمانى
فاضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

اذ قال فأضربها ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة (تكملة) قد يكون دخول لو على المضارع للدلالة على ان الفعل من الفظاعة بحيث يحترز عن ان يعبر عنه بلفظ الماضي لكونه مما يدل على الوقوع فى الجملة كما تقول لقد أصابتنى حوادث لو تبقى الى الآن لما بقي منى أثر • وقد يعدل عن عدم الثبوت الى جعل الجملة الثانية اسمية مثل قوله تعالى • ولو انهم

نحو هدًى للمتّقينَ أو للتّحقيرِ * وأمّا تخصيصُه بالإضافةِ أو الوصفِ فلتكونَ الفائدةُ أتمَّ كما مرَّ * وأمّا تركُه فظاهرٌ ممّا سبقَ * وأما تعريفهُ فلإفادةِ السامعِ حكماً على أمرٍ معلومٍ له بإحدى طُرُقِ التعريفِ بآخرَ مثلِه أو لازمَ حكمٍ كذلك

آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير دلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها أما الجملة الاولى فلا تقع الا فعلية ألبتة (نحو هدى للمتقين) على انه خبر مبتدأ محذوف أو خبر ذلك الكتاب • أي هدى لايكتنه كنهه ومثله قول الله جل شأنه ان زلزلة الساعة شيء عظيم (تركه) أي ترك تخصيص المسند بالاضافة أو الوصف (فلافادة السامع الى آخره) قال فى الايضاح تفسير هذا انه قد يكون للشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالما باتصافه باحداهما دون الاخرى فان أردت ان تخبره بانه متصف بالاخرى فانك تعمد الى اللفظ الدال على الاولى وتجعله مبتدأ وتعمد الى اللفظ الدال على الثانيـة وتجعله خبرا فتفيد السامع ما كان يجهله من اتصافه بالثانية كما اذا كان للسامع أخ يسمى زيدا وهو يعرفه بعينه واسمه ولـكن لايعرف انه أخوه وأردت ان تعرفه انه أخوه فتقول له زيد أخوك سواء عرف ان له أخا ولم يعرف ان زيدا أخوه أو لم يعرف ان له أخا أصـلا وان عرف ان له أخا فى الجملة وأردت ان تعينه عنـده قلت أخوك زيد أما اذا لم يعرف ان له أخا أصلا فلا يقال ذلك لامتناع الحكم بالتعين على من لايعرفه المخاطب أصلا فظهر الفرق بين قولنا زيد أخوك وقولنا أخوك زيد وكذا اذا

نحوُ زيدٌ أخوكَ وعمرٌو المنطلقُ باعتبارِ تعريفِ العهدِ أو الجنسِ وعكسِهما والثاني قد يُفيدُ قصرَ الجِنسِ على شيءٍ تحقيقاً نحو

عرف السامع انسانا يسمي زيدا بعينه واسمه وعرف انه كان من انسان انطلاق ولم يعرف انه كان من زيد أو غيره فأردت ان تعرفه ان زيدا هو ذلك المنطلق فتقول زيد المنطلق وان أردت ان تعرفه ان ذلك المنطلق هو زيد قلت المنطلق زيد وكذا اذا عرف السامع انسانا يسمي زيدا بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس المنطلق وأردت ان تعرفه ان زيدا متصف به فتقول زيد المنطلق وان أردت ان تعين عنده جنس المنطلق قلت المنطلق زيد انتهى فقوله هنا بآخر مثله مرتبط بقوله حكما أي لافادة السامع حكما على أمر معلوم بأمر آخر مثل ذلك الامر المحكوم عليه فى انه معلوم للسامع باحدى طرق التعريف وقوله أو لازم حكم كذلك معطوف على حكما أي او لافادة السامع لازم حكم على أمر معلوم باحدى طرق التعريف بأمر آخر مثله وفى هذا اشارة الى ان كون المبتدا والخبر معلومين لاينا فى كون الكلام مفيدا للسامع فائدة مجهولة لان مايستفيد السامع من الكلام هو انتساب الخبر الى المبتدأ أو كون المتكلم عالماً به والعلم بنفس المبتدأ والخبر لايوجب العلم بانتساب أحدهما الى الآخر وقوله باعتبار متعلق بمحذوف حال من المنطلق (والثانى) أى اعتبار تعريف الجنس (قد يفيد) وقد لايفيد القصر كقول الخنساء

اذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

زيدٌ الاميرُ أو مبالغةً لِكماله فيهِ نحو عمرٌو الشجاعُ وقيل الاسم متعينٌ للابتداءِ لدِلالتِه على الذاتِ والصفةُ للخبرية لدِلالتها على أمرٍ نِسبيٍّ ورُدَّ بأنَّ المعنى الشخصُ الذي له الصفة صاحبُ

لم ترد ان ماعدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ولكنها أرادت ان تقره في جنس ماحسنُه الحسنُ الظاهر الذى لاينكره أحد ومثله قول الآخر

اسود اذا ماأبدت الحرب نابها   وفى سائر الدهر الغيوث المواطر

وقول حسان

وان سنام المجد من آل هاشم   بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

أراد ان يثبت له العبودية ثم يجعله ظاهر الامر فيها معروفا بها (نحو زيد الامير) اذا لم يكن أمير سواه (لكماله فيه) أى لكمال ذلك الجنس في المقصور عليه (نحو عمرو الشجاع) أى الكامل فى الشجاعة فتخرج الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة لم توجد الا فيه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال (وبعد) فالمقصور قد يكون نفس الجنس مطلقا أى من غير اعتبار تقييده بشيء كما فى الامثلة المذكورة قبل وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره كقولك هو الوفى حين لاتظن نفس بنفس خيرا ومثله قول الاعشى

هو الواهب المائة المصطفاة   إما مخاضاً وإما عشاراً

فانه قصر عليه هبة المائة من الابل حال كونها مخاضاً أو عشارا لاهبة

الاسمِ * وأما كونُه جمـلةً فللتَّقَوّي او لـكونِهِ سَبَبياً كما مرَّ

المائة بأى حال كانت ولا الهبة مطلقاً سواء كانت هبة الابل أوغيرها (هذا) وقد ذكر الشيخ فى دلائل الاعجاز للخبر المعرف باللام معنى غير ماذكر دقيقا وذلك مثل قولك هوالبطل المحامى لاتريد انه البطل المعهود ولا قصر جنس البطل عليه مبالغة ونحو ذلك بل تريد ان تقول لصاحبك هل سمعت بالبطل المحـامى وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف ينبغي ان يكون الرجل حتى يستحق ان يقال ذلك له وفيه فان كنت قتلته علما وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتـك وعنده بغيتك وطريقه كطريق قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف ماهو فان كنت تعرفه فزيد هو هو بعينه ويزداد هذا المعنى ظهورا بان تكون الصفة التى تريد الاخبـار بها عن المبتدأ مجراة على موصـوف وان أردت ان تسمع فى ذلك ماتسكن النفس اليه سكون الصادى الى برد الماء فاسمع قول ابن الرومى

هو الرجل المشروك فى جل ماله   ولكنه بالمجد والحمد مفرد

وليس شىء أغاب على هذا الضرب من الذى فانه يجىء كثيرا على انك تقدر شيئاً فى وهمك ثم تعبر عنه بالذى ومثال ذلك قوله

أخوك الذى ان تدعه لملمة   يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

وقول الآخر

أخوك الذى ان ربته قال انمـا   أربت وان عاتبته لان جانبه

وهـذا فن عجيب الشأن وله مكان من الفخامـة والنبـل وهو من سحر البيان الذي تقصر العبـارة عن تأدية حقه (وقيل الى آخره)

واسْمِيَّتُها وفعلِيَّتُها وشَرْطِيَّتُها لِمَا مَرَّ وظرفيَّتُها لاختصارِ الفعلية إذ هي مقدَّرَةٌ بالفعل على الأَصَحِّ * واما تأخيرُه فلأنَّ ذِكرَ

ذهب الامام الرازي الى ان الاسم في نحو زيد المنطلق والمنطلق زيد لما كان دالاعلى الذات تعين للابتداء تقدم أو تأخر والصفة لما كانت دالة على أمر نسبي تعينت للخبرية قدمت أو أخرت فأجاب المصنف بان المنطلق لايجعل مبتدأ الا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق وانه بهذا المعنى لايجب ان يكون خبراً وزيد لايجعل خبرا الا بمعنى صاحب اسم زيد وانه بهذا المعنى لايجب ان يكون مبتدأ (لما مر) فتكون اسمية لافادة الثبوت وفعلية لافادة التجدد قال السكاكي وما تسمع من تفاوت الجملتين الفعلية والاسمية تجددا وثبوتا هو يطلعك على انه حين ادعى المنافقون الايمان بقولهم آمنا بالله وباليوم الآخر جائين به جملة فعلية على معنى أحدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة قوله تعالى وماهم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء • وعلى تفاوت كلام المنافقين مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم وهو واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم تفاوتا الى جملة فعلية وهي آمنا والى اسمية ومع ان وهي انا معكم كيف أصاب شاكلة الرمي • وعلى ان ابراهيم حين أجاب الملائكة عن قولهم له سلاما • بالنصب بقوله لهم • سلام • بالرفع كيف كان عاملا بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد • واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها • وتكون شرطية للاعتبارات المختلفة الحاصلة من أدوات الشرط (اذ هي الى آخره)

المسنَدِ اليه أهمُّ كما مرّ * وأما تقديمُه فلتخصيصهِ بالمسندِ اليه
نحوُ لا فيها غَوْلٌ أي بخلافِ خمورِ الدنيا ولهذا لم يُقَدَّم الظرفُ
فى نحو لا رَيْبَ فيه لئلاَّ يُفيدَ ثُبوتَ الرَّيبِ في سائرِ كُتُبِ
اللهِ تعالى أو للتَّنبيهِ من أوَّلِ الامرِ على أنَّه خبرٌ لا نَعتٌ كقوله
له هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبارِها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أجلُّ من الدَّهْرِ

يعنى انما قلنا ان الظرفية يثبت بها اختصار الفعلية لان الظرف فى قولنا زيد عندك مقدر بالفعل على الاصح فصار فى تأويل الجملة لا بالاسم حتى يكون الظرف فى تأويل المفرد (فالتخصيصه بالمسند اليه)أى لقصر المسند اليه على المسند (نحو لافيها غول) مثله قوله عز وعلا لكم دينكم ولي دين وقولك لمن يقول زيد إما قائم وإما قاعد فيردده بين القيام والقعود من غير ان يخصصه بأحدهما قائم هو (أي بخلاف خمور الدنيا) فانها تغتال العقول (أو للتنبيه الى آخره ، قال السكاكى وانما يصار الى هذا التنبيه لان الظرف بتأخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف أولى منه بالحمل على الخبر لامرين يتعاضدان فى ذلك استدعاء المنكر فى مقام الابتداء ان يوصف ليتقوى بذلك فائدة الحكم وصلاحية الظرف ان يكون من صفاته ولذلك لايجب تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال الله تعالى وأجل مسمى عنده(كقوله له همم) وقوله تعالى ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين وقول الشاعر

لكل جديد لذة غير انني * وجدت جديد الموت غير لذيذ

أو التَّفاؤُلِ أو التشويقِ الي ذكرِ المسند اليه كقولهِ

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا ببَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسْحاقَ والقمرُ

(تنبيه) كَثيرٌ مِمَّا ذُكِرَ في هذا الباب والذي قَبْلَهُ غيرُ مُخْتَصٍّ بهما كالذِّكْرِ والحَذْفِ وغيرِهما والفَطِنُ اذا أَتْقَنَ اعتبارَ ذلك فيهما لا يَخْفَى عليه اعتبارُه في غيرِهما

﴿ أحوالُ متعلِّقاتِ الفعلِ ﴾

الفعلُ مع المفعولِ كالفعلِ مع الفاعلِ في أنَّ الغرضَ من ذِكْرِه

• والبيت لحسان بن ثابت فى النبى صلى الله عليه وسلم (أو التشويق الى ذكر المسند اليه) وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام فى المسند والا لم يحسن ذلك الحسن (كقوله ثلاثة) وقول الآخر

وكالنار الحياة فمن رماد * أواخرها وأولها دخان

• والبيت لمحمد بن وهيب يمدح المعتصم بالله (الفعل مع المفعول كالفعل مع الفاعل) أصل هذا الكلام للشيخ عبدالقاهر في دلائل الاعجاز جعله تمهيدا للكلام على حذف المفعول والعبارة الواضحة ان يقال ان حال الفعل مع المفعول الذي يتعدي اليه حاله مع الفاعل فكما انك اذا أسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك ان تفيد وقوعه منه لا أن تفيد وجوده فى نفسه فقط كذلك اذا عديته الى المفعول كان غرضك ان تفيد وقوعه عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول فى أن عمل الفعل

معه إفادةُ تلبُّسهِ به لا إفادةُ وقوعهِ مطلقاً فاذا لم يُذْكَرْ معه فالغرضُ ان كان اثباتَهُ لِفاعله أو نفيَهُ عنه مطلقاً نُزّلَ منزلَةَ اللاّزمِ ولم يُقَدَّرْ له مفعولٌ لانَّ المُقَدَّرَ كالمذكورِ وهو ضربانِ لانَّهُ إِمَّا أنْ يُجعلَ الفعلُ مطلقاً كنايةً عنه متعلِّقاً بمفعولٍ مخصوصٍ دَلَّتْ عليه قرينةٌ أَوْلاَ الثَّاني كقولهِ تعالى قُلْ هل يَستوِي الذين يَعلَمونَ والذين لا يَعلَمون

فيهما انما كان ليعلم التباسه بهما فعمل الرفع فى الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه والنصب فى المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه أما اذا أريد الاخبار بوقوعه فى نفسه من غير ارادة ان يعلم ممن وقع أو على من وقع فالعبارة عنه ان يقال كان ضرب أو وقع ضربه أو وجد أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد ... واذ قد عرفت هذا فاعلم ان الفعل المتعدي اذا أسند الى فاعله ولم يذكر له مفعول فاما ان يكون الغرض اثبات المعنى فى نفسه للفاعل من غير اعتبار عمومه وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه واما ان لا يكون كذلك فان كان الاول كان المتعدى بمنزلة اللازم فلا يذكر له مفعول لان ذكره ينقض الغرض الا ترى انك لو قلت هو يعطى الدنانير كان المعنى بيان جنس ماتناوله الاعطاء نفسه لا بيان كونه معطياً ولا يقدر أيضاً لان المقدر فى حكم المذكور وهذا النوع قسمان (قسم) هو مثل قوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون المعنى هل

(السكاكيُّ) ثُمَّ اذا كان المقامُ خطابياً لا استدلالياً أفادَ ذلك مع التَّعميم دَفعاً للتحكُّمِ والاولُ كقولِ البحتريِّ في المُعتزِّ باللهِ

شَجوُ حُسَّادِهِ وغَيظُ عِداهُ * أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ ويَسْمعَ واعِ

يستوى من له علم ومن لاعلم له من غير ان يقصد النص على معلوم وقوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى وقوله وانه هو أمات وأحيي على معنى انه الذى منه الاغناء والاقناء والاحياء والاماتة (وهنا قال السكاكي اذا كان المقام خطابيا يكتفى فيه بمجرد الظن لا استدلاليا يطلب فيه اليقين البرهانى أفاد ذلك مع العموم فى افراد الفعل بعلة ايهام ان القصد الى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيهما تحكم ثم جعل قولهم فى المبالغة فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع محتملا لذلك ولتعميم المفعول وعده الشيخ عبد القاهر مما يفيد أصل المعنى على الاطلاق من غير اشعار بشىء من ذلك)وقسم هو ان تذكر الفعل وفى نفسك له مفعول مخصوص قد علم مكانه اما لجرى ذكر اودليل حال الا انك تنسيه نفسك وتخفيه وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا لان تثبت نفس معناه من غير ان تعديه الى شىء أو تعرض فيه لمفعول وهذا هو ماأراده المصنف بقوله ان يجعل الفعل مطلقا كناية عنه متعلقا بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ومثاله قول البحترى يمدح المعتز بالله ويعرض بالمستعين بالله

شجو حساده وغيظ عداه * ان يرى مبصر ويسمع واع

المعنى لامحالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واع اخباره بيد أنه تغافل عن ذلك لانه أراد ان يقول محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من

أي أن يكونَ ذُو رؤيةٍ وذ سمعٍ فيُدرِكَ محاسِنَهُ وأخبارَهُ الظاهِرةَ الدالَّةَ على استحقاقه الامامةَ دونَ غيرِه فلا يجدُوا الى منازَعتِه سبيلاً والاَّ وَجَبَ التقديرُ بحسَبِ القَرائنِ * ثمَّ الحَذْفُ إمّا للبيانِ بعدَ الابْهامِ كما في فعلِ المَشيئةِ ما لم يكُن

له بصر لكثرتها واشتهارها ويكفى فى معرفة انها سبب لاستحقاقه الامامة دون غيره ان يقع عليها بصر ويعيها سمع لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد فحساده وأعداؤه يتمنون ان لايكون في الدنيا من له عين يبصر بها واذن يسمع بها كى يخفى استحقاقه للامامة فيجدوا بذلك سبيلا الى منازعته اياها ومن هذا قول طفيل الغنوى لبنى جعفر بن كلاب

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا ان يملونا ولو ان أمنا * تلاقى الذى لاقوه منا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجؤا * الى حجرات ادفأت وأظلت

فقد حذف المفعول في أربعة مواضع لان الاصل لملتنا وألجؤنا وأدفأتنا وأظلتنا الا انه كالمتناسي حتى كان لاقصد الى مفعول وكأن الفعل أبهم أمره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه وان كان الثانى وهو ان يكون الغرض افادة تعلقه بمفعول وجب تقديره بحسب القرائن ثم حذفه من اللفظ اما للبيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة اذا لم يكن فى تعلقه بمفعوله غرابة كقولك لو شئت جئت أولم أجى أى لو شئت المجىء أو عدم المجىء فانك متى قلت لو شئت علم السامع انك علقت المشيئة بشئ فيقع فى نفسه ان هنا شيئاً تعلقت به مشيئتك بأن

تعلقُهُ به غريباً نحوُ فلو شاءَ لهداكم أجمعينَ بخلافِ نحوِ *ولَوْ شِئتُ أَنْ أَبْكِي دَماً لَبَكَيْتُهُ *وأما قولُه

يكون أو لايكون فاذا قلت جئت أو لم أجئ عرف ذلك الشئ ومنه قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وقوله تعالى من يشأ الله يضلله وقول طرفة

فان شئت لم تُرقل وان شئت أرقلت مخافة ملوى من القِدّ مُحصد(١)

وقول البحترى

لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده

وقوله أيضاً

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

فان كان فى تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره فى نفس السامع وتؤنسه به يقول الرجل يخبر عن عزه لو شئت ان أرد على الامير رددت وان شئت ان ألقى الخليفة كل يوم لقيته وعليه قول الخريمى يرثى أبا الهيذام

ولو شئت ان أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلما كان ان يشاء الانسان ان يبكى دما بدعاً عجيباً صرح بذكره ليقرره فى نفس السامع ويؤنسه فأما قول أبي الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب بن عباد

(١) الارقال سرعة السير وناقة مرقال ومرقلة سريعة والقد السوط من الجلد والمحصد كالملوى المفتول

ولم يُبقِ مني الشوقُ غيرَ تفكُّري
فلو شئتُ أن أبكي بكيتُ تفكُّرا

فليسَ منه لانَّ المرادَ بالاولِ البكاءُ الحقيقيُّ وإمّاً لِدفعِ توهمِ ارادةِ غيرِ المرادِ ابتداءً كقوله

وكم ذُدتُ عنِّي مِن تحاملِ حادثٍ وسَورةِ أيامٍ حززْنَ الى العَظْمِ

اذ لو ذُكِرَ اللحمُ لَرُبَّما توُهِّمَ قبلَ ذِكرِ ما بعدَهُ أنَّ الحزَّ لم

فلم يبق مني الشوق غير تفكرى فلو شئت ان أبكى بكيت تفكرا فليس منه لانه لم يرد أن يقول فلو شئت ان أبكي تفكرا بكيت تفكرا ولكنه أراد ان يقول أفنانى التحول فلم يبق منى وفىّ غير خواطر تجول حتى لو شئت البكاء فريت جفونى وعصرت عينى ليسيل منها دمع لم أجده ويخرج بدل الدمع التفكر فالمراد بالبكاء فى الاول الحقيقى وفى الثانى غير الحقيقى فالثانى لا يصلح لان يكون تفسيرا للاول (واما) لدفع ان يتوهم السامع فى أول الامر ارادة شيء غير المراد كقول البحترى فى قصيدته التى أولها * اعن سفه يوم الابيرق ام حلم *
وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وصيانته له ودفعه نوائب الزمان عنه
وكم ذدت عنى من تحامل حادث * وسورة أيام حززن الى العظم
اذ لو قال حززن اللحم لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده ان الحز كان فى بعض اللحم ولم ينته الى العظم فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع

يَنْتَهِ الى العظمِ وإما لانه أُريدَ ذِكرُه ثانياً على وَجهٍ يَتَضَمَّنُ إِيقاعَ الفعلِ على صَريحِ لفظِه اظهاراً لِكمالِ العنايةِ بوُقوعِه عليه كقولِه

قَدْ طَلَبْنا فلَمْ نَجِدْ لَكَ في السُّوْ ددِ والمَجْدِ والمَكارِمِ مِثْلاَ

ويَجوزُ أَنْ يكونَ السببُ تَرْكَ مُواجَهَةِ الممدوحِ بطلَبِ مِثْلٍ لَهُ وإماً للتعميمِ مَعَ الاختصارِ كقولِكَ قد كانَ مِنكَ ما يُؤْلِمُ

من هـذا الوهم ويجعله بحيث يقع المعنى منه فى أنف الفهم ويصور فى نفسه من أول الامر ان الحز مضى فى اللحم حتى لم يرده الا العظم (واما) لانه أريد ذكره ثانياً على وجـه يتضمن ايقاع الفعل على صريح لفظه اظهارا لكمال العناية بوقوعه عليه كقول البحترى أيضاً

قد طلبنا فلم نجد لك فى السو م دد والمجد والمكارم مثلا

المعنى قد طلبنا لك مثلا ثم حذف المثل اذ كان غرضه ان يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل ولاجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرمة فى قوله

ولم أمدح لارضيه بشعرى * لئيما أن يكون أصاب مالا

فانه أعمل الفعل الاول الذى هو أمدح فى صريح لفظ اللئيم والثانى الذى هو أرضى فى ضميره اذ كان غرضه ايقاع نفي المدح على اللئيم صريحا دون الارضاء.. ويجوز ان يكون سبب الحذف فى بيت البحترى قصد المبالغة فى التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز ان يكون له مثل فان العاقل لا يطلب الا ما يجوز وجوده

أي كلَّ أَحَدٍ وعليه واللهُ يَدْعُو الي دارِ السلَامِ وإمَّا لِمُجَرَّدِ الاختصارِ عِنْدَ قيامِ قرينةٍ نحوُ أصغيتُ اليه أي أُذُني وعليه أَرِني أَنظُرْ اليكَ أي ذاتَكَ وإمَّا للرِّعايةِ على الفاصلةِ نحوُ ماودَّعَكَ ربُّكَ وما قَلَى وإما لاستهجانِ ذِكْرِه كقولِ عائشةَ رضي الله عنها ما رأيتُ منه ولا رأَى منِّي أي العَورةَ وإما لِنُكْتةٍ أُخرَى *وتقديمُ مفعولِه ونحوه عليه لِرَدِّ الخطأَ في التعيين كقولِك زيدًا عَرَفتُ لمن اعتقدَ أنَّك عرَفتَ إنسانًا وأَنَّه غيرُه

وقد بين المصنف بقية أسباب الحذف بقوله واما للتعميم الى آخره (نحو ما ودعك ربك وما قلي)وقال صاحب الكشاف حذف المفعول فى مثل هذا اختصار لفظى للعلم به وقال بعضهم ان الحذف هنا لترك مواجهته عليه السلام بايقاع لفظ القلي على ضميره ولو كان منفيا ولم يفعل ذلك فى ودع لان لفظ ودع ليس كلفظ قلي (واما لنكتة أخرى) كالتمكن من انكاره ان مست الحاجة اليه أو تعينه أو ادعاء تعينه أو نحو ذلك قال الله جل شأنه لينذر بأساً شديداً أى لينذر الذين كفروا فحذف لتعينه ولان الغرض هو ذكر المنذر به (ونحوه) من الجار والظرف والحال وغيرها من سائر المعمولات (عليـه) أى على الفعل (لرد الخطأ فى التعين) أى لرد المتكلم خطأ المخاطب فى ظنه وقوع الفعل على مفعول معين ٠ ٠ وقد يكون لرد الخطأ فى ظن الاشتراك فى المفعول فتقول

زَيدٍ وتقولُ لتأكيدِه لا غيرَهُ ولهذا لا يُقالُ ما زيدًا ضربتُ ولا غيرَه ولا مازيدًاضربتُ ولـكنْ أكرمتُهُ وأما نحوُ زيداً عرَفتُه فتأكيدٌ إنْ قُدِّرَ المفسَّرُ قبلَ المنصوبِ وإلاَّ فتخصيصٌ

زيدا عرفت لمن اعتقد انك عرفت زيدا وعمرا (ولهذا لا يقال مازيدا ضربت ولا غيره) لمناقضة دلالتي الاول والثانى •• وهذا كما هو ظاهر عند ارادتك ان ترد على المخاطب فى اعتقاده وقوع الضرب منك على زيد اما اذا لم ترد ذلك فانه يجوز لك ان تقول ما زيداً ضربت ولا غيره (ولا ما زيدا ضربت ولـكن أكرمته) لان مبني الكلام ليس على ان الخطأ واقع فى الفعل بانه الضرب فترده الى الصواب بانه الاكرام وانما هو على ان الخطأ فى المضروب حين اعتقد انه زيد فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا (ان قدر المفسرقبل المنصوب) فكان الاصل عرفت زيدا عرفته (والا) أى وان لم يقدر المفسر قبل المنصوب بل قدر بعده فكان الاصل زيدا عرفت عرفته (فتخصيص) لان المقدر كالمذكور فكما ان تقديم المفعول على الفعل المذكور يفيد الاختصاص كذلك تقديمه على المقدر (وبعد) فقدعلمت ان نحو زيدا عرفتـه يحتمل التخصيص ومجرد التأكيد والقرينة هى المعول عليها في افادة أحدها واذا دلت على التخصيص كان فى هذا التركيب ابلغ منه فى نحو زيدا عرفت لما فيه من التكرير المفيد للتأكيد ومعلوم ان ليس التخصيص الا تأكيدا على تأكيد فيتقوى بازدياد التأكيد لامحالة ومن هنا قال صاحب الكشاف في قوله جل شأنه واياى فارهبون

وأما نحوُ وأَمَّا ثمودُ فهديناهُم فلا يُفيدُ إلاّ التخصيصَ وكذلك قولُكَ بزَيدٍ مَرَرْتُ والتخصيصُ لازمٌ للتقديمِ غالباً ولهذا يُقالُ في إياكَ نعبُدُ وإياكَ نَستعينُ معناهُ نَخُصُّكَ بالعبادةِ والاستعانةِ وفي لَإلى اللهِ تُحشَرُونَ معناهُ اليه تُحْشَرُون لا إلى غيره ويُفيدُ

انه من باب زيدا رهبته وهو أوكد فى افادة الاختصاص من اياك نعبد (فلا يفيد الا التخصيص) لامتناع تقدير أما فهدينا ثمود لالتزامهم وجود فاصل بين أما والفاء (وبعد) فالظاهر ان مثل هذا التقديم ليس للتخصيص لانه ليس الغرض انا هدينا ثمود دون غيرهم ردا على من زعم الاشتراك أو انفراد الغير بالهداية وانما الغرض اثبات أصل الهداية لهم ثم الاخبار عن سوء صنيعهم (وكذلك قولك بزيد مررت) فانه يفيد ان سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد فازلت عنه الخطأ مخصصا مرورك بزيد دون غيره (غالبا) يريد ان التقديم قد لايكون للاختصاص بان يكون لمراعاة نظم الكلام مثلا وذلك ان يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم مثل قوله جل وعلا خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وقوله جل شأنه وان عليكم لحافظين .. الى ربها ناظرة .. فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلاتنهر وأما بنعمة ربك فحدث . الى غير ذلك من المواضع التى لا يحسن فيها اعتبار التخصيص لنبو المقام عنه كما نبه على ذلك صاحب المثل السائر (ويفيد فى الجميع وراء التخصيص اهتماما بالمقدم) قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول . كأنهم يقدمون الذى شأنه اهم وهم ببيانه

فِي الجَمِيعِ وراءَ التخصيصِ اهتماماً بالمُقَدَّمِ ولهذا يُقَدَّرُ في بسمِ اللهِ مُؤَخَّرًا واُورِدَ اقْرَأْ بِسمِ رَبِّكَ واُجِيبَ بأَنَّ الاهمَّ فيه القراءةُ وبأَنَّهُ متعلِّقٌ باقرأْ الثاني ومعنَي الاولِ اَوْجِدِ القراءةَ وتقديمُ بعضِ معمولاتِهِ على بعضٍ لانَّ أصلَهُ التقديمُ ولا

اعني (وبعد) فانا الى هنا قد جارينا القوم فيما ذهبوا اليه في هذا المقام واني متحفك الآن بما قاله الشيخ الامام في دلائل الاعجاز اعلم انا لم نجدهم اعتمدوا في التقديم شيئاً يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام لكن ينبغي ان يفسر وجه العناية بشيء ويعرف له معنى وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يقال انه قدم للعناية ولان ذكره أهم من غير ان يذكر من اين كانت تلك العناية ولم كان أهم ومن الخطأ أيضاً ان يجعل التقديم مفيداً في كلام فائدة وغير مفيد في آخر وان يعلل تارة بالعناية واخرى بانه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ذاك لأن من البعيد ان يكون في جملة النظم مايدل تارة ولا يدل أخرى (ولهذا يقدر في بسم الله مؤخرا) ليفيد مع الاختصاص الاهتمام لان المشركين كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فقصد الموحد تخصيص اسم الله بالابتداء للاهتمام والرد عليهم (واورد اقرأ باسم) فان الفعل فيه متقدم (واجيب بان الاهم فيه القراءة) لانها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم من الامر باختصاص القراءة باسم الله اذ لا يناسب المقام وأصل هذا لصاحب الكشاف (وبانه الى آخره) هذا ما أجاب به السكاكي واليك عبارته ٠ الوجه عندي ان يحمل اقرأ على معنى افعل القراءة وأوجدها

مُقتضِيَ للعدولِ عنهُ كالفاعلِ في نحوِ ضربَ زيدٌ عمرًا والمفعولِ الاولِ في نحو أَعطَيتُ زيدًا دِرهمًا أولانَّ ذِكرَه أَهمُّ كقولكَ قتلَ الخارجيَّ فلانٌ أو لانَّ في التأخير إخلالاً ببيانِ المعنى نحوُ وقالَ رَجلٌ مؤْمِنٌ من آلِ فرْعَونَ يَكتُمُ إِيمانَه فانَّه لو أُخِّرَ مِنْ آلِ فرعونَ عن قولِه يَكتُمُ إيمانَهُ لتُوُهِّمَ أنَّه من صلةِ يَكتُمُ فلا يفْهَمُ أنَّه منهم أوللتناسُبِ كرعايةِ الفاصلةِ نحوُ فأَوجسَ في نفسهِ خيفةً موسى

على نحو ما تقدم فى قولهم فلان يعطي ويمنع فى أحد الوجهين غير معدى الى مقروءبه وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذى بعده ٠٠ ولا يذهب عليك أن ما ارتآه الزمخشري بالبلاغة ألصق وبنظم القرآن أليق (أولان ذكره اهم) قال فى الايضاح فيقدم المفعول على الفاعل اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه كما اذا خرج رجل على السلطان وعاث فى البلاد وكثر منه الاذى والقتل وأردت ان تخبر بقتله فتقول قتل الخارجى فلان بتقديم الخارجى اذ ليس للناس فائدة فى ان يعرفوا قاتله وانما الذى يريدون علمه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره ٠٠ ويقدم الفاعل على المفعول اذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل ممن وقع منه لا وقوعه بمن وقع عليه كما اذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدّر فيه ان يقتل فقتل رجلا واردت أن تخبر بذلك فتقول قتل فلان رجلا

﴿ القصرُ ﴾

حقيقيٌ وغيرُ حقيقيٍ وكلٌ منهما نوعان قصرُ الموصوفِ على الصفةِ وقصرُ الصفةِ على الموصوفِ والمرادُ المعنويةُ لا النعتُ والاولُ من الحقيقيِ نحوُ ما زيدٌ الاّ كاتبٌ اذا أُريدَ أنَّه لا يتَّصفُ

بتقديم القاتل لان الذى يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ومعلوم انه لم يكن نادرا ولا بعيدا من حيث كان واقعاً على من وقع عليه بل من حيث كان واقعاً ممن وقع منه وعليه قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم وقوله جل شأنه ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم قدم المخاطبين فى الاولى دون الثانية لان الخطاب في الاولى للفقراء بدليل قوله تعالى من املاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم والخطاب فى الثانية للاغنياء بدليل قوله خشية املاق فان الخشية انما تكون مما لم يقع فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لانه حاصل فكان أهم فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم (القصر) في اصطلاح البيانيين تخصيص شيء بشيء بطريق معهود (حقيقى) بان يكون تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفى نفس الامر بان لايتجاوزه أصلا (وغير حقيقى) وهو الاضافى بان يكون بحسب الاضافة والنسبة الى شيء آخر (والمراد المعنوية) يقول ان الصفة هنا يراد بها المعنى القائم بالذات لا النعت النحوى وهو التابع الذى يدل على معنى فى متبوعه غير الشمول (وبعد) فما

بغيرِها وهو لا يَكادُ يُوجَدُ لِتعَذُّرِ الاحاطَةِ بصفاتِ الشيءِ
والثانِي كثيرٌ نحوُ ما في الدارِ الاَّ زيدٌ وقد يُقْصَدُ به المبالغة
لِعَدَمِ الاعتدادِ بغيرِ المذكورِ والاولُ من غيرِ الحقيقيِّ تخصيصُ
أمرٍ بصفةٍ دون أُخرَى أو مكانَها والثانى تخصيصُ صِفَةٍ بأمرٍ
دون آخَرَ أو مكانَهُ فكلٌّ منهما ضَرْبانِ والمخاطَبُ بالاوَّلِ
مِن ضَرْبَيْ كلٍّ مَن يَعتَقِدُ الشَّرِكَةَ ويُسَمَّي قصرَ إفرادٍ لقطعِ

كان للمصنف ان ينبه على مثل هذا وهو أظهر من ان ينبه عليه (بغيرها) أي بغير الكتابة (لتعذر الاحاطة بصفات الشيء) واذن فلا يمكن اثبات شيء منها ونفي ماعداه (وقد يقصد به المبالغة) كما يقصد بقولنا مافى الدار الا زيدان جميع من فى الدار ممن عدا زيدا فى حكم المعدوم (فكل منهما) أى كل قسم من قسمى الاضافى وهما قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف (ضربان) الاول تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر والثانى تخصيص أمر بصفة مكان أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر (من يعتقد الشركة) أى اتصاف ذلك الامر بتلك الصفة وغيرها جميعا فى الاول واتصاف ذلك الامر وغيره جميعاً بتلك الصفة فى الثانى فالمخاطب بقولنا ما زيد الا كاتب من يعتقد ان زيدا كاتب وشاعر وبقولنا ماشاعر الا زيد من يعتقد ان زيدا شاعر لكن يدعي ان عمرا أيضاً شاعر (من

الشَّرِكَةِ وبالثاني من يَعتَقِدُ العَكسَ ويُسمَّي قصرَ قَلْبٍ لِقَلْبِ حُكمِ المخاطَبِ أو تَساويَا عندَه ويُسمَّي قصرَ تَعيينٍ وشرط

يعتقد العكس) أى عكس الحكم الذى أثبته المتكلم • فالمخاطب بقولنا مازيد الا قائم من اعتقد اتصافه بالقعود دون القيام وبقولنا ماشاعر الا زيد من اعتقد انالشاعر عمرو لا زيد (أو تساويا عنده)هو معطوف على قوله يعتقد العكس يقول ان المخاطب بالثاني اما من يعتقد العكس أو من تساوى عنده الامر ان اى اتصاف ذلك الامر بتلك الصفة واتصافه بغيرها فى الاول واتصافهبها واتصاف غيره بها في الثانىفالمخاطب بقولنا مازيد الا قائم من يعتقد اتصافهبالقيامأو القعود من غير علمبالتعيين وبقولنا ما شاعر الا زيد من يعتقد ان الشاعر زيد أو عمرو من غير ان يعلمه على التعيين (والحاصل) ان تخصيص شيء بشيء دون آخر قصر افراد وتخصيص شيء بشيء مكان آخر ان اعتقد المخاطب فيه العكس قصر قلب وان تساويا عنده قصر تعين والذى تشعر به عبارة السكاكي ان القسمة ثنائيةوان ماجعله المصنف قسماثالثاً وسماهقصر تعين منظوم فى سلك قصر الافراد ونوع منهوهاك عبارتهحاصل معنىالقصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لامنجم لمن يعتقده شاعرا ومنجماً أو قولكزيد قائم لاقاعد لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر افراد أو بوصف مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجماً لا شاعراً ما زيد منجم بل شاعر أو زيد شاعر لامنجم ويسمى هذا قصر قلب

قصرِ الموصوفِ على الصفةِ إفراداً عدمُ تنافي الوصفينِ وقلباً تحقُّقُ تنافيهما وقصرُ التعيينِ أعمُّ وللقَصْرِ طرُقٌ منها العطفُ كقولِكَ في قصرِه إفراداً زيدٌ شاعرٌ لا كاتبٌ أو ما زيدٌ كاتباً بل شاعرٌ وقلباً زيد قائمٌ لا قاعدٌ وما زيد قاعداً بل قائمٌ وفي قصرها زيدٌ شاعرٌ لا عَمْرٌو أو ما عَمْرٌو شاعراً بل زيد ومنها النفيُ والاستثناءُ كقولِكَ في قصرِه ما زيدٌ إلاَّ شاعرٌ

أو الى تخصيص الوصف بموصوف قصر افراداًو قصر قلب والمُثل ظاهرة وهو كلام متين وتقسيم قريب (عدم تنافى الوصفين) ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما فتكون المنفية فى قولنا مازيد شاعر كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك لا كونه مفحماً لايقول الشعر (وقلبا تحقق تنافيهما) ليكون اثبات الصفة مشعرا بانتفاء غيرها فتكون المنفية في قولنا ما زيد الا قائم كونه قاعداً أو جالساً أو نحو ذلك لا كونه أسود أو أبيض (وقصر التعيين أعم) واذن فكل مايصلح أن يكون مثالا لقصر الافراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين من غير عكس (وبعد) فقد أهمل السكاكي القصر الحقيقي وأدخل قصر التعين فى قصر الافراد كما علمت فلم يشترط فى قصر الموصوف افراداً عدم تنافى الصفتين ولا فى قصره قلبا تحقق تنافيهما وحبذا صنيعه وكان أمسّ بالمصنف ان يحذو حذوه فى ذلك كما لا يخفى على طبع الذكى وقلب الفطن (كقولك فى قصره ما زيد الاشاعر الى آخره) قال السكاكي وتحقيق

وما زيدالا قائمٌ وفي قصرها ماشاعرٌ الاَّ زيدومنها إنما كقولك
في قصره انما زيدٌ كاتبٌ وإنما زيدٌ قائم وفي قصرها انما قائمٌ
زيدٌ لِتضمنها معنى مَا وإلاَّ لِقَوْلِ المُفَسّرِينَ إِنَّمَا حَرَّمَ عليكمُ

وجه القصر فى الاول انه متى قيل مازيد توجه النفى الى صفته لاذاته لان انفس الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها كما بين ذلك فى غير هذا العلم وحيث لانزاع فى طوله وقصره وماشا كل ذلك وانما النزاع فى كونه شاعراً أو كاتباً تناولهما النفي فاذا قيل الاشاعر جاء القصر وفى الثانى انه متى قيل ما شاعر فادخل النفي على الوصف المسلم ثبوته اعنى الشعر لغير مَن الكلامُ فيهما كزيدوعمرو مثلا توجه النفى اليهما فاذاقيل الازيد جاء القصر (لتضمنهامعنى ما والا) يقول ان السبب فى افادةانمامعنى القصر هو تضمنها معنى ماوالا والدليل على ذلك ثلاثةأوجه أولهاقول المفسرين فى قوله تعالى انماحرم عليكم الميتة بنصب الميتة ان المعنى ما حرم عليكم الا الميتة وهذا المعنى هو المطابق لقراءة رفع الميتة المقتضية لانحصار التحريم على الميتة بسبب ان مافى قراءة الرفع يكون موصولا صلته حرم عليكم واقعاً اسما لان ويكون المعنى ان المحرم عليكم الميتة وقد سبق ان المنطلق زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضى انحصار الانطلاق على زيد الثاني انك ترى أئمة النحو يقولون انما تأتي اثباتاً لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه الثالث صحة انفصال الضمير معها كقولك انما يضرب أنا مثله فى ما يضرب الا أنا قال الفرزدق • انا الذائد البيت كما قال عمرو بن معد يكرب

المَيتةَ بالنصبِ معناهُ ما حَرَّمَ عليكم الا المَيْتةَ وهو المُطابِقُ
لقراءةِ الرفعِ لِمَا مرَّ ولقولِ النُّحاةِ انما الإِثباتِ ما يُذْكَرُ بعدها
ونَفْيِ ما سِواهُ ولصِحَّةِ انفصالِ الضميرِ معها قال الفَرَزْدَقُ
أَنَا الذائدُ الحامِي الذِّمارَ وَإِنَّما يُدَافِعُ عن أَحْسابِهِمْ أَناأَومِثْلي
ومنها التقديمُ كقولِكَ في قصره تَميميٌّ أَنَا وفي قصرِها أَنَا
كَفَيْتُ مُهِمَّكَ وهذه الطرُقُ تَختَلفُ من وُجوهٍ فدِلالةُ الرابع

قد علمت سلمى وجاراتها * ماقطر الفارس الا أنا
قال الشيخ عبد القاهر اعلم ان الذى صنعه الفرزدق شيء لو لم يصنعه
لم يصح له المعنى ذاك لان غرضه ان يخص المدافع لاالمدافع عنه وأنه
يزعم ان المدافعة منه تكون عن احسابهم لاعن احساب غيرهم كما
يكون اذا قال وما أدافع الا عن احسابهم وليس ذلك معناه انما
معناه ان يزعم ان المدافع هو لاغيره قال ولا يجوز ان ينسب فيه الى
الضرورة فيجعل مثلا نظير قول الآخر * كأنَّا يوم قُرَّى انما نقتل
ايانا * لانه ليس به ضرورة الى ذلك من حيث ان أدافع ويدافع واحد
فى الوزن (هذا) وقد نقل فى تضمنها معنى ما والا مناسبة عن على بن
عيسى الربعى وهي أنه لما كانت كلمة ان لتأكيد اثبات المسند للمسند
اليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لاالنافية كما يظنه من لاوقوف له على علم
النحو ناسب أن تضمن معنى القصر لان القصر ليس الا تأكيدا على
تأكيد فان قولك زيد جاء لاعمرو لمن يردد المجيء الواقع بينهما يفيد
اثباته لزيد فى الابتداء صريحا وفى الآخر ضمنا (انا كفيت مهمك) ،

بالفَحْوَى والباقيةِ بالوضع والاصلُ في الاولِ النصُّ على المُثْبَتِ والمَنْفِيّ كما مرَّ فلا يُتْرَكُ إلاَّ كَرَاهةَ الاطناب كما اذا قيل زيدٌ يَعلَمُ النحوَ والتصريفَ والعَروضَ أو زيدٌ يَعلَمُ النحوَ وعَمْرٌو وبكرٌ فتقولُ فيهما زيد يَعلَم النحوَ لا غيرُ أو نحوَه وفي الثلاثةِ الباقيةِ النصُّ على المُثْبَتِ فقط والنفيُ لا يُجامعُ الثانِيَ لانَّ شرطَ

بمعنى وحدى اذا كنت تخاطب به من يعتقد انك وغيرك كفيتما مهمه وبمعنى لاغيرى اذا كان المخاطب يعتقد ان غيرك كفى مهمه دونك (الرابع) وهو التقديم (بالفحوى) أى بمفهوم الكلام بمعنى انه اذا تأمل من له الذوق السليم فى مفهوم الكلام الذى فيه التقديم فهم منه القصر وان لم يعرف انه فى اصطلاح البلغاء كذلك (والاصل الى آخره) هذا هو الوجه الثانى من وجوه الاختلاف (فى الاول) وهو طريق العطف (كما مر) من الامثلة فان المعطوف عليه فى لا هو المثبت والمعطوف هو المنفى وفى بل بالعكس (زيد يعلم النحو لاغير) أما فى الاول فمعناه لاغير النحو وهو قائم مقام لاالتصريف ولا العروض وأما فى الثانى فمعناه لاغير زيد وهو قائم مقام لاعمرو ولا بكر (أو نحوه) اي أو نحو لاغير مثل ليس الا (والنفي الى آخره) يقول الوجه الثالث من وجوه الاختلاف ان النفي بلا العاطفة لايجامع النفى والاستثناء فلا يصح مازيد الا قائم لاقاعد لان شرط جواز النفى بلا ان لايكون ماقبلها منفيا بغيرها من أدوات النفي لانها موضوعة لان ينفى بها

المَنفيّ بلاَ أَنْ لا يكونَ مَنْفيًّا قبلَها بغيرِها . ويُجامعُ الاخيرَيْن . فيُقالُ إنمـا أَنا تَمِيميٌّ لا قَيْسِيٌّ وهو يأتيني لا عَمْرٌو لانَّ النفيَ فيهما غيرُ مُصَرَّحٍ به كما يُقالُ امْتَنَعَ زيدٌ عن المَجيءِ لا عَمْرٌو

ماأوجبته للمتبوع لالان تفيد بها شيئا قد نفى أولا أو تنفى بها نفيا فتعود ايجابا واذا كان ذلك كذلك تعذر ان ينفى بها بعد النفى والاستثناء لانك اذا قلت مازيد الا قائم فالغرض نفى كل صفة وقع فيها التنازع والصفة التى تنفيها بلا بعد هذا يجب ان تكون مما وقع فيه النزاع والا خرجت عما يراعى فى خطاب العطف بها من افادة الحصر أو تأكيده فاذا قلت مثلا لاقاعد فقد نفيت بها شيئا هو منفى قبلها بما النافية فلا يصح الاتيان بها بعد النفى والاستثناء • ويصح الاتيان بها مع انما والتقديم فتقول انما زيد كاتب لاشاعر وهو يأتينى لاعمرو لان النفى فيهما غير مصرح به وانما صرح فيهما بالاثبات فلم يقبح تأكيد ماتضمناه والنفى بلا بخلاف ماوالا فقد صرح فيهما بالنفى وحينئذ فالنفى الصريح ليس كالضمنى يدل على ذلك انه يقال امتنع زيد عن المجىء لاعمرو فيعطف على فاعل امتنع بلا فيفيد الكلام حصر الإمتناع في زيد بواسطة العطف بلا وصح ذلك لان صريح امتنع زيد اثبات الامتناع فلفظ لايفيد نفي ذلك الاثبات وأما نفى المجىء فهوضمنى فجاز العطف بلا لكون النفي فى امتنع ضمنيا ولو صرح به وقيل لم يجىء زيد لم يصح ان يقال لاعمرو لانه نفي للنفي فيكون اثباتا ووضع

(السكاكيُّ) شرطُ مُجامعتهِ الثالثَ أَنْ لا يكونَ الوصفُ مُخْتَصاً بالموصوفِ نحوُ انما يَسْتَجيبُ الذينَ يَسْمَعُونَ (عبدُ القاهر) لا تَحْسُنُ في المُخْتصِّ كما تَحْسُنُ في غيرِه وهذا أَقْرَبُ وأصلُ

لاالنفى لا للاثبات (السكاكي الى آخره) واليك عبارته • اذا جامعت لاالعاطفة انما جامعتها بشرط وهو ان لايكون الوصف بعد انما مماله فى نفسه اختصاص بالموصوف المذكور كقوله عزاسمه انما يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم انه لاتكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل وقوله انما أنت منذر من يخشاها فلا يخفى على أحد ممن به مسكة ان الانذار انما يكون انذارا ويكون له تأثير اذا كان مع من يؤمن بالله وبالبعث والقيامة وأهوالها ويخشي عقابها وقولهم انما يعجل من يخشى الفوت فمركوز فى العقول ان من لم يخش الفوت لم يعجل واذا كان له اختصاص لم يصح فيه استعمال لا العاطفة فلا تقل انما يعجل من يخشي الفوت لامن يأمنه (وهذا أقرب) يقول ان كلام عبد القاهر أقرب الى الصواب من عبارة السكاكي (وبعد) فان من الظاهر ان السكاكي انما جعل ذلك شرطاً فى الحسن فهو فى الواقع لم يقل شيئاً غير ماقاله عبد القاهر وغريب ذهول المصنف رحمه الله عن مثل هذا (واصل الثانى الى آخره) يقول الوجه الرابع من وجوه الاختلاف ان أصل النفى والاستثناء ان يكون الحكم الذي استعمل هو فيه من الاحكام التى يجهلها المخاطب وينكرها بخلاف انما فان أصله ان يكون الحكم المستعمل هو فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره

الثاني أَنْ يكونَ ما استُعْمِلَ له مِمَّا يجهلُهُ المخاطَبُ ويُنكِرُه بخلافِ الثالثِ كقولكَ لصاحبِكَ وقد رأيتَ شَبَحًا من بعيدٍ ما هو إلَّا زيدٌ اذا اعتَقَدَهُ غيرَه مُصِرًّا وقد يُنَزَّلُ المعلومُ مَنْزِلَةَ المجهولِ لاعتبارٍ مُناسِبٍ فيُسْتَعْمَلُ له الثاني إفرادًا نحوُ وما محمَّدٌ الا رسولٌ أي مقصورٌ على الرسالةِ لا يتعدَّاها الي التبرِّي من الهَلاكِ نُزِّلَ استعظامُهُمْ هلاكَه منزِلَةَ إنكارِهِم إيَّاهُ أو قلبًا

وأصل هذا الكلام للشيخ عبد القاهر رحمه الله واليك عبارته مع شيء من التصرف .. ان موضوع ما والا على ان يكون للامر ينكره المخاطب ويشك فيه أو ماينزل هذه المنزلة فلا يصح استعمالها فى الامر الظاهر فلا تقول للرجل ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ماهو الا أخوك .. مثال الاول قولك لصاحبك وقد رأيت شبحا من بعيد ما هو الا زيد اذا وجدته يعتقد غير زيد ويصر على الانكار ومنه قوله تعالى وما من اله الا الله . ومثال الثانى قوله عز وجل وما محمد الا رسول أى انه صلى الله عليه وسلم لايتعدى الرسالة الى التبرى من الهلاك نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه ومثله وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير فانه صلى الله عليه وسلم كان لشدة حرصه على هداية الناس يكرر دعوة الممتنعين عن الايمان ولا يرجع عنها فكان في معرض من ظن انه يملك مع صفة الانذار ايجاد الشيء فيما يمتنع قبوله اياه ومن هذا قوله تعالى ان أنتم الا بشر

نحوُ إنْ أنتمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثلُنا لاعتقاد القائلينَ أنَّ الرسول لا يكونُ بَشَراً معَ إصْرارِ المخاطَبينَ على دَعْوَى الرسالَةِ وقولُهمْ إنْ نحْنُ الا بشرٌ مِثلُكم من بابِ مُجاراةِ الخَصمِ ليَعْثُرَ حيثُ يُرَادُ تَبْكيتُه لا لتَسليم انتفاءِ الرسالةِ وكقولكَ هو أخوكَ لِمَنْ يعلمُ ذلك ويُقِرُّ به وأنتَ تُريدُ أنْ ترَقِّقَهُ عليه وقد يُنزَّلُ المجهولُ مَنْزِلَةَ المعلومِ لادِّعاءِ ظهُورِه فيُستَعملُ له الثالثُ نحوُ

مثلنا لان الكفار جعلوا الرسل كأنهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم عن ان يكونوا بشرا مثلهم ولما كان كذلك أخرج اللفظ مخرجه حيث يراد اثبات أمر يدفعه المخاطب ويدعى خلافه ثم جاء الجواب من الرسل الذى هو قوله تعالى ان نحن الا بشر مثلكم كذلك بان والا لان من حكم من ادعي عليه خصمه الخلاف فى أمر هو لايخالف فيه ان يعيد كلام الخصم على وجهه ويجيء به على هيئته ويحكيه كما هـو فاذا قلت للرجـل أنت من شأنك كيت وكيت قال نعم انا من شأنى كيت وكيت ولكن لاضير على ولا يلزمنى من أجل ذلك ماظننت انه يلزم فالرسل كأنهم قالوا ان ماقلتم من أنا بشر مثلكم كما قلتم لسنا ننكر ذلك ولا نجهله ولكن ذلك لايمنعنا من ان يكون الله تعالى قد من علينا وا كرمنا بالرسالة .. وأما انمـا فموضوعها على ان تجيء لخبر لايجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لمـا ينزل هـذه المنزلة مثال الاول قولك للرجل انمـا هو أخوك وانمـا هو صاحبك القديم لاتقوله لمن يجهل

إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ولذلكَ جاءَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ للردِّ عليهم مؤَكَّدًا بما تَرَى ومَزِيَّةُ إنما على العطفِ أنه يُعْقَلُ منها

ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به الا انك تريد ان تنبهه للذى يجب عليه من حق الاخ وحرمة الصاحب ومثله قول الآخر

انما أنت والد والاب القا * طع أحنى من واصل الاولاد

لم يرد ان يعلم كافورا انه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام ولكنه أراد ان يذكره منه بالامر المعلوم لينبنى عليه استدعاء مايوجبه كونه بمنزلة الوالد ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله عز وجل انما أنت منذر من يخشاها كل ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم ومثال الثاني قول قيس الرقيات

انما مصعب شهاب من اللـــه تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى فى كون الممدوح بهذه الصفة انه أمر معلوم للجميع على عادة الشعراء اذا مدحوا ان يدعوا فى الاوصاف التي يذكرون بها الممدوحين انها ثابتة لهم وانهم قد شهروا بها وانهم لم يصفوا الا بالمعلوم الظاهر الذى لايدفعه أحد كما قال الحطيئة

وتعذلنى افناء سعد عليهم * وماقلت الابالذى علمت سعد

وكما قال البحترى

لاادعى لابى العلاء فضيلة * حتى يسلمها اليه عداه

ومثل البيت قوله تعالى حكاية عن اليهود واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون المعنى انهم يدعون ان كونهم مصلحين أمر ظاهر معلوم ولذلك أكد الامر فى تكذيبهم والرد عليهم

الحُكمَانِ معاً وأحْسنُ موَاقعِها التعريضُ نحوُ إنما يتَذكَّرُ

فجمع بين الا التي للتنبيه وان التي هي للتأكيد فقال الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (الحكمان) اى الاثبات للمذكور والنفي عما سواه (وأحسن مواقعها التعريض) قال الشيخ عبد القاهر اعلم انك اذا استقريت وجدتها أقوى ماتكون وأعلق ماترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكلام بعدها نفس معناه ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه نحو أنا نعلم ان ليس الغرض من قوله تعالى انما يتذكر أولوا الالباب ان يعلم السامعون ظاهر معناه ولكن ان يذم الكفار وان يقال انهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم فى حكم من ليس بذى عقل وانكم اذا طمعتم منهم فى ان ينظروا ويتذكروا كنتم كمن طمع فى ذلك من غير أولى الالباب ومثال ذلك من الشعر قوله

انا لم أرزق محبتها * انما للعبد مارزقا

الغرض ان يفهمك من طريق التعريض انه قد صار ينصح نفسه ويعلم انه ينبغي له ان يقطع الطمع من وصلها وييأس من ان يكون منها اسعاف ومن ذلك قوله * وانما يعذر العشاق من عشقا * يقول انه ليس ينبغي للعاشق ان يلوم من يلومه في عشقه وانه ينبغي ان لا ينكر ذلك منه فانه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولوكان ابتلى به لعرف ماهو فيه فعذره (وغيرهما) كالفاعل والمفعول وكالمفعولين وكذى الحال والحال تقول فى قصر الفاعل على المفعول افرادا أو قلبا بحسب المقام ماضرب زيد الا عمرا ومن الوارد على قصر القلب قوله تعالى حكاية عن السيد المسيح عليه السلام ماقلت لهم الا ماأمرتني به ان اعبدوا الله لانه

أُولُوا الالبابِ فإِنّه تعريضٌ بأنَّ الكفارَ من فرْطِ جهلهم كالبهائم فطمعُ النظرِ منهم كطمعهِ منها* ثُمَّ القصرُ كما يقعُ بيْنَ المبتدا والخبرِ على مامرَّ يقعُ بيْنَ الفعلِ والفاعلِ نحوُ ما قامَ الا زيدٌ وغيرِهما فى الاستثناء يُؤَخَّرُ المقصورُ عليه معَ أَداة الاستثناءِ وقَلَّ تقديمُهما بحالهما نحوُ ما ضربَ الا عمْرًا زيدٌ

قاله في مقام اشتمل على معنى انك ياعيسى لم تقل للناس ماأمرتك لاني أمرتك ان تدعو الناس الى ان يعبدونى ثم انك دعوتهم الى ان يعبدوا من هودونى الا ترى الى ماقبله واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله •• وفى قصر المفعول على الفاعل ماضرب عمرا الا زيد وفى قصر المفعول الاول على الثانى فى نحو كسوت وظننت ما كسوت زيدا الاجبة وما ظننت زيدا الامنطلقا وفى قصر الثانى على الاول ما كسوت جبة الا زيدا وما ظننت منطلقا الا زيدا وفى قصر ذى الحال على الحال ماجاء زيد الا راكبا وفى قصر الحال على ذي الحال ماجاء راكبا الا زيد (وقل تقديمهما بحالهما) أى جاز على قلة تقديم المقصور عليه وأداة الاستثناء بحالهما على المقصور ومن ذلك قول الشاعر

لاأشتهي ياقوم الا كارها * باب الامير ولا دفاع الحاجب

وقول الآخر

كان لم يمت حى سواك ولم يقم * على أحد الا عليك النوائح

وما ضَرَبَ الا زيدٌ عمْرًا لاستلزامهِ قصرَ الصفةِ قبلَ تمامها وَوَجْهُ الجميعِ أنَّ النفيَ في الاستثناءِ المُفرَّغِ يتوجَّهُ الى مقدَّرٍ هو مُستثنًى منه عامٍّ مناسبٍ للمستثنَي في جنسهِ وصفتهِ

وأنشد سيبويه

الناس ألب علينا فيك ليس لنا * الا السيوفَ واطرافَ القَنا ورد

وقوله بحالهما احتراز من ازالة حرف الاستثناء عن مكانه بتأخيره عن المقصور عليه كقولك فى ماضرب زيد الا عمرا ماضرب عمرا الا زيد فانه يختل المعنى (لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها) كالضرب الصادر من زيد فى ماضرب زيد الا عمرا والضرب الواقع على عمرو فى ماضرب عمرا الا زيد (ووجه الجميع) أى وجه افادة النفى والاستثناء الحصر فى جميع ماذكر مما بين المبتدا والخبر والفاعل والمفعول والحال وصاحبها والمفعول الاول والثانى وغير ذلك (يتوجه الى مقدر الى آخره) اما توجهه الى مقدر هو مستثنى منه فلكون الا للاخراج واستدعاء الاخراج مخرجا منه وأما عمومه فليتحقق الاخراج ولئلا يلزم التخصيص من غير مخصص قال صاحب المفتاح ولذلك ترانا فى علم النحو نقول تأنيث الضمير فى كانت فى قراءة أبى جعفر ان كانت الا صيحة بالرفع وفي ترى المبنى للمفعول فى قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم برفع مساكنهم وفى بقيت فى بيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع * للنظر الى ظاهر اللفظ والاصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شيء من الاشياء وأما مناسبته في جنسه وصفته

فاذا أُوجِبَ منه شيءٌ بإلاَّ جاءَ القَصرُ وفي انما يُؤَخَّرُ المقصورُ عليه تقولُ انما ضَرَبَ زيدٌ عمرًا ولا يجُوزُ تقديمُه على غَيرِه للإلْباسِ * وغيرُ كإلاَّ في إفادةِ القصرَيْنِ

فظاهرة لان المراد بجنسه ان يكون فى نحو ماضرب زيد الا عمرا • أحدا • وفى نحو قولك ما كسوت زيدا الا جبة • لباسا • وفى نحو ماجاء زيد الا راكبا • كائناً على حال من الاحوال • وفى نحو ما اخترت رفيقاً الا منكم • من جماعة من الجماعات • ومنه قول السيد الحميرى

لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا

لان أصله ما اختار فارسا الا منكم •• والمراد بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا وعلى هذا القياس (وفى انما) هو معطوف على قوله فى الاستثناء (وفى انما يؤخر المقصور عليه) حيث يستفاد القصر منها فقط فخرج مثل قول أبى الطيب

اساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

اذ المفيد للقصر فيه هو التقديم (ولا يجوز تقديمه على غيره) بخلاف الا لعدم افضائه الي الالباس وههنا مفض الى الالباس كما قال لانك لو قلت انما ضرب زيد عمرا لكان فى المعنى عكس قولك انما ضرب عمرا زيد (قال) السكاكى ومماذكر تعثر على الفرق بين انما يخشى الله من من عباده العلماء وبين انما يخشى العلماء من عباده الله بتقديم المرفوع على المنصوب فالاول يقتضى انحصار خشية الله على العلماء والثانى يقتضي انحصار خشية العلماء على الله (فى افادة القصرين) قصر الموصوف على

وامتناعِ مُجامعةِ لاَ

﴿ الانشاء ﴾

إنْ كان طَلباً استدْعَي مطلوباً غيرَحاصلٍ وقْتَ الطلَبِ وأنواعهُ كثيرةٌ منها التمنّي واللفظُ الموضوعُ له لَيْتَ ولا يُشترَطُ امكانُ المتَمَنَّي تقولُ ليتَ الشبابَ يَعودُ وقد يُتَمنَّي بِهَلْ نحوُ هلْ لى منْ

الصفة وقصر الصفة على الموصوف تقول فى قصره ما زيد غير شاعر • افرادا • ومازيدغير قائم • قلبا • وفي قصرهاماشاعرغير زيدبالاعتبارين بحسب المقام (وامتناع مجامعة لا) فلا تقول مازيد غير شاعر لا كاتب ولاما شاعر غيرزيد لاعمرو (الانشاء) هو كما يطلق على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أولا كذلك يطلق على فعل المتكلم أعني القاء الكلام الانشائى كالإخبار والمرادهناهو الثانى ثم هو نوعان طلب وغيره والمصنف لم يتعرض لغير الطلب لقلة المباحث البيانية المتعلقة به وذلك كبعض افعال المقاربة وافعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم ولعل على ان كثيرا منها نقل من الخبر الى الانشاء فيستغنى بابحاثه الخبريةعن الانشائية (استدعى مطلوبا غير حاصل) لامتناع تحصيل الحاصل قال التفتازانى فاذا وردت صيغة الطلب فى الحاصل حملت على مايناسب المقام كمافى قول الله جل شأنه ياأيها النبي اتق الله المعنى دمْ على التقوي (التمنى)هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفى الطماعية (ولا يشترط امكان المتمنى) لان الانسان كثيرا مايحب المحال ويطلبه •• لكن اذا كان المتمنى ممكنا يجب ان لا يكون لك توقع وطماعية فى وقوعه والاصار ترجيا يستعمل

شَفِيعٍ حيثُ يَعلمُ أَنْ لا شَفيعَ له وبلَوْ نحوُ لو تأتيني فتُحَدِّثَني بالنصبِ (السكاكيُّ) كأَنَّ حروفَ التنديمِ والتحضيضِ وهي هَلاَّ وأَلاَّ بقلبِ الهاءِ همزةً ولَوْلا ولوماَ مأخوذةٌ مِنهُما مُرَكَّبَتَيْنِ معَ لاَ وماَ المَزِيدتَيْنِ لِتَضمينِهما معْنَى التمنّي ليَتولَّدَ منه في الماضي التنديمُ نحو هلاَّ أكرمتَ زيداً وفي المضارعِ التحضيضُ نحو هلاَّ تقومُ وقد يُتمنَّى بِلَعلَّ فَتُعْطَى حكمَ ليتَ

فيه لعل أو عسى (حيث يعلم ان لاشفيع له) لانه اذ ذاك يمتنع حمله على حقيقة الاستفهام لحصول الجزم بانتفاء هذا الحكم واستدعاء الاستفهام الجهل بثبوته وانتفائه هذا والسر فى العدول عن ليت والتمنى بهل هو ابراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن الذى لاجزم بانتفائه (وبلو) ولعل السر فى ذلك هو الاشعار بعزة متمناه حيث أبرزه فى صورة مالا يوجد لان لو بحسب أصلها حرف امتناع لامتناع (منهما) أى من هل ولو المنقولتين للتمنى (لتضمينهما الى آخره) يقول ان الغرض من هذا التركيب والتزامه جعل هل ولو متضمنتين معنى التمنى وذلك ليتولد منه مع الماضى التنديم ومع المستقبل التحضيض فتقول هلا أكرمت زيداً ولوما أكرمته على معنى ليتك أكرمته قصداً الى جعله نادماً على ترك الاكرام وتقول هلا تقوم ولوما تقوم على معنى ليتك تقوم قصداً الى حثه على القيام ومع هذا فلا يخلو من ضرب من التوبيخ واللوم على ما كان يجب أن يفعله المخاطب قبل أن يطلب منه (فتعطى حكم ليت) فينصب المضارع بعدها على تقدير أن (لبعد

نحو لَعَلِّي أَحُجُّ فأَزُورَكَ بالنصبِ لبُعْدِ المَرْجُوِّ عن الحُصولِ * ومنها الاستفهامُ وألفاظُه الموضوعةُ له الهمزةُ وهَلْ وما ومَن وأَيُّ وكَمْ وكَيفَ وأينَ وأَنَّي ومتَى وأَيَّانَ فالهمزةُ لطلب

المرجو عن الحصول) فصار يشبه المحالات التى لا طمع فيها فاستعملت فيه لعل كاستعمال ليت لمشابهة هذا المعني لمعناها (ومنها الاستفهام) وحقيقته طلب الفهم بألفاظ معروفة • والمطلوب فهمه ان كان حكما بشيء علي شيء اثباتاً أو نفياً فهو التصديق والا فهو التصور (وايان) قال السكاكى بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة أعنى كسر همزتها تقوى اباء ان يكون أصلها أى وان (فالهمزة لطلب التصديق الى آخره) اعلم أن هذه الكلمات ثلاثة أنواع أحدها يختص طلب التصديق وهو هل وثانيها يختص طلب التصور وهو سائر الأسماء الاستفهامية وثالثها مشترك بينهما وهو الهمزة فانها تجيء لطلب التصور والتصديق لعراقتها فى الاستفهام ولهذا يجوز أن يقع بعد أم سائر كلمات الاستفهام سوى الهمزة قال الله جل شأنه أم هل تستوي الظلمات والنور وقال أم من هذا الذى هو جند لكم وقال أم ماذا كنتم تعملون وقال التغلبي

أنى جزوا عامرا سوأ بفعلهم ... أم كيف يجزونني السوأي من الحسن

أم كيف ينفع ماتعطي العلوق به ... رئمان أنف اذا ما ضن باللبن (١)

(١) العلوق بفتح العين المهملة الناقة تعطف على غير ولدها فلا تر أمه وانما تشمه بأنفها وتمنع لبنها • والبيت ينشد لمن يعد بالجميل ولا يفعله لانطواء قلبه على ضده

التصديقِ كقولِكَ أقامَ زيدٌ وأَزيدٌ قائمٌ أو التصوُّرِ كقولِكَ
أَدِبْسٌ في الاناءِ أمْ عسلٌ وأَفي الخابِيةِ دِبْسكَ أم في الزقِ

وأم ههنا بمعنى بل التى تكون للانتقال من كلام الى آخر من غير اعتبار استفهام هـذا والفرق بين الاستفهام عن التصديق والاستفهام عن التصور يكاد يكون ظاهراً ذاك لان الاستفهام عن التصديق يكون عن نسبةٍ تَرَدَّدَ الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها والاستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين أحـد الشيئين (كقولك) فى طلب تصور المسند اليـه (أدبس فى الاناء أم عسل) فأنت تعـلم أن فى الاناء شيئاً والمطلوب هو تعيينه (وافى الخابية الى آخره) أى وكقولك فى طلب تصور المسند أفي الخابية دبسك أم فى الزق فأنت تعلم أن الدبس محكوم عليه بأنه في أحدهما والمطلوب هو التعيين .. (هذا) وانا اذا انعمنا النظر والطفنا الفكر وجدنا الهمزة لا تكون الا لطلب التصديق فى سائر أحوالها لانه اذا قصد تعيين المسند اليه فالمطلوب هو العلم بتعيين النسبة فاذا قلت أزيد قام أم عمرو فانما تسأل عن تعيين النسبة فى أحدهما اما زيد وعمرو فكلاهما معلوم وكذلك استناد القيام لاحدهما . فاعرف هذا ولا تكن رهين التقايد (ولهذا الى آخره) يقول لما كانت الهمزة تكون لطلب التصور وهل مختصة بالتصديق لا تجاوزه كان قولك أزيد قام وأعمراً عرفت حسناً بليغاً وقولك هل زيد قام وهل عمراً عرفت قبيحاً مرذولا ذاك لان التقديم كما علمت يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فتكون هل لطلب حصول الحاصل وهو محال بخلاف الهمزة فانها تكون لطلب

ولهذا لم يَقبُحْ أزيدٌ قامَ وأعمرًا عرفتَ والمسؤلُ عنه بها هو ما يَليها كالفعلِ في أضَرَبْتَ زيدًا والفاعلِ في أأنتَ ضَرَبْتَ زيدًا والمفعولِ في أزيدًا ضَرَبْتَ * وهلْ لطلبِ التصديقِ فحسبُ نحوُ هلْ قام زيدٌ وهل عمرٌو قاعدٌ ولهذا امتنَعَ هل زيدٌ قامَ أم عمرٌو وقَبُحَ هل زيدًا ضَرَبْتَ لانَّ التقديمَ يَستَدعي حصولَ

التصور وتعيين الفاعل أوالمفعول (والمسؤل عنه بها الى آخره) يقول ان المسؤل عنه بالهمزة هو ما يليها فتقول أضربت زيداً اذا كان الشك فى الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده وتقول أأنت ضربت اذا كان الشك فى الفاعل من هو مع العلم بوقوع الفعل وتقول أزيداً ضربت اذا كان الشك فى المفعول من هو مع الجزم بوقوع ضرب من المخاطب قال الشيخ عبد القاهر ومما يؤيد ذلك أنك تقول أقلت شعراً قط أرأيت اليوم انساناً فيكون كلاما مستقيما ولو قلت أأنت قلت شعراً قط أأنت رأيت انساناً • أحلْتَ وذلك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هو فى مثل هذا لان ذلك انما يتصور اذا كانت الاشارة الى فعل مخصوص نحو أن تقول من قال هذا الشعر ومن بنى هــذه الدار ومه أشبه ذلك مما يمكن أن ينص فيه على معين فأما قيلُ شعر على الجملة ورؤية انسان على الاطلاق فمحال ذلك فيه لانه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله (ولهذا امتنع هــل زيد قام أم عمرو) لان وقوع المفرد بعد أم دليل على أنها متصلة وأم المتصلة لطلب

التصـديقِ بنَفْسِ الفعلِ دونَ هـل زيداً ضربتَهُ لجواز تَقْديرِ المفسَّر قبلَ زيدًا وجَعَلَ السكاكىُّ قُبْحَ هـل رَجلٌ عرَفَ لذلك ويلزَمهُ اَنْ لا يَقْبُحَ هـل زيدٌ عرَف وعلَّلَ غـيرُه

تعين أحـد الامرين مع العلم بثبوت أصل الحكم فهى لا تكون الا لطلب التصور بعد حصول التصديق بنفس الحكم وهل ليس الا لطلب التصديق فبينهما تدافع فيمتنع بخلاف ما اذا لم يذكر أم عمرو وقيل هل زيد قام فانه يقبح ولا يمتنع لما سيجىء (وبعد) فاذا علمت هـذا علمت أنه لا يجوز استعمال أم بعد هل الا أن تريد المنقطعة كقولك

ألا ليت شعرى هل تغيرت الرحى رحى الحرب أم أضحت بفلج كما هيا

ولذلك قال سيبويه هو على كلامين (لجواز تقدير المفسر قبل زيداً) بل هذا أرجح لان الاصل تقدم العامل على المعمول • وحينئذ فلا يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل فتكون هـل لطلب التصديق فيحسن (لذلك) أى لما قبح له هـل زيداً ضربت وهو أن التقديم يسـتدعي حصول التصديق بنفس الفعل •• وانمـا جعله لذلك لان مذهبه كما تقدم ان الاصل عرف رجل على أن رجل بدل من الضمير فى عرف قدم للتخصيص •• وانما لم يجعله ممتنعاً لاحتمال أن يكون رجل فاعل فعل محذوف (ويلزمه أن لا يقبح هل زيد عرف) لان تقديم المظهر المعرف ليس للتخصيص حتى يستدعى حصول التصديق بنفس الفعل على ما سبق • مع أن هذا التركيب قبيح بالاجماع وما ذكره الزمخشرى فى المفصل من أن نحو هـل زيد خرج على تقدير

قبحهما بأنَّ هل بمعنى قَدْ في الاصلِ وتَركُ الهمزةِ قبلَها لِكثرةِ

الفعل فتصحيح للوجه القبيح لا أنه شائع حسن (غيره) أى غير السكاكي (قبحهما) أى قبح هل رجل عرف وهل زيد عرف (بأن هل بمعنى قد في الاصل) يعنى وقد من لوازم الافعال فكذا ما هى بمعناها •• وأصل كلام المصنف هذا ما زعمه الزمخشرى أن هل بمعنى قد أبداً وان الاستفهام انما هو مستفاد من همزة مقدرة معها قال في المفصل وعند سيبويه أن هل بمعنى قد الا أنهم تركوا الالف قبلها لانها لا تقع الا فى استفهام وقد جاء دخولها عليها فى قول زيد الخيل

سائل فوارس يربوع بشدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم (١)

وقال الراجز أهل عرفت الدار بالغريين (٢)

• قال التفتازانى فان قلت هذا يقتضى أن لا يصح أو يقبح دخولها على الجملة الاسمية التى طرفاها اسمان نحو هل عمرو قاعد والا فما الفرق بينه وبين ما اذا كان الخبر فعلا قلت الفرق أنها اذا رأت الفعل فى حيزها تذكرت عهوداً بالحمى وحنت الى الالف المألوف وعانقته ولم ترض بافتراق الاسم بينهما بخلاف ما اذا لم تره فى حيزها فانها تسلت عنه ذاهلة

---

(١) يربوع أبو حى من تميم والاكم جمع أكمة وهي الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله

(٢) الغريان هما بناآن طويلان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمى جذيمة الابرش وسميا غريين لان النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله اذا خرج فى يوم بؤسه

وُقوعِها فى الاستفهامِ وهى تُخَصِّصُ المضارعَ بالاستقبالِ فلا يَصِحُّ هل تَضرِبُ زيدًا وهو أخوكَ ولاختصاصِ التصديقِ بها وتخصيصِها المضارعَ بالاستقبالِ كانَ لها مَزيدُ اختصاصٍ بما كَونُهُ زَمانيًّا أظهرُ كالفعلِ ولهذا كان فَهَلْ أَنتُمْ شاكِرونَ أدَلَّ على طلبِ الشُّكرِ من فهل تَشكُرونَ وَفَهَلْ أَنتُمْ تَشكُرونَ لأنَّ إبرازَ ما سيَتَجَدَّدُ في مَعرِضِ الثابتِ أدَلُّ على

(وهى تخصص المضارع بالاستقبال) لما كانت هل ليست أصلا فى الاستفهام تقاصرت عن الهمزة فاختص المضارع بعدها بالاستقبال فلا يصح استعمالها فى التوبيخ على الفعل الواقع فى الحال كما يصح استعمال الهمزة فيه فلا تقول هل تضرب زيداً وهو أخوك على نحو أتضرب زيداً وهو أخوك فى أن يكون الضرب واقعاً فى الحال (ولاختصاص التصديق بها الخ) اليك قول السكاكي في ذلك فانه أوضح وأتم قال ولكون هل لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء وقد نبهت على أن الاثبات والنفي لا يتوجهان الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات ولاستدعائه التخصيص بالاستقبال لما يحتمل ذلك وأنت تعلم أن احتمال الاستقبال انما يكون لصفات الذوات لا لا نفس الذوات لان الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفى الحال وفى الاستقبال استلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه زمانياً أظهر كالافعال (أدل على كمال العناية بحصوله) من ابقائه على أصله كما

كمالِ العنايةِ بحصولهِ ومن أفأنتم شاكرونَ وإنْ كان للثبوتِ لانّ هلْ ادْعَى للفعلِ من الهمزة فتركُهُ معها أدلُّ على ذلك ولهذا لا يَحْسُنُ هلْ زيدٌ منْطَلِقٌ إلاَّ من البليغِ وهى قسْمانِ بَسيطةٌ وهىَ التى يُطْلَبُ بها وجودُ الشيء كقوْلنا هَلِ الحَرَكَةُ موْجودةٌ ومركَّبةٌ وهي التى يُطْلَبُ بها وجودُ شَيْءٍ لشيءٍ كقولنا هل الحركةُ دائمةٌ * والباقيةُ لِطلبِ التصورِ فقطْ قيلَ فَيُطْلَبُ بها شَرْحُ الاسْمِ كقولنا ما العَنْقاءُ أو ماهيةِ

فى فهل تشكرون لانها داخلة على الفعل حقيقة وفى فهل أنتم تشكرون لانها داخلة على الفعل تقديراً لان أنتم فاعل فعل محذوف يفسره الظاهر (على ذلك) أي على كمال العناية بحصول ما سيتجدد (ولهذا) أى لكون هل أدعى للفعل من الهمزة (لايحسن هل زيد منطلق الا من البليغ) لانه الذي يقصد به الدلالة على الثبوت وابراز ما سيتجدد فى معرض الموجود .. قال السكاكي كما لا يحسن نظير قوله ؛ ليبك يزيد ضارع لخصومة ؛ من كل أحد (بسيطة الخ) والبساطة والتركيب كما لايخفى بالنظر لما تدخل عليه فمطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب ومطلوب المركبة هو التصديق بوجود الشيء ووجود شيء له (وبعد) فلا يذهب عليك أن مثل هذا التقسيم قليل الجدوى لطالب البلاغة ولايجنيه لعمر الحق الا المر الممقر من الثمر (شرح الاسم) أى بيان مدلول الاسم لغة فتقول

المُسَمَّى كقولنا ما الحَرَكَةُ وتقعُ هلِ البسيطةُ في الترتيب بينهما وبينَ العارضُ المُشَخِّصُ لِذِي العِلْمِ كقولنا مَنْ في الدار

ما العنقاء وأنت تطلب مدلوله والمعنى الذى وضع له فى اللغة (أو ماهية المسمى) قال التفتازانى والفرق بين المفهوم من اللفظ بالجملة وبين الماهية التى تفهم من الحد بالتفصيل غير قليل فان كل من خوطب باسم فهم فهما ما ووقف على الشيء الذى يدل عليه الاسم اذا كان عالماً باللغة وأما الحد فلا يقف عليه الا المرتاض بصناعة المنطق فالموجودات لما كان لها مفهومات وحقائق كان لها حدود بحسب الاسم وبحسب الحقيقة وأما المعدومات فلما لم يكن لها الا المفهومات لم يكن لها حدود الا بحسب الاسم لان الحد بحسب الذات لا يكون الا بعد أن يعرف أن الذات موجودة حتى ان ما يوضع فى أول التعاليم من حدود الاشياء التى يبرهن على وجودها فى أثناء العلم انما هى حدود بحسب شرح الاسم ثم لما أثبت وجودها وبرهن عليه صارت تلك الحدود بعينها حدودا بحسب الذات والحقيقة ثم قال فعلم ان الجواب الواحد جاز أن يكون حداً بحسب الاسم وبحسب الذات بالقياس الى شخصين وبالقياس الى شخص واحد فى وقتين (وتقع هل البسيطة فى الترتيب بينهما) يعنى أن مقتضى الترتيب الطبيعى أن يطلب أولا شرح الاسم ثم وجود المفهوم فى نفسه ثم ماهيته وحقيقته لان من لا يعرف مفهوم اللفظ استحال منه طلب وجود ذلك المفهوم ومن لا يعرف أنه موجود استحال منه طلب ماهيته وحقيقته اذ لا حقيقة للمعدوم ولا ماهية له (وبين الخ)

وقال السكاكيُّ يُسئَل بما عن الجنسِ تقولُ ما عندَكَ أى ايُّ أجناسِ الاشياء وجوابُه كتابٌ أو نحوُه وعنِ الوصفِ تقولُ

أى يطلب بمن الامر الذى يعرض لذى العلم فيفيد تشخصه وتعينه فاذاقلت من فى الدار قيل لك زيد ونحوه مما يفيد تشخصه قال التفتازاني وأما الجواب بنحو رجل فاضل من قبيلة كذا ونحوه ابن فلان و ٠ أخو فلان ٠ وما أشبه ذلك فانما يصح من جهة أن المخاطب يفهم منه التشخص بحسب انحصار الاوصاف فى الخارج فى شخص وان كانت تلك الاوصاف نظراً الى مفهوماتها كليات (تقول ما عندك) قال السكاكي وكذلك تقول ما الكلمة وما الكلام ٠ وفى التنزيل ٠ فما خطبكم ٠ أى أيّ أجناس الخطوب خطبكم وفيه ٠ ما تعبدون من بعدى أىْ أىُّ مَن فى الوجود تؤثرونه فى العبادة (قال) وأما سؤال فرعون ٠ وما رب العالمين فهو اما عن الجنس لاعتقاده ٠ لجهله بالله تعالى ٠ أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى الاجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له كأنه قال أى أجناس الاجسام هو وعلى هذا جوابه موسى عليه السلام بالوصف تنبيهاً على النظر المؤدى الى معرفته لكن لما لم يطابق السؤال عند فرعون عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم ألا تستمعون ثم لما وجده مصراً على الجواب بالوصف اذ قال فى المرة الثانية ربكم ورب آبائكم الاولين استهزأ به وجننه بقوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وحين رآهم موسى عليه السلام لم يفطنوا لذلك فى المرتين غلظ عليهم فى الثالثة فقال ان كنتم تعقلون ٠ واما عن الوصف طمعاً فى أن يسلك موسى عليه السلام فى الجواب

مازيدٌ وجوابُه الكريمُ ونحوُه وبمَنْ عنِ الجنسِ مِن ذَوي العِلْمِ تقولُ مَنْ جِبْرِيلُ أي أبَشَرٌ هو أم مَلَكٌ أم جِنِّيٌّ وفيه

معـه مسلك الحاضرين لو كانوا هم المسؤلين مكانه لشهرته بينهم برب العالمين الى درجة دعت السحرة اذ عرفوا الحق ان عقبوا قولهم آمنا برب العالمين • بقولهم رب موسى وهرون نفياً لاتهامهم أنهم عنوه وجهله بحال موسى وعلوشأنه اذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس بدليل ماجرى فى ذلك الوقت من قوله أولو جئتك بشىء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فحين سمع الجواب تعداه تعجب واستهزأ وجنن وتفيهق بما تفيهق من قوله لئن اتخـذت الهاً غـيرى لاجعلنك من المسجونين • قال الزمخشرى والذى يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكاراً لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية (تقول من جبريل الى آخره) قال السكاكى ومن هذا الباب قوله تعالى حكاية عن فرعون • فمن ربكما يا موسى • أى أملك هو أم بشر أم جنى منكراً لان يكون لهما رب سواه لادعائه الربوبية لنفسه ذاهباً فى سؤاله هذا الى معنى ألكما رب سواى فأجاب موسى عليه السلام بقوله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى كأنه قال نعم لنـا رب سواك هو الصانع الذى اذا سلكت الطريق الذى بين بايجاده لما أوجد وتقديره اياه على ماقدّر واتبعت فيـه الخريت المـاهر وهو العقل الهادى عن الضلال لزمك الاعتراف بكونه رباً وأن لا رب سواه وأن العبـادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لا مدفع له (وفيـه نظر) قال فى الايضاح لانه اذا قيل من فلان يجاب بزيد ونحوه ممـا يفيد التشخص

نَظَرٌ ويُسْئَلُ بأيٍّ عمّا يُميِّزُ أحَدَ المتشارِكَيْنِ في أمْرٍ يَعُمُّهُما نحوُ أيُّ الفَرِيقَيْنِ خيرٌ مَقاماً أيْ أنَحْنُ أمْ أصحابُ محمّدٍ وبكَمْ عن العَدَدِ نحوُ سَلْ بَنِي إسْرائِيلَ كَمْ آتيناهُم مِنْ آيةٍ بيّنةٍ وبكيفَ عن

ولا يصح الجواب بنحو بشر أوجنى (وبعد) فمن الظاهر أن مثل هذا يرجع فيه الى السماع وربما يؤيد رأى السكاكي بيت الكتاب وهو

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما

فقد سئلوا بمن وأجابوا بالجنس (ويسئل بأى الخ) قال السكاكي واما أي فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين فى أمر يعمهما يقول القائل عندي ثياب فتقول أى الثياب هي فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها فى الثوبية قال تعالى حكاية عن سليمان أيكم يأتينى بعرشها اى الانسي أم الجنى وقال حكاية عن الكفار أي الفريقين خير مقاما أي أنحن أم أصحاب محمد (عن العدد) قال فى المفتاح فاذا قلت كم درهماً لك وكم رجلا رأيت فكانك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا وتقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقاً وكم ديناراً وكم ثوبك أى كم شبراً وكم ذراعا وكم زيد ماكث أى كم يوما أو كم شهراً وكم رأيتك أى كم مرة وكم سرت أى كم فرسخاً أو كم يوماً قال الفرزدق

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علىّ عشارى

فيمن (١) روى بنصب المميز (عن الحال) فاذا قيل كيف زيد فجوابه

(١) ويكون الاستفهام على هذا للتهكم اى اخبرنى بعدد عماتك وخالاتك اللاتي كن يخدمننى فقد نسيته • والذى يظهر أن المراد

الحالِ وبأينَ عنِ المكانِ وبمتى عن الزّمانِ وبأيَّانَ عن المُستقبلِ قيلَ وتُستعملُ في مواضعِ التفخيم مثلُ قولهِ تعالى يَسئلُ أيَّانَ يومُ القيامةِ وأنىَّ تستعملُ تارةً بمعنى كيف نحوُ فأتوا حرثكمْ أنىَّ شئتمْ وأخرى بمعنى مِنْ أينَ نحوُ أنىَّ لكَ هذا * ثم هذهِ الكلماتُ كثيراً ماتُستعملُ فيغيرِ الاستفهام كالاستبطاءِ نحوُ كمْ دعوتُكَ والتعجبِ نحوُ ما ليَ لا أرى

صحيح أو سقيم أو شجٍ أو جذلان وما أشبه ذلك (عن المكان)فاذا قيل أين زيد فالجواب في الدار أو فى السوق مثلا (عن الزمان) ماضياً كان أو مستقبلا فتقول متى جئت والجواب سحراً مثلا وتقول متى تأتى والجواب بعد شهر (عن المستقبل) فتقول أيان يثمر هذا الغرس والجواب بعد سنة مثلا (قيل) القائل هوعلى بن عيسى الربعى امام ائمة بغداد فى علم النحو (نحو فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى من أى شق أردتم بعد ان يكونَ المأتي موضع الحرث قال التفتازانى ولم يجئ انى زيد بمعنى كيف هو (كثيراً ما تستعمل فى غير الاستفهام) على سبيل المجاز قال التفتازانى وتحقيق كيفية هذا المجاز وبيان انه من أى نوع من أنواعه مما لم يحم حوله أحد(نحو كم دعوتك)ومنه بيت السقط

الى م وفيم تنقلنا ركاب　　　ونأمل ان يكول لنا أوان

الخبرية وهي قد تنصب المميز

الهُدْهُدَ والتنبيهِ على الضلالِ نحوُ فأينَ تَذْهبونَ والوعيدِ كقولكَ لِمَنْ يُسيءُ الأَدبَ أَلمْ أُؤدِّبْ فلاناً إِذا علِمَ المخاطَبُ ذلكَ والتقريرِ بإيلاءِ المقرَّرِ بهِ الهمزةَ كما مرَّ والانكارِ كذلك نحوُ أغيرَ اللهِ تدعونَ أغيرَ اللهِ أتَّخذُ وَلِيّاً

(والتقرير) اى حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه والجائه اليه (بايلاء الى آخره) أى يشترط أن يكون المقرر به تالياً للهمزة (٢) كما مر ان المستفهم عنه هو ما يلي الهمزة فتقول أفعلت اذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه وتقول أأنت فعلت اذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل وتقول أزيداً ضربت اذا أردت أن تقرره بأن مضروبه زيد ومما جعلت الهمزة فيه للتقرير بالفاعل قوله تعالى حكاية عن قول نمروذ ٠ أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال الشيخ فى دلائل الاعجاز لا شبهة فى انهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرهم بأن كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بأنه منه كان كيف وقد أشاروا الى الفعل فى قولهم أأنت فعلت هذا وقال هو عليه السلام فى جوابهم بل فعله كبيرهم هذا ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب فعلت أولم أفعل (والانكار

(٢) اى اذا كان التقرير بالهمزة فانما هى التى تجيء للتقرير بالفعل والفاعل والمفعول بخلاف البواقى فان هل تكون للتقرير بنفس الحكم نحو هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون والاسماء الاستفهامية للتقرير بما يسأل بها عنه نحو كم آتيناهم من آية بينة ومن الذى ضربته وهكذا

وَمنهُ أَليسَ اللهُ بِكافٍ عبدَهُ أي اللهُ كافٍ عبدَهُ لأَنَّ انكار

كذلك) فيشترط أن يلي المنكر الهمزة (١) قال امرؤ القيس

أتقتلني والمشرفى مضاجعى فهذا لانكار الفعل لانه قال والمشرفى فى مضاجعى فذكر مايكون مانعاً من الفعل والمانع انما يحتاج اليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون فى نفسه عاجزاً عنه وقال الله جل شأنه أهم يقتسمون رحمة ربك فهذا لانكار الفاعل اي ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح لها المتولين لقسم رحمة الله التي لايتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته وعد الزمخشرى قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افأنت تسمع الصم او تهدي العمى من هذا الضرب على ان المعنى افأنت تقدر على اكراههم على الايمان وافأنت تقدر على هدايتهم على سبيل القسر والالجاء أى انما يقدرعلى ذلك الله لا انت وحمل السكاكي تقديم الاسم فى هذه الآيات على البناء على الابتداء دون تقدير التقديم والتأخير كما مر فى نحو انا ضربت فلا يفيد الا تقوي الانكار • وقال تعالى اغير الله اتخذ وليا فهذا لانكار المفعول فان المنكر هو اتخاد غير الله ولياواما قوله عزوجل أتتخذاصناما آلهة فالمنكر هو نفس اتخاذ الآلهة فلهذا ولى الفعل (ومنه) اى من مجيء الهمزة للانكار (اليس الله بكاف عبده) ومثله قوله تعالى الم

(١) يعنى اذا كان الانكار بالهمزة واما غيرها وان صح مجيئه للانكار لكن لا يجرى فيه هذا التفصيل وهو مثل قولك ماذا يضرك لو فعلت كذاوكيف تؤذى اباك وقوله* من اين تدري ماالعَرارمن الرَّند* العرار نبت طيب الرائحة والرند شجر كذلك

النفيِ نفيٌ له وَنفيُ النفيِ اثباتٌ وهذا مرادُ من قال إنَّ الهمزةَ فيه للتقرير أي بما دخلَهُ النفيُ لا بالنفيِ ولانكار الفعل صورةٌ أُخرى وهيَ نحوُ أزيداً ضربتَ أمْ عمراً لِمنْ يُرَدِّدُ الضربَ بينهما والإِنكارُ إما للتوبيخِ أي ما كان ينبغي أن

تشرح لك صدرك والم يجدك يتيما فآوى وقول جرير في عبد الملك

السنم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

ولهذا كان مدحا بل قيل انه أمدح بيت قالته العرب (من قال) هو الزمخشرى(أي بما دخله النفي) وحينئذ يحسن ان يقال ان الهمزة للتقرير كما يحسن ان يقال انها للانكار (لمن يردد الضرب بينهما) أى لمن يدعي انه ضرب إما زيدا واما عمرا دون غيرهما لانه اذا لم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير انه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لامحالة ٠٠ ومن هذا الباب قوله تعالى قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين أخرج اللفظ مخرجه اذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الاشياء ثم أريد معرفة عين المحرم مع ان المراد انكار التحريم من أصله وكذا قوله آلله اذن لكم اذ معلوم ان المعنى على انكار ان يكون قد كان من الله تعالى اذن فيما قالوه من غير ان يكون هذا الاذن قد كان من غير الله فأضافوه الى الله الا ان اللفظ أخرج مخرجه اذا كان الامر كذلك ليكون أشد لنفي ذلك وابطاله فانه اذا نفى الفعل عما جعل فاعلا له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله (نحو أعصيت ربك) أى لم كان العصيان

يكون نحوُ أعصيتَ ربكَ أولا ينبغي أن يكونَ نحو أتعصِي رَبَّكَ أوْ للتكذيبِ أيْ لمْ يكن نحوُ أفأصفاكمْ رَبُّكمْ بالبنينَ أو لا يكونُ نحوُ أنلزِمكمُوها والتهكمِ نحوُ أصلاتُكَ تأمُرُكَ أنْ نترُكَ ما يَعبدُ آباؤُنا والتحقيرِ نحوُ مَنْ هذا والتهويلِ كقراءةِ ابن عباسٍ وَلقدْ نجَّينا بني إسرائيلَ منَ العذابِ المُهينِ مَنْ فرعونُ بلفظ الاستفهام ورفع فرعونُ

وما كان ينبغي أن يقع (نحو أتعصي ربك) مثاله قولك للرجل يضيع الحق • أتنسي قديم احسان فلان أتترك صحبته وتتغير عن حالك معه لأنْ تغيرَ الزمانُ • وقولك للرجل يركب الخطر أتخرج فى هذا الوقت اتذهب فى غير الطريق أتغـرر بنفسك (نحو أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبول البينة ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها لايكون ذلك ومن هذا الباب قول الشاعر

أأترك ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للئيم

(هـذا) وقد يكون استفهام الانكار الذي بمعني النفى للتوبيخ أيضا مثل قوله تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله • المعنى أي تبعة عليهم فى الايمان وترك النفاق وهـذا للذم والتوبيخ والا فكل مصلحة فيه (والتهكم) معطوف على الاستبطاء (كقراءة ابن عباس) فان المعنى عليها انه لما وصف الله تعالى العذاب بانه مهين لشدته وفظاعة شأنه أراد ان يصور كنهه فقال مَن فرعون أي أتعرفون من هو فى فرط

ولهذا قال انه كان عالياً مِنَ المُسْرِفِينَ والاستبعادِ نحوُ أنَّى لَهُمُ الذِّكرَى وَقدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثمَّ تَوَلَّوْا عنهُ * ومنها الامرُ والاظهرُ أنَّ صيغتَهُ مِنَ المقترنةِ باللام نحوُ

عتوه وتجبره ماظنكم بعذاب يكون هو المعذّب به ثم عرف حاله بقوله انه كان عاليا من المسرفين (تكملة) قد يراد بالاستفهام التوبيخ والتعجيب جميعا مثل قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحيا كم الآية أي كيف تكفرون والحال انكم عالمون بهذه القصة أما التوبيخ فلان الكفر مع هذه الحال يابيء عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل وأما التعجيب فلان هذه الحال تأبى ان لايكون للعاقل علم بالصانع وعلمه به يأبى ان يكفر وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ونظيره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب (والحاصل) ان كلمة الاستفهام اذا امتنع حملها على حقيقته تولد منه بمعونة القرائن ماينا سب المقام ولا تنحصر المتولدات فيما ذكره المصنف ولا ينحصر أيضا شيء منها في أداة دون أداة بل الحاكم فى ذلك هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب فلا ينبغي ان تقتصر فى ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته من غير ان تتخطاه بل عليك بالتصرف واستعمال الروية والله الهادي (ومنها الامر) وهو فى اللغة استعمال صيغة دالة على طلب من المخاطب على طريق الاستعلاء (من المقترنة باللام الى آخره) فى هذا اشارة الى ان أقسام صيغة الامر ثلاثة الاول المقترنة باللام الجازمة ويختص بما ليس للفاعل المخاطب والثانى مايصلح ان

لِيَحْضُرْ زَيْدٌ وغيرِها نحوُ أَكْرِمْ عمراً وَرُوَيْدَ بكراً موضوعةٌ لِطلَبِ الفعل استعلاءً لِتبادُرِ الفهمِ عندَ سماعِها إلى ذلكَ المعنى وَقَد تُستعْمَلُ لغيرِهِ كالإِباحةِ نحوُ جالسِ الحسنَ أوِ ابنَ سيرينَ والتهديدِ نحو اعملُوا ما شئتُمْ والتعجيزِ نحوُ فأتوا بسورةٍ منْ مثلهِ والتسخيرِ نحوُ كونوا قردَةً خاسئِينَ والاهانةِ نحوُ كونوا حجارةً أو حديداً والتسويةِ نحو

يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة والثالث اسم دال على طلب الفعل وهو عند النحاة من اسماء الافعال والاولان لغلبة استعمالهما في حقيقة الامر أعنى طلب الفعل على سبيل الاستعلاء سماهما النحويون امرا سواء استعملا فى حقيقة الامر اوفي غيرها حتى ان لفظ اغفر فى قولنا اللهم اغفر لنا امر عندهم واما الثالث فلما كان اسما لم يسموه امرا تمييزا بين البابين (وقد تستعمل لغيره) مما يناسب المقام بحسب القرائن (نحو جالس الحسن أو ابن سيرين) قال السكاكى ومن احسن ماجاء فيه قول كثير

اسيء بنا او احسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

اي لاانت ملومة ولا مقلية ووجه حسنه اظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الامر حتى كأنه مطلوب اى مهما اخترت فى حقى من الاساءة والاحسان فانا راض به غاية الرضا فعامليني بهما وانظري هل تتفاوت

اِصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا والتمني نحوُ * أَلَا أَيها الليلُ الطويلُ أَلَا انْجَلِي * والدعاء نحوُ ربِّ اغفِرْ لي والالتماس كقولكَ لمن يُسَاوِيكَ رتبةً افعَلْ بدونِ استعِلاءٍ : ثمَّ الامرُ قال السكاكيُّ حقُّهُ الفورُ لانهُ الظاهرُ من الطلب ولِتَبادر الفهم عند الامرِ بشيءٍ بعد الامرِ بخلافه الى تغيُّرِ الامرِ الاولِ دُونَ الجمْعِ وإرادةِ التراخي وفيهِ نظرٌ * ومنها النهيُ ولهُ حرفٌ واحدٌ

حالي معك فى الحالين (نحو الا ايها الليل) وتمامه * بصبح وما الاصباح منك بأمثل * وهو لامرئ القيس الانجلاء الانكشاف والامثل الافضل يقول لِيزُلْ ظلامك بضياء من الصبح ثم قال وليس الصبح بأفضل منك عندي لانى اقاسي الهموم نهارا كما اعانيها ليلا او لان نهاري اظلم فى عيني لازدحام الهموم على حتى حكى الليل • فلما كان الليل لايصح ان يطلب منه الانجلاء كانت هذه الصيغة للتمنى ولم تجعل للترجى لان التمني لِمَا بعُدَ ومن شأن المحب ان يستبعد انجلاء الليل (الى تغيير الاول الخ) قال السكاكي فان المولى اذا قال لعبده قم ثم قال له قبل ان يقوم اضطجع حتى المساء يتبادر الفهم الى انه غير الامر بالقيام الى الامر بالاضطجاع لا آنه اراد الجمع بين القيام والاضطجاع مع تراخى احدهما (وفيه نظر) لان ذلك غير مسلم عند خلو المقام عن القرائن • فليس مفهوم الامر الا الطلب استعلاء والفور والتراخي مفوض الى القرينة (ومنها النهى) وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء

وهو لا الجازمةُ في نحوِ قولِكَ لا تفعل وهو كالأمرِ في الاستعلاء وقد يُستعملُ في غيرِ طلبِ الكفِّ أوِ التركِ كالتهديد كقولك لعبدٍ لا يمتثلُ أمركَ لا تمتثلْ امري: وهذه الاربعةُ يجوزُ تقديرُ الشرط بعدها كقولكَ ليتَ لي مالاً أُنفقهُ أي إن أُرزقهُ أُنفقهُ وأين بيتُكَ أزُرْكَ أي إن تُعرِّفنيهِ أزُرْكَ وأكرِمْني أُكرِمْكَ أي إن تُكرمني أُكرمكَ ولاَ تَشتُمني يكُنْ خيراً لك أي إن لا تَشتُمني يكن خيراً لك وأما

(طلب الكف او الترك) يشير بذلك الى الخلاف الذى قام بين الاشاعرة والمعتزلة فان الاشاعرة يزعمون ان مقتضي النهى كف النفس عن الفعل بالاشتغال بأحد اضداده والآخرون ذهبوا الى انه ترك الفعل • وتحقيق هذا البحث مما تكفل به علم الاصول (الاربعة) يعنى التمنى والاستفهام والامر والنهى (يجوز تقدير الشرط بعدها) قال التفتازانى ووجه ذلك ان كل كلام لابد فيه من حامل للمتكلم عليه والحامل على الكلام الخبري افادة المخاطب بمضمونه وعلى الطلبي كون المطلوب مقصود المتكلم اما لذاته او لغيره يعنى يتوقف ذلك الغير على حصوله وتوقف غيره على حصوله هو معنى الشرط فاذا ذكرت الطلب ولم تذكر بعده مايصلح توقفه على المطلوب جوز المخاطب كون ذلك المطلوب مقصودا لنفسه ولغيره وان ذكرت بعد ذلك غلب على ظنه كون

بالعَرْضُ كقولِكَ أَلا تنزلُ تُصِبْ خيراً فمُوَلَّدٌ من الاستفهام ويجوزُ تقديرُ الشرطِ في غيرها لقرينةٍ نحوُ أمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونهِ أولياءَ فاللّهُ هو الوليُّ أي إن أرادوا أولياءَ بحقٍّ * ومنها

المطلوب مقصودا لذلك المذكور لا لنفسه فيكون اذن معنى الشرط فى الطلب مع ذكر ذلك الشيء ظاهرا (فمولد من الاستفهام) وليس به لان التقدير انه لاينزك فالاستفهام عن عدم النزول طلب للحاصل وهو محال (النداء) هو طلب اقبال المدعو على الداعى بأحد حروف مخصوصة كأيا واصله لنداء البعيد وقد ينزل غير البعيد منزلة البعيد لكونه نائما أو ساهيا حقيقة أو بالنسبة الى الامر الذى تناديه له يعنى انه باغ من علو الشأن الى حيث ان المخاطب لايفى بما هو حقه من السعى فيه وان بذل وسعه واستفرغ جهده فكأنه غافل عنه بعيد منه . وأي والهمزة وأصلهما للقريب وقد يستعملان فى البعيد تنبيها على انه حاضر فى القلب لايغيب عنه أصلا كقول الشاعر

اسكان نعمان الاراك تيقنوا * بانكم فى ربع قلبي سكان

وأمايافقال ابن الحاجب انها حقيقة فى القريب والبعيد لانها لطلب الاقبال مطلقا وقال الزمخشرى انها للبعيد واستعمالها فى القريب اما لاستبعاد الداعي نفسه عن مرتبة المدعو نحو ياالله واما للتنبيه على عظم الامر وعلو شأنه وان المخاطب مع شدة حرصه على الامتثال كأنه غافل عنه نحو ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك واما للحرص على اقباله كأنه امر بعيد نحو ياموسي اقبل واما لغير ذلك من الاغراض والمقاصد

النداءِ وقد تستعمل صيغتُهُ في غيرِ معناهُ كالاغراءِ في قولك لمن أقبل يَتَظَلَّمُ يا مظلومُ والاختصاصِ في قولهم أنا أفعلُ

(كالاغراء) والاستغاثة كقولك ياللهمن الم الفراق والتعجب نحوياللماء والعشب والتدله والتحير والتضجر كما فى نداء الاطلال والمنازل والمطايا كقوله * أيا منازل سامي أين سلماك * وقوله

ياناق جدى فقد أفنت اناتك بي * صبرى وعمري واحلاسى وانساعي

والتوجع والتحسر كقوله

فيا قبر معن كيف واريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترعا

وأمثال هذه المعانى كثيرة فى الكلام (والاختصاص) وهو اما فى معرض التفاخر نحو انا اكرم الضيف ايها الرجل او التصاغر نحو انا المسكين ايها الرجل او لمجرد بيان المقصود بذلك الضمير فكل هذا صورته صورة النداء وليس به لان اياًّ وما جعل وصفا له لم يرد به المخاطب بل هو عبارة عما دل عليه ضمير المتكلم السابق ولا يجوز فيه اظهار حرف النداء لانه لم يبق فيه معنى النداء اصلا فكره التصريح بأداته فقوله أيها الرجل فأى مضموم والرجل مرفوع كما فى النداء لكن مجموعه فى محل النصب على الحال ولذلك قال المصنف اى متخصصا من بين الرجال • وقد يقوم مقام اى اسم منصوب اما معرف باللام نحو نحن العرب اقرى الناس للضيف أو مضاف نحو انا معاشر الانبياء لانورث وربما يكون علما كقوله

بنا تميما يكشف الضباب * قال ابن الحاجب المعرف ليس منقولا من النداء ونحو أيها الرجل منقول عنه قطعا والمضاف يحتمل الامرين النقل فيكون

كذا أيها الرجلُ أي متخصِّصاً من بين الرجالِ: ثم الخبرُ قد يقع موقعَ الانشاء إما للتفاؤل أو لإظهار الحرصِ في وقوعه كما مرَّ والدعاءُ بصيغة الماضي من البليغ يحتملهما أوْ للاحتراز عن صورةِ الامرِ أو لحملِ المخاطَبِ على المطلوب بأن يكونَ

منصوبا بياء مقدرة وكونه مثل المعرف فيكون منصوبا بتقدير اعنى أو اخص قال الامام المرزوقي فى قول الحماسي * انا بنى نهشل لاندعي لاب * الفرق بين ان ينصب بني نهشل على الاختصاص وبين ان يرفع على الخبرية هوانه لو جعله خبرا لكان قصده الى تعريف نفسه عند المخاطب وكان فعله لذلك لايخلو عن خمول فيهم وجهل من المخاطب بشأنهم واذا نصب امن من ذلك (قد يقع موقع الانشاء) مجازا (للتفاؤل) كما اذا قيل لك فى مقام الدعاء اعاذك الله من الشبهة وعصمك من الحيرة وحبب اليك التثبت وزين فى عينك الانصاف واذاقك حلاوة التقوى واودع صدرك برد اليقين • • ليتفاءل بلفظ المضى على عدها من الامور الحاصلة التى حقها الاخبار عنها بأفعال ماضية (او لاظهار الحرص فى وقوعه) لما تقدم من ان الطالب اذا عظمت رغبته فى شيء كثر تصوره اياه فربما يخيل اليه حاصلا فيورده بلفظ الماضى (يحتملها) اى التفاؤل واظهار الحرص (او للاحتراز عن صورة الامر) كقول العبد للمولى اذا حول عنه الوجه ينظر المولى الىَّ ساعة (او لحمل المخاطب الخ) فتقول لصاحبك الذى لايحب ان ينسب الى الكذب تأتيني غدا تحمله ابلغ حمل بألطف وجه على الاتيان

ممن لا يُحِبُّ أنْ يُكذِّبَ الطالبُ (تنبيهٌ) الانشاءُ كالخبرِ في كثيرٍ مما ذُكرَ في الابوابِ الخمسةِ السابقةِ فليعتبره الناظرُ

﴿ الفصل والوصل ﴾

الوصلُ عطفُ بعضِ الجُمَلِ على بعضٍ والفصلُ تركهُ

(الفصل والوصل) قال الشيخ الامام فى دلائل الاعجاز • اعلم ان العلم بما ينبغي ان يصنع فى الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي بتمام الصواب فيه الا الاعراب الخاص والاقوام طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم بها افراد وقد بلغ من قوة الامر فى ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم انه سئل عنها فقال : معرفة الفصل من الوصل : ذاك لغموضه ودقة مسلكه وانه لا يكمل لاحراز الفضيلة فيه أحد الا كمل لسائر معانى البلاغة   اما بعد

فان من سنتنا في هذا الشرح انا عند الكلام على المبحث الذى تلتحم اجزاؤه وتشتبك كلماته نعمد الى نظم شرحه فى سمط واحد حتى يكون على ظهر العيس وطرف الثمام فنقول

مما يكاد يكون معروفا ان فائدة العطف هو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه وان من الحروف العاطفة ما يفيد هذا القدر فحسب وهو الواو ومنها ما يفيد مع ذلك معانى مثل ان الفاء توجب الترتيب من غير تراخ وثم توجبه مع تراخ وأو تردد الفعل بين شيئين وتجعله

فاذا أتت جملة بعد جملةٍ فالأُولى إما أن يكونَ لهـا محلٌّ من الاعراب أولا وعلى الاولِ ان قُصِدَ تشريكُ الثانية لهـا في حكمهِ عُطِفَتْ عليها كالمفرد فشرط كونه مقبولاً بالواو ونحوه أن يكون بينهما جهةٌ جامعةٌ نحو زيدٌ يكتُبُ وَيَشْعُرُ أوْ يُعْطِي وَيمنعُ ولهذا عِيبَ علي أبي تمامٍ قولُهُ

لاحدها لابعينه •• ثم العطف اما فى المفردات واما فى الجمل • فالذى فى المفردات يقتضى تشريك الثاني فى اعراب الاول وانه اذا اشركه فى اعرابه فقد اشركه فى حكم ذلك الاعراب نحـو ان المعطوف على المرفوع بانه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بانه مفعول به او فيه أو له شريك له فى ذلك • والذي فى الجمل فالجمل على ضربين احدها ان يكون للمعطوف عليها مـوضع من الاعراب واذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد اذ لايكون للجملة موضع من الاعراب حتى تـكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجمـلة الاولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد فاذا قلت مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد اشركت الثانية فى حكم الاولى وذلك الحـكم كـونها في موضع جر بأنها صفة للنـكرة قال الشيخ الامام ونظائر ذلك تـكثر والامر فيها يسهل الثاني ان تـكون الجملة المعطوف عليها عارية الموضع من الاعراب نحو زيد قائم وعمرو قاعد وهذا الضرب هو الذي يدق مسلكه ويغمض أمره وانمـا تـكون الدقـة في الواو

لا والذي هو عالمٌ أنَّ النَّوَى صَبِرٌ وَأنَّ أبا الحُسَينِ كَرِيمُ[١]

والاَّ فُصِلَتْ عنها نحوُ وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنَّما نحنُ مُستهزِؤُنَ اللهُ يستهزِئُ بهم لم يُعْطَفْ اللهُ يستهزِئُ على إنَّا معكم لانَّهُ ليسَ من مقولهم وعلى الثاني ان قُصِدَ رَبْطُها

دون غيرها من حروف العطف لان تلك تفيد مع الاشراك معانى كما علمت فاذا عطفت بواحد منها ظهرت الفائدة فاذا قلت اعطاني فشكرته ظهر بالفاء ان الشكر كان معقبا على العطاء ومسببا عنه واذا قلت خرجت ثم خرج زيد افادت ثم ان خروجه كان بعد خروجك وان مهلة وقعت بينهما واذا قلت : يعطيك او يكسوك : دلت او على انه يفعل واحدا منهما لا بعينه • اما الواو فليس لها معنى سوى الاشراك فاذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تفد بالواو شيئاً أكثر من اشتراك عمرو فى المجيء الذي اثبته لزيد ولا يتصور اشتراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه واذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا فى قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى تزعم ان الواو اشركت بين هاتين الجملتين فيه كانت الدقة وثبت الغموض • فنقول

قول المصنف (ونحوه) يريد نحو الواو • وهو حشو فاسد لان هذا الحكم مختص بالواو كما تقف عليه من الشرح (١) قبله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا * عنها طلال باللوى ورسوم

وبعده ماحلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على إلف سواك تحوم

بها على معنىَ عاطفٍ سِوَى الواوِ عُطِفَتْ به نحوُ دخَلَ زيدٌ
فخرجَ عمرٌو أو ثمَّ خرجَ عمرٌو إِذا قُصِدَ التعقيبُ أو المهْلةُ
وإِلاَّ فان كان للأُولى حكمٌ لم يُقْصَدْ إِعطاؤُهُ للثانية فالفصلُ
نحوُ وإِذا خلَوْا إِلى شياطينهم الآيةَ لم يُعْطَفْ أللهُ يستهزئُ بهم
على قالوا لئلاَّ[1] يشاركَهُ في الاختصاصِ بالظرفِ لِما[2] مرَّ وإِلا[3]

هذا الضرب وهو ما تكون الجملة الاولى فيه عارية الموضع من الاعراب
لا يخلو اما ان تكون الثانية متصلة من ذات نفسها بالاولى ومستغنية
بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها بان كانت مؤكدة لها ومبينة
وكانت اذا حصلت لم تكن شيئاً سواها وهذا لايجوز ادخال العاطف
عليه • • واما ان لا تكون كذلك فاما ان يكون بين الثانية وبين الاولى
مناسبة • وهنا يجب ذكر العاطف • اولا يكون بينهما مناسبة رأساً •
وهنا لا يجوز ذكر العاطف • • تقرير لهذا المعني بعبارة أخرى • •
ان كان بين الجملتين كمال الاتصال او كمال الانقطاع او كانت الثانية

---

(١) فيلزم ان يكون استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم وخلاهم وما
سولت لهم أنفسهم مستدرجا اياهم من حيث لايشعرون مختصا بحال
خلوهم الى شياطينهم وليس كذلك بل هو متصل لاانقطاع له بحال
(٢) من كون تقديم الظرف يفيد الاختصاص (٣) أى ان لم يكن للاولى
حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وذلك بان لايكون لها حكم زائد على مفهوم
الجملة أو يكون ذلك ولكن قصد اعطاؤه للثانية أيضا

فانْ كان بينهما كمالُ الانقطاعِ بلا إيهامٍ أوالاتصالِ أو شبهُ أحدِهما فكذلك والا فالوصلُ متعيّنٌ * أما كمالُ الانقطاعِ فَلاختلافهما خبراً وانشاء لفظاً ومعنىً نحوُ

وقال رَائِدُهمْ أَرْسُوا نُزَاوِلُها
فكلُّ حَتْفِ امرِئٍ يجري بمقدار

بمنزلة المتصلة بالاولى أو بمنزلة المنقطعة عنها تعين الفصل وان كان بينهما توسط بين الاتصال والانقطاع تعين الوصل .. أما كمال الانقطاع فيكون لامر يرجع الى الاسناد أو الى طرفيه الاول ان تختلف الجملتان خبراً وانشاء لفظاً ومعنى كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك بالرفع وقول الاخطل

وقال رائدهم أرسوا نزاولها * فكل حتف امرئ يجري بمقدار(١)

لما كان ارسوا انشاء لفظاً ومعنى ونزاولها خبراً لفظاً ومعنى لم يعطف عليه ولم يجعل ايضاً مجزوماً جواباً للامر لان الغرض تعليل الامر بالارساء بالمزاولة والحال فى الجزم بالعكس أعنى يصير الارساء علة

---

(١) الرائد الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ وارسوا من رست السفينة اذا وقفت على المرساة او من رست اقدامهم فى الحرب أي ثبتت ونزاولها من المزاولة وهي المحاولة والمعالجة في تحصيل الشيء والضمير للحرب وقيل للسفينة اماجعله للخمر فلا يناسب قوله بعد

إما نموت كراما أو نفوز بها * فواحد الدهر مِنْ كدٍّ وأسفار

أو معنيً فقط نحوُ مات فلانٌ رحمَهُ الله أو لأنّه لا جامعَ بينهما

للمزاولة .. أو معنى فقط كقولك مات فلان رحمه الله . وقد جعل السكاكي مما نحن فيه قول اليزيدى

ملكته حبلى ولكنه * القاه من زهد على غاربى
وقال انى فى الهوي كاذب * انتقم الله من الكاذب

وحمله الامام عبد القاهر على الاستئناف قال لانه جعل نفسه كأنه يجيب سائلا قال له . فما تقول فيما اتهمك به من انك كاذب فقال أقول . انتقم الله من الكاذب . وهو ظاهر (واعلم) ان الفصل انما يجب في مثل هذا مالم يكن موهما خلاف المقصود والا وجب الوصل لتعارض المانع والمقتضى اذن وليس وراء الفصل الا الوصل . يحكي ان الصديق رضى الله عنه مر باعرابى فى يده ثوب فقال له الصديق أتبيع هذا فقال لا يرحمك الله فقال له الصديق قد قومت السنتكم لو تستقيمون لا تقل هكذا قل لا ويرحمك الله . ويحكى ان الصاحب بن عباد قال حين سمع من بعض الناس . لا وأيدك الله . هذه الواو أحسن من واوات الاصداغ على خدود الملاح .. الثانى ان لا يكون بين الجملتين جامع ومن هنا عابوا أبا تمام فى قوله (١)

لا والذي هو عالم ان النوى * صبر وان أبا الحسين كريم

(١) وقد تمحل الناس لتصحيح الوصل فى البيت بأمور . منها ان مرارة النوى سبب يقتضى انجاع أبى الحسين لمكارمه التى تزيل شظف النوى وقد بالغ الطيبي فى استحسانه اشارة الى انه جمع بين متضادين هما مرارة النوى وحلاوة كرم أبي الحسين فابرزهما فى معرض التوخى

كما سيأتي * وأما كمالُ الاتصالِ فلكونِ الثانيةِ مؤكِّدةً للاولى لدفعِ توهُّمِ تجوُّزٍ أو غلطٍ نحوُ لا رَيبَ فيهِ فانه لماَّ بُولغَ في وصفه ببلوغهِ الدرجةَ القُصْوَى في الكمالِ بجعلِ المبتدا ذٰلكَ

وذلك انه لامناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لاحدهما بالآخر وسيأتى الكلام على الجامع .. وأما كمال الاتصال فيكون لاحد أمور ثلاثة . الاول . ان تكون الثانية مؤكدة للاولى والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز أو الغلط وهو قسمان أحدهما ان تنزل الثانية من الاولى منزله التأكيد المعنوى من متبوعه فى افادة التقرير مع الاختلاف فى المعنى مثل قوله تعالى (١) ألم ذلك الكتاب لاريب فيه فانه لما بولغ فى وصف الكتاب بانه بلغ الدرجة القصوى من الكمال حيث (٢) جعل المبتدأ لفظة ذلك وادخل على الخبر

(١) ذلك على تقدير ان يكون ألم جملة مستقلة وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه جملة ثالثة وهناك وجوه اخر ذكرها المفسرون هذا والذى ذكره الشيخ فى دلائل الاعجاز ان قوله لاريب فيه بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تثبيت له وبمنزلة ان تقول هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مرة ثانية لتثبته . واذن يكون التوكيد لفظيا

(٢) وانت قد علمت ان تعريف المسند اليه بالاشارة يدل على كمال العناية بتمييزه وانه ربما يجعل ذريعة الي تعظيمه وبعد درجته وان تعريف المسند باللام يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة فمعنى ذلك الكتاب انه الكتاب الكامل كأن ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص وانه الذى يستأهل ان

وتعريفِ الخبرِ باللام جازَ أنْ يتوهّمَ السامعُ قبلَ التأمّلِ أنّهُ مِمّا يُرمى بهِ جزافاً فأُتبعَهُ نفياً لذلك التوهّمِ فوزانُهُ وِزانُ نفسُهُ في جاءَني زيدٌ نفسُهُ ونحوُهُ هدًى للمتقينَ فإنَّ معناهُ انهُ في الهِدايةِ بالغٌ درجةً لا يُدرَكُ كُنهُها حتى كأنَّهُ هدايةٌ

حرف التعريف كان عند السامع قبل ان يتأمله مظنة ان ينظمه في سلك ما قد يرمى به على سبيل الجزاف من غير تحقق وايقان فاتبعه لاريب فيه نفيا لذلك٠٠ وقد أصيب به المحز • فوزانه وزان نفسه فى قولك جاءنى زيد نفسه ومثل هذا قوله جل شأنه كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا الثانى مقرر لما أفاده الاول ومن اللطيف فى ذلك قوله تعالى ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • فصل ان هذا لكونه مؤكدا للاول فى نفي ان يكون بشرا ولك (٣) ان تقول الذى عليه العرف متى قيل فى حق انسان ماهذا بشرا ماهو بآدمى فى حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخَلق والخُلق هو ان يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا الا ملك تأكيداً للملكية ففصل

يسمى كتابا كما تقول هو الرجل أي الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال وكما قال* هم القوم كل القوم ياأم خالد *

(٣) ولك ان تخرجه من التأكيد وتجعله من باب التبيين قال الشيخ الامام لانه اذا نفي ان يكون بشرا فقد أثبت له جنس سواه اذ من المحال ان يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل فى جنس آخر واذا كان كذلك كان اثباته ملكا تبيينا لذلك الجنس وتعيينا له

مَحضَةٌ وهذا معنى ذلكَ الكتابُ لأنَّ معناهُ كما مرَّ الكتابُ الكاملُ والمُرادُ بكمالِهِ كمالُهُ في الهدايةِ لأنَّ الكُتُبَ السماويةَ بحسبها تتفاوتُ في درجاتِ الكمالِ فوزانُهُ وزانُ زيدٌ الثاني في جاءَني زيدٌ زيدٌ أو بدلاً منها لانها غيرُ وافيةٍ بتمام المرادِ او كغيرِ الوافيةِ بخلاف الثانيةِ والمقامُ يقتضي اعتناءً

وثانيهما ان تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى مثل قوله تعالى هدى للمتقين • فان معناه انه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة وهذا معنى قوله ذلك الكتاب لان معناه كما تقدم الكتاب الكامل والمراد بكماله كماله في الهداية لان الكتب السماوية بحسبها يتفاوت شأنها في درجات الكمال • الثاني • ان تكون الثانية بدلا من الاولى والمقتضى للابدال ان تكون الاولى غير وافية بتمام المراد وايراده أو كغير الوافية والمقام مقام اعتناء بشأنه اما لكونه مطلوبا في نفسه أو لكونه فظيعاً أو عجيبا أو لطيفا أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد الى المراد ليظهر بمجموع القصدين اليه في الاول والثاني أعني المبدل منه والبدل مزيد الاعتناء بالشأن • وهذا ضربان أحدهما ان تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل البعض من متبوعه مثل قوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فانه مسوق للتنبيه على نعم الله تعالى عند المخاطبين وقوله أمدكم بانعام وبنين

بشأنه لنكتةٍ ككونه مطلوباً في نفسهِ أو فظيعاً أو عجيباً أو لطيفاً نحو أمدَّكُمْ بما تعلمون أمدَّكُمْ بأنعامٍ وبنينَ وجناتٍ وعيونٍ فان المرادَ التنبيهُ على نعمِ اللهِ تعالى والثانى أوفى بتأديتهِ لدلالتهِ عليها بالتفصيلِ من غير إحالةٍ على علمِ المخاطَبين المعاندِين فوزانُهُ وِزَانُ وجهُهُ في أعجبني زيدٌ وجههُ لدخول الثاني في الاول ونحوُ قولهِ

أقولُ لهُ ارحلْ لا تقيمنَّ عندنا
وَإلاَّ فكُنْ في السرِّ والجهرِ مسلماَ

أوفى بتأديته مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير احالة على علمهم مع كونهم معاندين والامداد بما ذكر من الانعام وغيرها بعض الامداد بما يعلمون فوزانه وزان وجهه في قولك أعجبني زيد وجهه • قال السكاكي ويحتمل الاستئناف • وثانيهما ان تنزل الثانية من الاولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه مثل قوله تعالى اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فان المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أوفى بتأدية ذلك لان معناه اتبعوا من لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة ومن ذلك قول القائل

فانَّ المرادَ بهِ إظهارُ كمالِ الكراهةِ لإقامتهِ وقولهُ لا تُقيمنَّ عندنا أُوفى بتأديتهِ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد فوزانُهُ وزانُ حسنُها في أعجبني الدارُ حُسنُها لأنَّ عدمَ الإقامةِ مغايرٌ للارتحالِ وغيرُ داخلٍ فيه مع ما بينهُما من المُلابسةِ أو بياناً

أقول له ارحل لاتقيمن عندنا * والا فكن في السر والجهر مسلما
فان المقصود من كلامه هذا اظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن وقوله لاتقيمن عندنا أوفى بتأدية هذا المقصود من قوله ارحل لدلالة ذلك عليه بالتضمن مع التجرد عن التأكيد ودلالة هذا عليه بالمطابقة مع التأكيد ووزان الثانية في الآية والبيت وزان حسنها في قولك أعجبتني الدار حسنها لان معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملابسة • الثالث • ان تكون الثانية (١) بياناً للاولى وذلك بان تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في افادة الايضاح والمقتضى للتبيين ان يكون في الاولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام ازالته مثال قوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة

---

(١) وقد تعطف الجملة التي تصلح بياناً للاولى عليها تنبيهاً على استقلالها ومغايرتها لها ومن هذا قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم مع الواو وقد قال في سورة البقرة يذبحون من غير واو فحيث طرح الواو جعل التذبيح تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر

لها لخفاءِها نحوُ فوسوسَ اليهِ الشيطانُ قالَ يا آدمُ هل أَدُلُّكَ على شجرةِ الخلدِ ومُلكٍ لا يبلى فإنَّ وزانَهُ وزانُ عمرُ في قولهِ * أقسمَ باللهِ أبو حفصٍ عمرْ * وأمَّا كونُها كالمنقطعةِ عنها فلكونِ عطفِها عليها مُوهِماً لعطفِها على غيرِها ويُسمَّى الفصلُ لذلكَ قطعاً مثالهُ

وتظنُّ سلمى أنني أبغي بها بدلاً أُراها في الضلالِ تهيمُ

ويحتملُ الاستئنافَ * وأمَّا كونُها كالمتصلةِ بها فلكونها جواباً لسؤالٍ اقتضتهُ الأُولى فتنزَّلُ منزلتَهُ فتفصَلُ عنها كما

الخلد وملك لا يبلى فصل جملة قال عما قبلها لكونها تفسيرا له وتبيينا فوزانه وزان عمر في قول الاعرابي : اقسم بالله ابو حفص عمر : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الاولى فلكون عطفها عليها موهماً لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك قطعاً مثاله قول الشاعر

وتظن سلمي انى ابغي بها بدلاأراها فى الضلال تهيم

لم يعطف اراها كي لا يحسب السامع العطف على ابغي ويعد اراها فى الضلال تهيم من مظنونات سلمي فى حق الشاعر وليس هو بمراد بل المراد انه حكم الشاعر عليها بذاك وليس بمستبعد ان يكون قدقطع اراها ليقع جواباً لسؤال مقدر على سبيل الاستئناف واياك ان ترى الفصل لاجل الوزن فماهو هناك .. وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جواباً عن

يفصلُ الجوابُ عنِ السؤَالِ (السكاكيُّ) فينزّلُ ذلكَ منزلةَ الواقعِ لنُكتةٍ كاغناء السامعِ عن أنْ يسألَ أوْ أنْ لا يُسْمَعَ منهُ شيءٌ ويُسمَّى الفصلُ لذلك استئنافاً وكذا الثانيةُ وهوَ ثلاثةُ أضرُبٍ لأَنَّ السؤَالَ إِما عن سببِ الحُكم مطلقاً نحوُ

قالَ لِي كيفَ أنْتَ قلْتُ عليلُ
سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلُ

سؤال اقتضته الاولى فتنزل منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال قال السكاكي النوع الثاني من الحالة المقتضية للقطع ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال فينزل ذلك منزلة الواقع ويطاب بهذا الثانى وقوعه جواباً له فيقطع عن الجواب السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة اما لتنبيه السامع على موقعه أو لاغنائه ان يسأل او لئلا يسمع منه شيء أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطف أو لغير ذلك مما يخرط فى هذا السلك. ويسمى الفصل لذلك استئنافاً وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استئنافاً والاستئناف ثلاثة اضرب لان السؤال الذي تضمنته الجملة الاولى اما عن سبب الحكم فيها مطلقاً كقوله

قال لى كيف أنت قلت عليل   سهر دائم وحزن طويل

لما كان فى العادة اذا قيل فلان عليل ان يسأل عن سبب علته

أي ما بالُكَ عليلاً أو ما سببُ علّتِكَ وَإِما عن سببٍ خاصّ نحوُ وما أُبرّئُ نفسي إِنَّ النفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ وهذا الضربُ يقتضي تأكيدَ الحُكم كما مرَّ وإما عن غيرهما نحوُ قالوا سلاماً قالَ سلامٌ أي فماذا قالَ وقولهِ

زَعَمَ العواذِلُ أنَّني في غمْرَةٍ
صدَقُوا ولكنْ غمرَتي لا تنجلي

وموجب مرضه فيقال ما به وما علته قدر كأنه قيل له ذلك فأتى بقوله سهر دائم جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال وكذلك قوله

وقد غرضت من الدنيا فهل زمني * معطٍ حياتي لغرٍّ بعد ما غرضا
جربت دهري واهليه فما تركت * لي التجارب في ود امرئ غرضا

لم يصل جربت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق اليه معنى البيت الاول وهو لم تقول ويحك هذا وما الذي اقتضاك ان تطوي كشحك عن الحياة الى هذه الغاية .. واما عن سبب خاص له كقوله تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء كأنه قيل هل النفس أمارة بالسوء فقيل نعم ان النفس لامارة بالسوء وهذا الضرب يقتضي تأكيد الحكم كما مر في باب أحوال الاسناد ان المخاطب ان كان متردداً في الحكم طالباً له حسن تقويته بمؤكد .. واما عن غيرهما كقول الشاعر

زعم العواذل اني في غمرة * صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

وأيضاً منه ما يأتي بإعادةِ اسمِ ما استؤنِفَ عنهُ نحوَ أحسنت.

فانه لما ابدى الشكاية عن جماعات العـذال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل أصدقوا فى ذلك أم كذبوا فاخرج الـكلام مخرجه اذا كان ذلك. قد قيل له ففصل وطبق بذلك المفصل ومثله قول جندب بن عمار

زعم العواذل ان ناقة جندب * بجنوب خبت عريت واجمت

كذب العواذل لو رأين مُناخَنا * بالقادسـية قان لج وذلت

وقد زاد هنا امر الاستئناف وتقدير الجواب تأكيداً بان وضع الظاهر موضع المضمر فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه لمـا أعاد ذكر العواذل ظاهرا كان ذلك أبين وأقوى لـكونه كلاما مستأنفا من حيث وضعه وضعاً لايحتاج فيه الي ماقبله وأتى به مأتى ماليس قبله كلام ومن الحسن البين فى هذا الباب قول الوليد بن يزيد

عرفت المنزل الخالي * عفا من بعد أحوال

عفاه كل حنان * عسوف الوبل هطال

لمـا قال عفا من بعد أحوال قدر كأنه قيل له فمـا عفاه فقال عفاه كل حنان ومثله قول المتنبي

وما عفت الرياح له محلا * عفاه من حدا بهم وساقا

فانه لمـا نفى ان يكون الذى يرى به من الدروس والعفاء من الرياح وان تكون التى فعلت ذلك كان مظنة ان يسأل عن الفاعل •• قال الشيخ الامام • واعلم • ان الذى تراه فى التنزيل من لفظ قال مفصولا غير معطوف هذا هو التقدير فيه والله أعلم أعنى مثل قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما • قال سلام.

إِلى زيدٍ زيدٌ حقيقٌ بالاحسانِ ومنهُ ما يُبْنَي على صفتهِ نحوُ أَحْسَنْتَ إِلى زيدٍ صَدِيقُكَ القديمُ أَهلٌ لذلكوهذا أَبلغُ وقد يُحْذَفُ صدرُ الاستئناف نحو يُسَبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوّ والآصالِ رجالٌ فيمن قرأَها مفتوحةَ الباءِ وعليهِ نِعْمَ الرَّجلُ زيدٌ على

قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فاوجس منهم خيفة قالوا لاتخف. لما كان فى العرف والعادة فيما بين المخلوقين اذا قيل لهم . دخل قوم على فلان فقالوا كذا . ان يقولوا فما قال هو ويقول المجيب قال كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه وسلك باللفظ معهم المسلك الذى يسلكونه وكذلك قوله قال الا تأكلون وقوله قالوا لاتخف (تقسيم آخر للاستئناف) الاستئناف منه ما يأتي باعادة اسم ما استؤنف عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان ومنه ما ينبنى على صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقُك القديم أهل لذلك . وهذا أبلغ لانطوائه على بيان السبب (تقسيم ثالث) الاستئناف قد يحذف صدره لقيام قرينة كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال فيمن قرأ يسبح مبنيا للمفعول ومنه قولهم نعم الرجل أو رجلا زيد وبئس الرجل أو رجلا عمرو على القول بان المخصوص خبر مبتدا محذوف أي هو زيد كأنه لما قيل ذلك فابهم الفاعل بجعله معهوداً ذهنياً مظهراً أو مضمراً سئل عن تفسيره فقيل هو زيد ثم حذف المبتدا .. وقد يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه كقول مساور

قولٍ وقد يُحذَفُ كلُّهُ إمَّا مع قيامِ شيءٍ مقامهُ نحوُ قولِ الحَمَاسِيِّ

زعمتم أنَّ إخوتكم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلافُ

أو بدونِ ذلك نحوُ فنعمَ الماهدُونَ أي نحنُ على قولٍ * وأمَّا الوصلُ لدفعِ الإيهامِ فكقولهم لا وأيَّدكَ اللهُ * وأمَّا للتوسطِ فاذا اتفقتا خبراً أو انشاءً لفظاً ومعنىً أو معنىً فقط بجامعٍ كقوله تعالى يُخادِعُونَ اللهَ وهوَ خادِعُهُمْ وقولهِ إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ وإنَّ الفُجَّارَ لفي جحيمٍ وقولهِ كلُوا واشربُوا ولا

بن هند يهجو بنى أسد

زعمتم ان اخوتكم قريش هلم الف وليس لكم الاف
اولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

التقدير أصدقنا أم كذبنا فقال تقديرا كذبتم والدليل على ذلك قوله لهم الف وليس لكم الاف ويجوز ان يقدر لهم الف جواب سؤال اقتضاه الجواب المحذوف كأن المتكلم قال كذبتم فقالوا لم كذبنا فقال لهم الف وقد يحذف ولا يقام شيء مقامه (١) كقوله تعالى فنعم الماهدون أي نحن (وأما) الوصل للتوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال

---

(١) لك ان تقول الفصل لا يعقل الا بين كلامين منطوق بهما فاذا كانت الجملة المستأنفة محذوفة فكيف يسمي ذلك فصلا الا ان يقال

تَسْرِفُوا وقولهِ وإذ أخذنا ميثاقَ بني إسرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إلاَّ اللهَ وبالوالِدَيْنِ إِحساناً وذي القُرْبَى واليتامى والمساكين وَقُولُوا للناسِ حُسناً أي لا تعبُدُوا وَتُحْسِنُونَ بمعنى احْسِنُوا أو وأحسِنُوا . والجامعُ بينهما يجبُ أن يكونَ باعتبارِ المسندِ اليهما والمُسنَدَينِ جميعاً نحوُ يَشْعُرُ زيدٌ ويكتُبُ ويُعطِي ويَمنعُ

فاذا اتفق الجملتان خبراً اوطابا لفظاً ومعنى او معنى فقط مع جامع بينهما كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وقوله يخادعون الله وهو خادعهم هذا فى المتفقين خبراً لفظاً ومعنى . وقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وهذا فى المتفقين انشاء لفظاً ومعني وكقوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احساناً وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا فعطف قوله وقولوا على قوله لا تعبدون لانه بمعنى لا تعبدوا وأما قوله وبالوالدين احساناً فتقديره إما وتحسنون بمعنى وأحسنوا واما وأحسنوا وهذا أبلغ من صريح الامر والنهي لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه (والجامع) بين الجملتين يجب ان يكون باعتبار المسند اليه فى هذه والمسند اليه فى هذه وباعتبار المسند فى هذه والمسند فى هذه جميعاً كقولنا يشعر زيد ويكتب ويعطي ويمنع وقولك زيد شاعر وعمرو كاتب وزيد طويل وعمرو قصير اذا كان

المصنف استطرد الى انواع الجملة المستأنفة ولم يسمه فصلا فليس من هذا الباب

وزيدٌ شاعرٌ وعَمْرٌو كاتبٌ وزيدٌ طويلٌ وعمرٌو قصير لمناسبةٍ بينهما بخلاف زيدٌ شاعر وعَمرو كاتب بدونها وزيدٌ شاعر وعمرو طويل مطلقاً (السكاكيُّ) الجامعُ بينَ الشيئينِ إمّا عقليٌّ بأن يكونَ بينهما اتحادٌ في التصوُّرِ أو تماثلٌ فانَّ العقلَ بتجريده المِثلَيْنِ عن التشخُّصِ في الخارج يَرْفعُ التعدُّدَ بينهما

عمرو بسبب من زيد وكانا كالنظيرين والشريكين وبحيث اذا عرف السامع حال الاول عناه ان يعرف حال الثانى بخلاف قولنا زيد شاعر وعمرو كاتب اذا لم يكونا كذلك وبخلاف قولنا زيدشاعر وعمروطويل كانا كذلك أولا قال الشيخ فى دلائل الاعجاز اعلم انه كما يجب ان يكون المحدث عنه فى احدى الجملتين بسبب من المحدث عنه فى الاخرى كذلك ينبغي ان يكون الخبر عن الثانى مما يجري مجرى الشبيه والنظير او النقيض للخبر عن الاول فلو قلت زيد طويل القامة وعمرو شاعر كان خلفاً (هذا) وقد قال السكاكي الجامع بين الجملتين اما عقلى او وهمى او خيالى فالعقلى ان يكون بينهما اتحاد فى تصور مثل الاتحاد فى المخبر عنه (١) او فى الخبر أو فى قيد من قيودهما اوتماثل هناك فان العقل بتجريده

(١) ربما تقول ان هذا يشعر بانه يكفي للوصل ان يكون الجامع بين المخبر عنهما فقط او المخبر بهما فقط وأنت قد قلت آنفاً خلاف ذلك فانا نقول كلام السكاكي هنا ليس الا فى بيان الجامع بين الجملتين واما ان اى قدر من الجامع يجب لصحة الوصل فمفوض الى مكان آخر

أو تضايفٌ كما بين العلّةِ والمعلولِ أو الأقلّ والأكثرِ أو وهميٌّ بأن يكونَ بين تصورَيهما شِبهُ تماثُلٍ كلَونَي بياضٍ وَصفرَةٍ فانَّ الوهمَ يُبرِزُهُمَا في مَعرِضِ المِثلَينِ ولذلك حسُنَ الجمعُ بينَ الثلاثة التي في قولهِ

ثلاثةٌ تُشرِقُ الدنيا ببهجتِها
شمسُ الضُّحَى وأبو إسحقَ والقمَرُ

أو تضادٌّ كالسوادِ والبياضِ والكفرِ والإيمانِ وما يتصفُ

المثلين عن التشخص فى الخارج برفع التعدد عن البين أو تضايف كالذى بين العلة والمعلول والسبب والمسبب أو السفل والعلو والاقل والاكثر فالعقل يأبى ان لايجتمعا فى الذهن • وان العقل سلطان مطاع • والوهمى هو ان يكون بين تصوريهما شبه تماثل نحو ان يكون المخبر عنه فى احداهما لون بياض وفى الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال في ان يبرزهما فى معرض المثلين وكم للوهم من حيل تروج والا فعليك بقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحي وأبو اسحاق والقمر وقل لى ماالذى حسن الجمع بين الشمس وأبى اسحق والقمر هذا التحسين سِوَاهُ أو بقوله

اذا لم يكن للمرء فى الخالق مطمع * فذو التاج والسقاء والذر واحد

أو تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة والطيب والنتن وكالتحرك والسكون والقيام والقعود والايمان والكفر وكالمتصفات بذلك فى

بهما كالأبيضِ والأسودِ والمؤمنِ والكافرِ أو شبهُ تضادٍّ
كالسماءِ والأرضِ والأوّلِ والثاني فانهُ ينزّلهما منزلةَ التضايفِ
ولذلك تجدُ الضدَّ أقربَ خطوراً بالبالِ مع الضدِّ أو خياليٌّ
بان يكونَ بين تصوُّريهما تقارنٌ في الخيال سابقٌ وأسبابهُ
مختلفةٌ ولذلك اختلفتِ الصورُ الثابتةُ في الخيالِ ترتُّباً

نحو الاسود والابيض والمؤمن والكافر أو شبه تضاد كالذى بين نحو
السماء والارض والسهل والجبل والاول والثاني فان الوهم ينزل المتضادين
والشبيهين بهما منزلة المتضايفين فيجتهد فى الجمع بينهما فى الذهن ولذلك
تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد والخيال هو ان يكون بين
تصوريهما تقارن فى الخيال سابق لاسباب مؤدية الى ذلك فان جميع
مايثبت فى الخيال مما يصل اليه من الخارج يثبت فيه على نحو مايتأدى
اليه ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة
فيما بين البشر اختلفت الحال فى ثبوت الصور فى الخيالات ترتبا ووضوحا
فكم من صور تتعانق فى الخيال وهى فى آخر ليست تتراءى وكم من
صور لاتكاد تلوح فى الخيال وهي في غيره نار على علم . يحكى ان
جماعة من ذوى الحرف المختلفة وصفوا الكلام فقال الجوهرى أحسن
الكلام مانقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر معانيه فى سمط
ألفاظه فحملته نحور الرواة وقال الصيرفى خير الكلام ما نقدته يد
البصيرة وجلته عين الروية ووزنته معيار الفصاحة فلا ينطق فيه بزائف

ووضوحاً ولِصاحبِ علمِ المعاني فضلُ احتياجٍ الى معرفة الجامع لا سيَّما الخياليِّ فان جمعَهُ على مجرَى الإلفِ والعادة

ولا يسمع فيه يبهرج وقال الصائغ خير الكلام ماأحميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا فى معنى وجيز وقال الحداد أحسن الكلام مانصبت عليه منفاخ الروية وأشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته من فحم الإفحام ورققته بغطيس الافهام وقال الخمار أحسن الكلام ماطبخته مراجل العلم وضمته دنان الحكمة وصفاه راووق الفهم فتمشت فى المفاصل عذوبته وفى الافكار رقته وسرت فى تجاويف العقل سورته وحدته وقال البزاز أحسن الكلام ماصدق رقم الفاظه وحسن رسم معانيه فلم يستعجم عند نشر ولم يستبهم عند طى وقال الكحال أصح الكلام ماسحقته فى منجار الذكاء ونخلته بحرير التمييز وكما ان الرمد قذى العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة وأجل رمد الغفلة ببرود اليقظة : ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها لاسيما النوع الخيالى فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ماتنعقد الاسباب فى استيداع الصور خزانة الخيال فقل لى اذا لم يوفه حقه من التيقظ وانه من اهل المدر أنى يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك النسق أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت • لبعد البعير عن خياله فى مقام النظر ثم لبعده فى خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها

*ومن محسِّناتِ الوصلِ تناسُبُ الجملتيْنِ في الاسميةِ والفعليةِ والفعليتيْنِ في المُضيِّ والمضارَعةِ الا لِمانعٍ .

وكذا البواقى لكن اذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم فى حاجاتهم جاء الاستحلاء وذلك اذا نظر ان أهل الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لامحالة الى أ كثرها نفعا وهى الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لايحصل الابان ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى مأوى يأويهم والى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن الا الجبال

لنا جبل يحتله من نجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل

فما ظنك بالتفات خاطرهم اليها ثم اذا تعذر طول مكثهم فى منزل • ومن لاصحاب مواش بذلك • كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا أيرى البدوى اذا أخذ يفتش عما فى خزانة الصور له لايجد صورة الابل حاضرة هناك أولا يجد صورة السماء لهامقارنة أو تعوزه صورة الجبال بعدها أولا تنصاع اليه صورة الارض بعدهن لا وانما الحضرى حيث لم تتآخذ عنده تلك الامور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل ان يقف على ما ذكرت ظن النسق بجهله معيباً •• هذا اذاقك الله حلاوة العلم واشعر قلبك برد اليقين هو لباب ماقالوه فى باب الفصل والوصل استخرجناه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين (الا لمانع) كما اذا أريد باحداهما التجدد وبالاخري الثبوت كما اذا

﴿ تذنيبٌ ﴾

أصلُ الحالِ المُنْتَقِلَةِ أَنْ تكونَ بغيرِ واوٍ لأنها في المعنى حُكْمٌ

كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو فانك تقول قام زيد وعمرو قاعد قال السكاكي وعلى هذا قوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون المعنى سواء عليكم أحدثتم الدعوة لهم أم استمر عليكم صمتكم عن دعائهم لانهم كانوا اذا حَزَبَهُم أمر دعوا الله دون أصنامهم قال تعالى واذا مس الناس ضر الآية فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا عن دعوتهم صامتين (تذنيب) لما كانت الحال الواقعة جملة تارة تدخلها الواو وأخرى لاتدخل صار لها فى الصورة حالتا فصل ووصل فناسب ان يذكر ذلك في عقب الكلام على الفصل والوصل (وبعد) فقد علمت ان من سنتنا فى شرح هذا الكتاب انا عند الكلام على المبحث الذي تلتحم اجزاؤه وتشتبك كلماته نعمد الى نظم شرحه فى سمط واحد حتى يكون هين المتناول سهل المأخذ فنقول الغرض الآن هو بيان ان الحال اذا وقعت جملة تجيء تارة مع الواو وأخرى بغير واو والكلام فى ذلك مستدع تمهيد قاعدة وهي ان الحال نوعان حال بالاطلاق (١) وحال تسمى مؤكدة ولكل واحد من النوعين أصل فى الكلام ولهما معاً نهج فى الاستعمال واحد فاصل الثانى ان يكون وصفاً ثابتاً نحو هو الحق بينا وزيد أبوك شفيقاً وفى التنزيل انا انزلناه قرآناً عربياً وأصل الاول ان يكون وصفاً غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم المفعول نحو جاء زيد راكباً وضربت اللص مكتوفاً

---

(١) وهى التى تسمى المنتقلة

على صاحبها كالخبرِ ووصفٌ لهُ كالنعتِ لكنْ خُولِفَ هذا إذا

ويمتنع ان يقال جاء زيد طويلا أو قصيراً أو اسود أو أبيض اللهم الا بتأويل • وبهجهما فى الاستعمال أن يأتيا عاريين عن حرف النفى كما يقال هو الحق بيناً دون لا خفياً وجاء زيد راكباً دون لا ماشياً والاصل (٢) فى النوعين ان يكونا بغير الواو لوجوه الاول ان اعراب الحال اصلى ليس بتبع ولا مجال للواو فى المعرب بالاصالة لان الاعراب دال على تعلق معنوي هناك فذلك التعلق يكون مغنياً عن تكلف تعلق آخر الثانى ان حكم الحال مع ذى الحال ابداً نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا تراك اذا الغيت هو في قولك هو الحق بيناً بقى الحق بين وجاء فى قولك جاء زيد راكباً بقى زيد راكب وضربت فى قولك ضربت اللص مكتوفاً بقى اللص مكتوف فتجد الحال وذا الحال خبراً ومخبراً والخبر ليس (٣) موضعاً لدخول الواو الثالث انها فى الحقيقة وصف لذي الحال فلا

---

(٢) يؤخذ من ذلك انه لا وجه للمصنف في ان يقيد الحال بالمنتقلة لان أصل الحال مطلقاً ذلك الا انه وجب هذا الاصل فى المؤكدة لانها فى معنى ما قبلها والواو تؤذن بالمغايرة (٣) قد يخدش فى هذا ان الاخفش فى طائفة جوز دخول الواو فى خبر كان واخواتها وأنشدوا

ليس شيء الا وفيه اذا ما * قابلته عين البصير اعتبار

وقول الحماسى فلما صرح الشر * فامسى وهو عريان

وقول الآخر :

دخلت على معاوية بن حرب * وكنت وقد يئست من الدخول

وقد يجاب بان أمثال ذلك مما ورد على خلاف الاصل تشبيها بالحال

كانت جملةً فانها من حيثُ هي جملةٌ مستقلةٌ بالإفادةِ فتحتاجُ الى ما يَرْبِطُها بصاحبِها وكلٌّ من الضميرِ والواو صالحٌ للربطِ والاصلُ هو الضميرُ بدليلِ المفردةِ والخبرِ والنعتِ فالجملةَ إنْ خَلَتْ عن ضميرِ صاحبِها وجبَ الواوُ وكلُّ جملةٍ خاليةٍ من ضميرِ ما يجوزُ أنْ ينتَصِبَ عنهُ حالٌ يصحُّ أنْ تقعَ حالاً عنهُ بالواوِ الاَّ المُصدَّرَةَ بالمضارعِ المُثبَتِ نحوُ جاءَ زيدٌ

يدخلها الواو كالنعت فظهر لك ان الاصل فى الجملة اذا وقعت موقع الحال ان لا يدخلها الواو ولكن النظر اليها من حيث كونها جملة مفيدة مستقلة بفائدة غير متحدة بالاولى وغير منقطعة عنها لجهات جامعة بينهما يبسط العذر فى ان يدخلها ما يربطها بالاولى وكل واحد من الضمير والواو صالح للربط والاصل الضمير بدليل الاقتصار عليه فى الحال المفردة والخبر والنعت واذا تمهد هذا فاعلم ان الجملة التى تقع حالا ضربان خالية عن ضمير ماتقع حالا عنه وغير خالية أما الاولى فيجب ان تكون بالواو لئلا تصير منقطعة عنه غير مرتبطة به وكل جملة خالية عن ضمير مايجوز (١) ان ينتصب عنه حال يصح ان تقع حالا عنه اذا كانت مع الواو الا المصدرة بالمضارع المثبت كقولك جاء زيد ويتكلم عمرو على ان يكون ويتكلم عمرو حالا عن زيد لما سيأتي ان ارتباط

---

(١) بان تكون فاعلا أو مفعولا معرفا أو منكرا مخصوصاً لا مبتدأ وخبرا ولا نكرة محضة

ويتكلمُ عمرٌو لمـا سيأتي والاَّ فان كانتْ فعليةً والفعلُ مُضارِعٌ مثبَتٌ امتنعَ دخولها نحوُ ولا تمنُنْ تَستكثِرُ لأَنَّ الاصلَ المفردةُ وهي تدلُّ على حصولِ صفةٍ غيرِ ثابتةٍ مقارنٍ

مثلها يجب ان يكون بالضمير وحده وأما الثانية فتارة يجب ان تكون بالواو وتارة يمتنع ذلك وتارة يترجح أحـدهما وتارة يستوى الامران والواو غير مناف للضمير في افادة الربط فتعين التنبيه على أسـباب الاختلاف فنقول الجملة اما ان تكون فعلية والفعل مضارع مثبت غير منفى وحينئذ تمتنع الواو بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو كقوله وقد علوتُ قُتودَ الرحل يَسفَعُنى (٢) يوم تجيء به الجوزاء مسموم وقوله ولقد اغتدى يدافع ركنى . احوذى ذو ميعة إضريج (٣) وفى التنزيل ولا تمنن تستكثر • وسيجنبها الا تقي الذى يؤتى ماله يتزكى • ويذرهم في طغيانهم يعمهون • قال المصنف والسبب فى ذلك هو ان أصل الحال المفردة ان تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن ذلك الحصول لمـا جعلت قيـدا له وهو العامل فيها والمضارع المثبت كذلك أما دلالته على حصول صفة غير ثابتة فلانه فعل مثبت والفعل

(١) القتود جمع قتد وهو خشب الرحل المهوت ويسفعه اليوم يلفحه بحره فيغير لونه وأصله تأثير النار وتعليمها ماتصيبه والجوزاء برج تنزله الشمس فى آخر الربيع وحينئذ تهب الرياح الحارة واليوم مسموم ريحه حارة

(٣) الاحوذى الحاذق وميعة الفرس أول جريه وأنشطه والاضريج الفرس الشديد العدو

لمـا جُعِلَتْ قيـداً لهُ وهو كذلك أمّا الحصولُ فلِكونِهِ فعلاً مثبتـاً وأما المقـارنةُ فلكونهِ مضارِعاً وَأَمّا ما جاءَ من نحوِ قمتُ وأصُكُّ وجههُ وقولهِ

فلما خشيتُ أظافيرَهُمْ * نجوتُ وَأَرهَنُهُمْ مالِكا

فقيلَ على حذفِ المبتدإِ أي وأنا أصُكُّ وأنا أرهنُهُمْ وقيلِ الاولُ شاذٌّ والثاني ضرورةٌ وقال عبدُ القاهرِ هي فيهما

المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت وأما دلالته على المقارنة فلكونه مضارعا وهو يصلح للحال • وأما قول ابن همام السلولى

فلمـا خشيت أظافيرهم * نجوت وأرهنهـم مالكا

(في رواية من رواه وأرهنهم) وما شبهوه به من قولهم • قمت وأصك وجهه فقيل على حذف المبتدا أى وانا أرهنهم وأنا أصـك فتكون الجملة اسمية وقيل الاول ضرورة والثاني شاذ وقال الشيخ الامام ليست الواو فيهما للحال بل هي للعطف وأرهن واصك بمعنى رهنت وصككت وعدل الى صيغة المضارع لحكاية الحال كما فى قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

يبين ذلك انك ترى الفاء تجيء مكان الواو فى مثل هذا وذلك كنحو مافى الخبر فى حديث عبد الله بن عَتيك حين دخل على أبى رافع اليهودى حصنه قال فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم لاأدرى أين هو من البيت فقلت أبا رافع فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه

المعطف والاصل وصككت ورهنت عدل عن لفظ الماضي الى المضارع لحكاية الحال وإن كان منفياً فالامران كقراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بالتخفيف ونحو وما لنا لا نؤمن بالله لدلالته على المقارنة لكونه مضارعاً

بالسيف وانا دهش فكما ان أضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لانه في المعنى ماض كذلك يكون أرهنهم معطوفا على الماضي قبله وكما لايشك في ان المعنى فى الخبر فاهويت فضربت كذلك يكون المعنى فى البيت نجوت ورهنت .. قلنا ان الجملة ان كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو أما ان دخل حرف نفي على المضارع فانه يجوز فيه الامران وذلك مثل قراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بتخفيف النون(١)وقولهم : كنت ولا أخشى بالذئب : وقول مسكين الدارمى.

أكسبته الورق البيض أبا ولقد كان ولا يدعي لاب

وقول مالك بن رفيع وكان جنى جناية فطالبه مصعب بن الزبير

أتاني مصعب وبنو أبيه فأين أحيد عنهم لا أحيد

اقادوا من دمى وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد

كان فى هذا كله تامة والجملة الداخل عليها الواو فى موضع الحال ولا معنى لجعلها ناقصة وجعل الواو مزيدة وليس مجيء المضارع حالا على هذا الوجه بعزيز فى الكلام الاتراك تقول جعلت أمشي وما أدري اين اضع رجلى وجعل يقول ولا يدرى وقال أبو الاسود

(١) فانها تكون حينئذ نون رفع وتكون لا للنفي دون النهي والواو للحال

دونَ الحصولِ لكونهِ منفياً : وكذا إِن كان ماضياً لفظــاً أوْ معنىً كقولهِ تعــالى أَنَّى يكونُ لي غلامٌ وَقدْ بَلَغَنِيَ الــكِبَرُ

يصيب وما يدرى ويخطى ومادرى وكيف يكون النُّوك الا كذلك

وهو شائع كثير • ومثال مجيء المضارع منفيا حالا من غير واو قوله

مضوا لا يريدون الرماح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قَدَر

وقول أرطاة بن سهية وهو لطيف جدا

ان تلقنى لا ترى غيري بناظرة تنس السلاح وتعرفْ جَبهة الاسد

فقوله لا ترى فى موضع حال ومثله فى اللطف قول اعشى همدان وصحب عباد بن ورقاء الى إِصبهان فلم يحمده فقال

اتينا اصبهان فهزلتنا وكنا قبل ذلك فى نعيم
وكان سفاهة منى وجهلا مسيرى لا أسير الى حميم

وقال خالد بن يزيد بن معاوية

لو ان قوما لِارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

وهو كثير الا انه لا يهتدى الى وضعه بالموضع المرضى الا من كان صحيح الطبع قال المصنف والسبب فى جواز الامرين هو دلالة المضارع على المقارنة لكونه مضارعا دون الحصول لكونه منفيا أى والمقارنة يناسبها ترك الواو وعدم الحصول يناسبه وجودها (وأما) ان كان الفعل ماضيا لفظاً أو معنى فكذلك يجيء بالواو وبغير الواو أما مجيئه بالواو فالكثير الشائع كقولك أتانى وقد جهده السير وقال تعالى انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وقال امرؤ القيس

اتقتلنى وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوأةَ الرجلُ الطالى

وقولهِ أو جاؤكم حصِرَتْ صدُورُهمْ وقولهِ أَنَّى يكُونُ لي غُلَامٌ ولمْ يَمْسسْنِي بَشَرٌ وقولهِ فانقلَبُوا بنعمةٍ مِنَ اللهِ وَفَضلٍ

وقال فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدي الستر الا لبسة المتفضل

هذا فى الماضي لفظا وأما الماضى(١) معنى فمثاله قوله تعالى أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ وقوله انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر وقول كعب

لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم أذنب وان كثرت فيَّ الاقاويل

وقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقول الشاعر

بانت قطام ولما يحظ ذومقة منها بوصل ولا إنجاز ميعاد

وأما بغير الواو فكقوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم وقول الشاعر

يمشون قد كسروا الجفون الى الوغي متبسمين وفيهم استبشار

وقوله فآبوا بالرماح مكسرات وابنا بالسيوف قد انحنينا

وقول الآخر

متى أرى الصبح قد لاحت مخايله والليل قد مزقت عنه السرابيل

وكقوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وقول أمرئ القيس

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه

وقول زهير

كأن فُتَاتَ العِهن فى كل منزل نزلن به حب الفَنا لم يحطم(١)

---

(٢) المراد به المضارع المنفى بلم ولما (٣) يقول كأن قطع الصوف

لم يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وقوله أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قبلِكُمْ أما المُثْبَتُ فلدَلالتهِ على الحصولِ لكونهِ فعلاً مثبتاً دُونَ المقارَنَةِ لكونهِ ماضياً ولهذا شُرِطَ أن يكونَ معَ قدْ ظاهِرَةً أوْ مقدَّرَةً وأمّا المَنفيُّ فلدَلالتِهِ على المقارَنَةِ دونَ الحصولِ أَمَّا الاوَّلُ فَلأَنَّ لَمَّا للاستغراقِ وغيرَها لانتفاءٍ مُتَقَدِّمٍ معَ أنَّ الاصلَ استمرارُهُ فتحصلُ بهِ الدَّلالَةُ عليها عندَ الاطلاقِ بخلافِ المثبَتِ فإنَّ

وقول الآخر

فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدّرتا كالدر لما يثقب

تقال المصنف والسبب فى ان جاز الامران فيه اذا كان مثبتا دلالته على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا وعدم دلالته على المقارنة لكونه ماضيا ولهذا اشترط ان يكون مع قد ظاهرة أو مقدرة حتى تقربه الى الحال فيصح وقوعه حالا وظاهر هذا يقتضى وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين لكنه لم يجب فيه بل كان مثله أما المنفى بلما فلانها للاستغراق وأما المنفى بغيرها فلانه لما دل على انتفاء متقدم وكان الاصل استمرار ذلك حصلت الدلالة على المقارنة عند اطلاقه بخلاف المثبت فان وضع

المصبوغ التى زينت به الهوادج فى كل منزل نزلته هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب فى حال كونه غير محطم لانه اذا حطم زايله لونه

وَضْعَ الفعلِ على إفادَةِ التجدُّدِ وتحقيقُهُ أنَّ استمرَارَ العَدَمِ لا يَفتقرُ إلى سببٍ بخلافِ استمرارِ الوجودِ وَأمَّا الثاني فلكونهِ منفيًّا * وإن كانت إسميةً فالمشهورُ جوازُ تركِها لعكسِ مامرَّ

الفعل على افادة التجدد وتحقيق هذا ان استمرار العدم لا يفتقر الى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بين فى غير هذا العلم (وأما) ان كانت الجملة اسمية فالمشهور جواز الامرين وان مجيء الواو أولى مثال وجود الواو قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وقوله جل شأنه ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد وقول الشاعر

ليالي يدعونى الهوى وأجيبه　　وأعين من أهوى الىَّ رَوانِ

ومثال تركها ماروااه سيبويه كلمته فوه الى فى ورجع عوده على بدئه فى قول من رفع وبيت الاصلاح

نَصفَ النهارُ الماءُ غامره　　ورفيقه بالغيب لايدرى(١)

وما أنشده أبو على فى الاغفال

ولولا جنان الليل ماأب عامر　　الى جعفر سر باله لم يمزق

وقول الآخر * مابال عينك دمعها لايرقأ * قال المصنف أما جواز الامرين فلعكس مامر فى الماضى المثبت يعنى دلالة الاسمية على المقارنة لكونها مستمرة لاعلى حصول صفة غير ثابتة لدلالتها على الدوام والثبوت وأما ان مجيء الواو أولى فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع

---

(١) يصف غائصا على الدر يقول انه بقي غائصا تحت الماء من الصباح الى الظهر ورفيقه الممسك بالحبل على البر لايدري

فِي الماضي المثبَتِ نحوُ كلمتهُ فوهُ إلى فِيَّ وأَنَّ دُخولَها أَوْلى لعدَمِ دَلالتِها على عدَمِ الثُّبوتِ معَ ظهورِ الاستئنافِ فيها فحسُنَ زيادةُ رابطٍ نحوُ فلاَ تَجعلُوا للهِ أَنْداداً وَأنتُمْ تَعلمُونَ وقال عبدُ القاهرِ إِنْ كانَ المبتدأُ ضميرَ ذِي الحالِ وَجبت

ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة فتحسن زيادة رابطة ليتأكد الربط (وقال) الشيخ الامام ان كان المبتدا ضمير ذى الحال وجب الواو كقولك جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع وسبب ذلك ان الجملة لاتترك فيها الواو حتى تدخل فى صلة العامل وتنضم اليه فى الاثبات وتقدر تقدير المفرد فى ان لايستأنف لها الاثبات وهذا مما يمتنع فى نحو جاء زيد وهو يسرع أو وهو مسرع لانك اذا أعدت ذكر زيد وجئت بضميره المنفصل المرفوع كان بمنزلة اعادةاسمه صريحا فى انك لاتجد سبيلا الى ان تدخل يسرع فى صلة المجيء وتضمه اليه فى الاثبات لان اعادة ذكره لاتكون حتى تقصد استئناف الخبر عنه بانه يسرع والا لكنت تركت المبتدأ بمضيعة وجعلته لغوا فى البين وجرى مجرى ان تقول جاءنى زيد وعمرو يسرع امامه ثم تزعم انك لم تستأنف كلاما ولم تبتدئ للسرعة اثباتا وعلى هذا فالاصل والقياس ان لاتجيء الجملة الاسمية الا مع الواو وما جاء بدونه فسبيله سبيل الشيء الخارج عن قياسه وأصله بضرب من التأويل ونوع من التشبيه فقولهم فوهالى فىّ معناه مشافها وقولهم عوده على بدئه معناه ذاهبا فى طريقه الذي جاء منه وأما قوله

نحوُ جاءَني زيدٌ وهو يُسرِعُ أَوْ وَهوَ مُسْرِعٌ وان جعِل نحوُ

اذا أتيت أبا مروان تسأله وجدته حاضراه الجود والكرم

فلأنه بسبب تقديم الخبر قرب فى المعنى من قولك وجدته حاضرا عنده الجود والكرم وتنزيل الشيء منزلة غيره ليس بعزيز فى كلامهم ويجوز ان يكون جميع ذلك علي ارادة الواو كما جاء الماضى على ارادة قد (وبعد) فقد وجب علينا الآن أن نتحفك أيها القارىء بما قاله ذلك الامام فى بيان العلل والاسباب التى اقتضت أن يختلف الامر بالجمل الواقعة حالا هذا الاختلاف وان يكون ههنا جملة لاتصلح الا مع الواو وأخرى لاتصلح فيها الواو وثالثة تصلح ان تجيء فيها بالواو وان تدعها (قال) ما فحواه . ان كل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من الواو فذاك لاجل انك عمدت الى الفعل الواقع فى صدرها فضممته الى الفعل الاول فى اثبات واحد وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لانك مستأنف بها خبرا فاذا قلت جاءنى زيد يسرع كان بمنزلة جاءنى مسرعا فى انك تثبت له مجيئا فيه اسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبرا واحداً كأنك قلت جاءنى بهذه الهيئة واذا قلت جاء زيد وهو مسرع أو وغلامه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه كان المعنى على انك بدأت فاثبت المجيء ثم استأنفت خبرا وابتدأت اثباتا ثانيا لما هو مضمون الحال ولهذا احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجيء بالواو كما جيء بها فى قولك العلم حسن والجهل قبيح وتسميتنا لها واو حال لاتخرجها عن كونها مجتلبة لضم جملة الى جملة كالفاء فى جواب الشرط فانها بمنزلة العاطفة فى انها جاءت لربط جملة ليس من شأنها ان ترتبط بنفسها فالجملة

على كَتِفهِ سيفٌ حالاً كَثُرَ فيها تَرْكُها نحوُ * خَرَجْتُ معَ البازِي عليَّ سوَادُ * وَيَحْسُنُ التركُ تارةً لدخولِ حرْفٍ على المبتدإ كقوله

فى نحو جاءنى زيد يسرع بمنزلة الجزاء المستغنى عن الفاء لان من شأنه ان يرتبط بنفسه والجملة في نحو جاءنى زيد وهو مسرع أو وغلامه يسعى بين يديه أو وسيفه على كتفه بمنزلة الجزاء الذى ليس من شأنه ان يرتبط بنفسه (ثم) قال الشيخ وان جعل نحو على كتفه سيف بتقديم الظرف حالا عن شيء كما فى قولنا جاءني زيد على كتفه سيف كثر فيها ان تجيء بغير واو كقول بشار

اذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها   خرجت مع البازي عليّ سواد

يعنى عليَّ بقية من الليل وقول أمية

واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً   فى رأس غُمْدان دارامنك محلالا

وقول الآخر

لقد صَبَرَتْ للذل أعوادُ مِنْبَرَ   تقوم عليها فى يديك قضيب

ثم قال والوجه ان يقدر الاسم فى الامثلة مرتفعاً بالظرف فانه جائز باتفاق من صاحب الكتاب وأبى الحسن لاعتماده على ماقبله ثم ينبغي ان يقدر ههنا خصوصاً ان الظرف فى تقدير اسم الفاعل دون الفعل اللهم الا ان يقدر فعلا ماضيا مع قد (ومن) كلام الشيخ قوله • ومما ينبغي ان يراعي فى هذا الباب انك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو فيحسن ذلك ثم تنظر فترى ذلك انما حسن من أجل حرف دخل

فقلتُ عسى أن تُبصريني كأنَّما
بَنِيَّ حَوَالَيَّ الأُسُودُ الحوَارِدُ

وأُخرَى لوقوعِ الجملةِ الاسميةِ بعَقِبِ مفردٍ كقولهِ

وَاللّٰهُ يُبْقيكَ لَنا سالِماً
بُرْدَاكَ تَبْجيلٌ وتَعْظِيمُ

﴿ الايجازُ والاطنابُ والمساواةُ ﴾

(السكاكيُّ) أَمَّا الايجازُ والاطنابُ فلكوْنِهما نِسْبِيَّيْنِ لا

عليها مثاله قول الفرزدق

فقلت عسي ان تبصريني كانما بنى حوالى الاسود الحوارد (١)

فانه لولا دخول كأن عليه لم يحسن الكلام الا بالواو كقولك عسى ان تبصريني وبنى حوالى الاسود • وشبيه بهذا ان تقع حالا بعقب مفرد فيلطف مكانها بخلاف مالو أفردت كقول ابن الرومى

والله يبقيك لنا سالما بردك تبجيل وتعظيم

فانه لو قال والله يبقيك لنا بردك تبجيل لم يكن شيئاً • نسأل الله التوفيق لفهم أسرار اللغة ودقائق البيان (الايجاز والاطناب) هو باب رفيع المنزلة شامخ فى الشرف بل هو أنف البلاغة الذي تعطس منه ونابها الذي تفتر عنه وقديما تكلم العلماء فيه وافردوه بالقول والايضاح ولقد أتى المصنف رحمه الله منه بجملة صالحة سنضم اليها ما تسكن اليه النفس ويثلج منه الصدر ان شاء الله (نسبيين) لان الموجز انما يكون موجزاً

---

(١) الحوارد جمع حارد وهو المجتمع الخلق المهيب المنظر يرى لعزته كالغضبان

يتيسرُ الكلامُ فيهما إلاّ بتركِ التحقيقِ والتعيينِ وبالبناءِ على أمرٍ عرفيّ وهوَ متعارَفُ الاوساطِ أي كلامُهم في مجرى عرفِهم في تأديةِ المعنى وهوَ لا يُحمَدُ في باب البلاغةِ ولا يُذَمُّ فالايجازُ أداءُ المقصودِ بأقلَّ من عبارةِ المتعارَفِ والإطنابُ أداؤهُ بأكثرَ منها. ثمَّ قال. الاختصارُ لكونهِ نسبياً يُرجَعُ فيهِ تارةً الى ما سبقَ وأخرى الى كونَ المقامِ خليقاً بأبسطَ ممّا ذُكرَ.. وفيهِ نظرٌ لأنَّ كونَ الشيءِ نسبياً لا يقتضي تعسُّرَ تحقيقِ معناهُ ثمَّ البناءُ على المتعارَفِ والبسْطِ الموصوفِ رَدٌّ

بالنسبة الى كلام أزيد منه وكذا المطنب انما يكون مطنبا بالنسبة الى ماهو أنقص منه (الاوساط) أى الذين لم يرتقوا الى ذروة البلاغة ولم يتدلوا الى حضيض العيّ والفهاهة (وهو) أي هذا الكلام الذى هو متعارف الاوساط (الى ماسبق) أى الى اعتبار متعارف الاوساط (مما ذكر) أى مما ذكر فى المقام (ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف) بان يقال الايجاز قد يكون لكونه أقل من المتعارف وقد يكون لكون المقام خليقا بكلام أبسط من الكلام المذكور (هذا) وقد نصر القومُ صاحبَ المفتاح على المصنف بما لا يسعه شرحنا وليس بطالب البلاغة اليه حاجة وحبذا صنيع المصنف لو كان كفى نفسه مؤنة الاعتراض بعدوله عن كلام السكاكي وقصده بادي بدء الى ماهو

الي الجهالةِ : والاقربُ أن يقالَ المقبولُ من طرُقِ التعبيرِ عنِ المراد تأديةُ أصلهِ بلفظٍ مساوٍ لهُ أوْ ناقصٍ عنهُ وافٍ أو زائدٍ عليهِ لفائدَةٍ واحترزَ بوافٍ عنِ الاخلالِ كقولهِ

وَالعيشُ خيرٌ في ظلا ... لِ النوكِ ممَّنْ عاش كدَّا

أي الناعمُ وفي ظلالِ العقلِ وبفائدَةٍ عنِ التطويلِ نحوُ *وَألفي قولَها كذِباً وَميناً* وعنِ الحشوِ المفسدِ كالندَى في قولهِ

بالبلاغة أمس وبمصنفه اليق (عن الاخلال) وهو ان يكون اللفظ قاصرا عن أداء المعنى كقول الحرث بن حلِّزَة اليشكرى

والعيش خير فى ظلا * ل النوك ممن عاش كدا

أراد • والعيش الناعم خير فى ظلال النوك من العيش الشاق فى ظلال العقل • وليس يدل لحن كلامه على هذا فهو من الايجاز المقصر ومن ذلك قول الآخر

اعاذل عاجل ماأشتهى ... أحب من الاكثر الرائث

يريد • عاجل ماأشتهى مع القلة أحب اليه من رائثه مع الكثرة ومثله قول عروة بن الورد

عجبت لهم اذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغي كان اعذرا

يعنى اذ يقتلون نفوسهم فى السلم (عن التطويل) وهو ان لايتعين الزائد فى الكلام كقول عدى بن زيد العبادى من قصيدته التى أولها

أبدلت المنازل أم عينا ... بقادم عهدهن فقد بلينا

ولا فضلَ فيها للشَّجاعةِ والنَّدى
وصبرِ الفتى لولا لِقاء شَعوبِ

وهو يذكر غدر الزباء بجذيمة الابرش

وقددت الاديم لراهشيه والفي قولها كذبا ومينا

فان الكذب والمين واحد ولا يتعين أحدها للزيادة • التقديد التقطيع والاديم الجلد والراهشان العرقان فى باطن الذراع (فى قوله) أي قول أبى الطيب المتنبي (ولا فضل فيها) يقول لا فضل فى الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت • وهذا الحكم صحيح فى الشجاعة والصبر دون الندى لان الشجاع اذا علم علما ليس بالظن انه يخلد فى الدنيا هان عليه اقتحام الحروب والمعارك لأمنه من الهلاك اذ ذاك فلم يكن هنا فضل وكذا الصابر اذا أيقن بزوال المكروه وبقاء العمر هان عليه صبره لوثوقه بالخلاص وأما الندى فعلى العكس من ذلك لان الباذل اذا علم انه يموت هان عليه بذله ولهذا يقول اذا عوتب فيه • كيف لا أبذل مالا أبقى له أنىّ أثق بالتمتع بهذا المال • وعليه قول طرَفة بن العبد

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدي

وقول مهيار الديلمى

فكل ان أكلت واطعم أخاك فلا الزاد يبقى ولا الآكل

فلو علم انه يخلد ثم جاد بماله كان جوده أفضل وعلى كرم الطبع أدل وقد تمحل بعضهم بأن المراد بالندى فى البيت بذل النفس لا بذل المال كما قال مسلم بن الوليد

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وغيرِ المُفْسِدِ كقولهِ * وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والامْسِ قَبْلَهُ *

﴿ المساواةُ ﴾

نحوُ ولا يَحيقُ المكرُ السيِّءُ الاَّ بأهلهِ وقولهِ

ورد بان لفظ الندى لايكاد يستعمل في بذل النفس وان استعمل فعلى وجه الاضافة فأما مطلقا فلا يفيد الا بذل المال نعم قال ابن جنى ان في الخلود وتنقل الاحوال فيه من عسر الى يسر ومن شدة الى رخاء ما يسكن النفس ويسهل البؤس فلايظهر لبذل المال كثير فائدة • وهو قريب (كقوله) القائل هو زهير بن ابى سلمى (واعلم) وتمامه* ولكنني عن علم مافى غد عمي * فأنت ترى ان قوله • قبله • مستغنى عنه الا انه غير مفسد فان قلت قد يقال ابصرته بعيني وسمعته باذني وضربته بيدي ولايجعل مثل هذا من الحشو لوقوعه فى التنزيل مثل • فويل لهم مما كتبت أيديهم قلنا أمثال ذلك انما تقال فى مقام يفتقر الى التوكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا لقد كتبت يمينك هذه وأما قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم • فمعناه انه قول لايعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم لاتدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر فى القلب ومالا معنى له مقول بالفم لاغير (نحو ولا يحيق) ومن المساواة هذه الابيات المشهورة

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على دهم المطايا رحالنا ولم ينظر الغادى الذي هو رائح

فإِنَّكَ كالليـلِ الذي هو مُدْرِكي
وَإِنْ خلتُ أَنَّ المُنتأَى عنكَ وَاسعُ

* والايجازُ ضربانِ إِيجازُ القصرِ وهو ما ليسَ بحذْفٍ نحوُ

أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الاباطح

ومنها تلك الابيات التى قال فيها الجاحظ لاأعرف شعرا يفضل هـذه الابيات التى لابى نواس

ودار ندامى عطـلوها وادلجوا بها أثر منهم جـديد ودارس
مساحبُ من جر الزقاق على الثرى واضغاثُ ريحان جنىّ ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم وانى على أمثال تلك لحـابس
تدار علينا الراح فى عسـجدية حبتها بأنواع التصـاوير فارس
قـرارتها كسرى وفى جنباتهـا مهاً تدريها بالقسىّ الفـوارس
فللـراح مازرت عليـه جيوبهـا وللماء مادارت عليه القلانس

(فانك كالليـل) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدة يمدح بها أبا قابوس وهو النعمان بن المنذر ملك الحيرة • يقول انه لايفوت الممدوح وان أبعد فى الهرب وسار الى أقصى الارض لسعة ملـكه وطول يده ولان له فى جميع الآفاق مطيعاً لامره يرد الهارب اليه • وقد انتقدالاصمعى على النابغة فقال أما تشبيهه الادراك بالليل فقد تساوى الليل والنهار فيما يدركانه وانما كان سبيله ان يأتى بمالا قسيم له حتى يأتى بمعنى منفرد فلو قال قائل ان قول النمـيرى فى ذلك أحسن منه لوجد مساغا الى ذلك حيث يقول

ولكم في القِصاصِ حياةٌ فانَّ معناهُ كثيرٌ ولفظهُ يسيرٌ وَلا

فلو كنت كالعنقاء أو كسموّها لخلتك الا ان تصد ترانى

(نحو ولكم فى القصاص حياة) مثله قول الله جل شأنه خذ العفووأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين • فجمع مكارم الاخلاق بأسرها لان فى العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين واعطاء المانعين وفى الامر بالعرف تقوى الله وصلة الرحم وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمات والتبرؤ من كل قبيح لانه لايجوز ان يأمر بالعرف وهو يلابس شيئاً من المنكر وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ الدين ويسقط القدرة • ومن هذا الضرب من الايجاز قوله تعالى • فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا (١) آية حار فى فصاحتها جميع البلغاء • ومثل هذا فى القرآن كثير • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم • اياكم وخضراء الدِّمَن (٢) وقول الشريف الرضي

مالوا الى شعب الرحال واسندوا أيدى الطعان الى قلوب تخفق

فانه لما أراد ان يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبر عن ذلك بقوله أيدى الطعان (فان معناه كثير) لان المراد به ان الانسان اذا علم انه متى قَتَل قُتِل كان ذلك داعيا له قويا الى ان لايقدم على القتل فارتفع بالقتل الذى هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم

(١) المعنى لما يئسوا من يوسف واجابته اياهم اعتزلوا الناس خالصين لايخالطهم أحد يتناجون فى تدبير أمرهم وماذا يقولون لابيهم في شأن أخيهم (٢) تمام الحديث قيل وما ذاك قال المرأة الحسناء في المنبت السوء

حذفَ فيهِ : وفضلهُ على ما كان عندَهمْ أوْجزَ كلامٍ في هـذا المعنى وهوَ القتـلُ أنفَى للقتـلِ بقلَّةِ حروفِ ما يُناظرُهُ منهُ والنصِّ على المطلوبِ وما يُفيدُهُ تنكيرُ حياةٌ من التعظيمِ لمنعِهِ ممـا كانوا عليهِ مِنْ قتلِ جمـاعةٍ بواحدٍ أو النَّوْعيةِ الحاصلةِ للمقتولِ والقاتلِ بالارتداعِ وَاطِّرَادهِ وَخُلُوِّهِ عنِ التَّـكرَارِ

لبعض فـكان ارتفاع القتل حياة لهـم (وفضله الخ) يقول ان قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة يفضل ما كان عند العرب أوجز كلام فى هذا المعنى وهو قولهم (١) القتل أنفى للقتل من وجوه أحدها ان عدة حروف مايناظره منه وهو فى القصاص حياة عشرة فى التلفظ وعدة حروفه أربعة عشر وثانيها مافيه من التصريح بالمطلوب الذى هو الحياة بالنص عليها فيكون أزجر عن القتل بغير حـق لـكونه ادعى الى الاقتصاص وثالثها مايفيده تنكير حياة من التعظيم وذلك لمنعهم عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد أو النوعية وهى الحياة الحاصلة للقاتل بانكفافه والمقتول بالكف عنه ورابعها اطراده بخلاف قولهم فان القتـل الذى ينفى القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره وخامسها سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الـكلام بخلاف قولهم وسادسها استغناوه

(١) قد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بعض بيت فقال

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم ... ان الدم المغبر يحرسه الدم

وهو أحسن مما ورد عنهم

واستغنائهِ عنْ تقديرِ محذوفٍ وَالمطابقةِ: وايجازُ الحذفِ وَالمحذوفُ إما جزءُ جملةٍ مضافٌ نحوُ واسألِ القريةَ أوْ موصوفٌ نحوُ: أنا ابنُ جلا. أي رَجلٍ جلاَ أو صفةٌ نحوُ وكان وراءهُمْ ملِكٌ.

عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان تقديره القتل أنفى للقتل من تركه وسابعها ان القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما اطباق وزاد في الايضاح وجهاً آخر وهو جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بادخال في عليه وهناك وجوه اخر قد تمحاها الناس (نحو واسأل القرية) مثاله قوله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل . أى حبه وقوله عز وجل الحج أشهر معلومات . أي وقت الحج وقول الحماسى

اذا لاقيت قومى فاسأليهم * كفى قوماً بصاحبهم خبيراً
هل اعفوا عن اصول الحق فيهم * اذا عسرت وأقتطع الصدورا

اراد انه يقتطع ما فى الصدور من الضغائن والإحن أي يزيل ذلك باحسانه وكريم خصاله . . وهذا باب شائع في كلام العرب وان كان ابو الحسن الاخفش لا يرى القياس عليه (نحو انا ابن جلا) هو بعض بيت للعرجى ولفظه

انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى

فالمحذوف جزء جملة موصوف (أي رجل جلا) قال بعضهم فيه نظر لان رجل ليس جزء جملة بل فضلة على انه قيل ان جلا اسم علم فلا حذف حينئذ وهو مستند عيسى بن عمر فى ان فَعَل عنده وزن يمنع من الصرف فلذلك لم ينون جلا وقال سيبويه كأنه قال أنا ابن الذي جلا

يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غصباً أي صحيحةٍ أو نحوهِ بدليلِ ما قبلهُ أوْ شَرْطٌ كما مرَّ أوْ جوابُ شرْطٍ إما لمجرَّدِ الاختصار نحوُ وإذا قيلَ لهمُ اتَّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترْحمُونَ.

فعلى هذا الوجه يكون حذف الموصول • ومن حذف الموصوف قول البحترى من ابيات يصف بها ايوان كسرى

وإذا ما رأيت صورة انطا * كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانوشر * وان يزجي الصفوف تحت الدرس
فى اخضرار من اللباس على اصـ * ـفر يختال فى صبيغة ورس

فقوله على اصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال (أو نحوه) كسليمة او صالحة (بدليل ماقبله) وهوقوله تعالى فاردت أن أعيبها فانه يدل على ان الملك كان انما يأخذ الصحيحة • • ومن حذف الصفة قول الحماسي

كل امرىء ستئيم منـ * ـه العرس أو منها يئيم (١)

اراد كل امرئ متزوج اذ المعنى لا يصح الا بهـذا (وبعد) فهذا الضرب من الحذف وهو حذف الصفة قليل الوجود ولا يكاد يقع فى الـكلام الا نادراً لمكان استبهامه (كما مر) عند قوله في باب الانشاء وهذه الاربعة يجوز تقدير الشرط بعدها • ومن حذف الشرط قولهم

---

(١) أي اما أن يموت الرجل فتبقى امرأته أيما أو تموت امرأته فيبقى الرجل أيما وفى المثل • كل ذات بعل ستئيم •

أي أعْرَضُوا بدليل ما بعدهُ أو للدلالةِ على أنَّهُ شيءٌ لا يحيط بهِ الوصفُ أوْ لِتذهبَ نفسُ السامعِ كُلَّ مَذْهَبٍ ممكنٍ مثالُهما ولو تَرَى إِذْ وُقِفُوا على النَّار أو غيرُ ذلكَ نحوُ لا يستوِي منكم مَنْ أَنفقَ مِنْ قبلِ الفَتْحِ وقاتَلَ أي وَمَنْ أَنفقَ.

الناس مجزيون باعمالهم ان خيراً فخير وان شراً فشر (بدليل ما بعده) وهو قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين. ومن هذا الباب قوله تعالى • ولو ان قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أى لـكان هذا القرآن وقوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أى ألستم ظالمين بدليل قوله بعدُ ان الله لا يهدى القوم الظالمين (اولتذهب نفس السامع كل مذهب) فلا يتصور مطلوباً او مكروهاً الا وهو يجوز ان يكون الامر أعظم منه بخلاف ما لو ذكر فانه يتعين. وربما يسهل امره عنده الا ترى ان المولى اذا قال لعبده والله لئن قمت اليك وسكت تزاحمت عليه من الظنون المعترضة للوعيد ما لا يتزاحم لو نص من مؤاخذته على ضرب من العذاب وكذلك اذا قال المتبجح لو رأيتنى شاباً وسكت جالت الافكار له بما لم تجل به لو اتى بالجواب (أو غير ذلك) كالمسند اليه والمسند والمفعول كما مر وكالمضاف اليه كقوله تعالي وكل فى فلك يسبحون وكذلك كلّ ما قطع عن الاضافة معني لا لفظاً • وكالصلة مثل قولهم جاء بعد اللَّتيا والتى وكجواب القسم مثل قوله تعالى والفجر وليال عشر الآية التقدير ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك.

مِنْ بعـدِهِ وقاتَلَ بدليلِ ما بعـدَهُ وَإِمّا جملةٌ مُسبّبةٌ عن مذكورٍ نحوُ لِيُحِقَّ الحقَّ وَيُبْطِلَ الباطلَ أيْ فَعَلَ ما فعلَ أوْ سببٌ لمذكورٍ نحوُ فانفجرَتْ انْ قُدِّرَ فضَرَبَهُ بها ويجوزُ أنْ يُقَـدَّرَ فإِنْ ضَرَبْتَ بهـا فَقَدِ انفجرتِ أو غيرُهما نحوُ فَنِعْمَ

قوله بعدُ ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله سوط عذاب • وجواب لما كقوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين الآية التقدير كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا فى تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب ورضوان الله الذى ليس وراءه مطلوب • ومما يتصل بهذا ما يجيء بعد افعل كقولنا الله اكبر أى من كل شيء وعليه قول البحترى

الله أعطاك المحبة في الورى   وحباك بالفضل الذى لا ينكر
ولأنت أملأ فى العيون لديهم   وأجل قدراً في الصدور واكبر

(نحو ليحق الحق) ومنه قول أبي الطيب المتنبي

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

أى فساءنا (نحو فانفجرت) مثـله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين أي فاختلفوا بدليـل قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـه (ويجوز ان يقدر الخ) فيكون المحذوف جزء جملة هى شرط كقوله تعالى فالله هو الولي أي ان ارادوا ولياً بحق والفاء فى مثـل قوله فانفجرت تسمى فاء فصيحة وظاهر كلام الزمخشري ان تسميتها فصيحة

الماهدُون على ما مرَّ وَإما أكثرُ من جملةٍ نحوُ . أَنا أُنبِّئُكم بتأويلهِ فأرسِلونِ يوسفُ . أي إلى يوسفَ لاستعبرَهُ الرُّؤيا ففعلوا وأتاهُ وقال لهُ يا يوسفُ : والحذفُ على وجهَيْنِ أنْ لا يُقامَ شيءٌ مقامَ المحذوفِ كما مرَّ وأن يقامَ نحوُ وإن يُكذِّبوكَ فقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِنْ قبلِكَ أي فلا تحزَنْ واصبر وأدلَّتهُ كثيرةٌ منها أن يَدُلَّ العقلُ عليهِ والمقصودُ الاظهرُ على تعيين المحذوفِ نحوُ حرِّمتْ عليكُمُ الميتةُ . ومنها أن

انما هى على التقدير الثاني وظاهر كلام السكاكي على العكس وقيل انها فصيحة على التقديرين والمشهور فى تمثيلها قوله

قالوا خراسان أقصى ما يرادبنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(على ما مر) فى مبحث الاستئناف من انه على حذف المبتدا والخبر فى قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف (نحو انا أنبئكم الخ) مثله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتي المعنى فضربوه بها فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى . وقوله اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ التقدير ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته ثم كأن سائلا سأل فماذا قالت فقيل قالت يا أيها الملأ . ومثل هذا النوع من الايجاز لا يكاد يوجد الا فى كلام الله الذي تقطعت على بلاغته اعناق العتاق السبق وونت عنها خطى الجياد القرح (نحو حرمت عليكم الميتة) فان العقل يدل على

يَدُلَّ العقلُ عليهما نحوُ وجاءَ رَبُّكَ أي أمرُهُ أو عذابُهُ : ومنها أَنْ يَدُلَّ العقلُ عليهِ والعادةُ على التعيين نحوُ فذلِكُنَّ الذي لُمتُنَّني فيهِ فإنهُ يحتملُ في حُبِّهِ لقوله قد شغفها حبًّا وفي مُراودَتِهِ لقولهِ تُراوِدُ فتاها عن نفسهِ وفي شأنهِ حتى يشملهما والعادةُ دَلَّتْ على الثاني لانَّ الحُبَّ المُفرِطَ لا يُلامُ صاحبُهُ عليهِ في العادةِ لقهرِهِ إياهُ : ومنها الشروعُ في الفعلِ نحوُ بسمِ اللهِ فيُقَدَّرُ ما جُعِلَت التسميةُ مبدأً لهُ : ومنها الاقتران كقولهم للمُعرِسِ بالرِّفاءِ والبنينَ أي أعرَستَ * والاطنابُ إما

الحذف اذ الاحكام انما تتعلق بالافعال دون الاعيان والمقصود الاظهر من هذه الاشياء المذكورة فى الآية تناولها الشامل للاكل وشرب الالبان فدل على تعيين المحذوف (عليهما) أي على الحذف والتعيين (نحو وجاء ربك) ما أحسن ما ارتآه صاحب الكشاف فى هذه الآية الكريمة وما اليقه بالاسلوب البليغ قال ان هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (لا يلام صاحبه عليه) وانما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التي يقدر ان يدفعها عن نفسه (ومنها) أى من أدلة تعيين المحذوف (الاقتران) أى اقتران الكلام بالفعل (بالرفاء والبنين) فاقتران هذا الكلام لاعراس المخاطب دل على

بالايضاحِ بعد الابهامِ لِيُرَى المعنى في صورتَيْنِ مُخْتَلِفَتيْنِ أوْ لِيَتمكَّنَ في النفسِ فضلَ تمكُّنٍ أوْ لِتكمُلَ لذةُ العلمِ بهِ نحوُ رَبِّ اشْرَحْ لي صدْرِي فانَّ اشْرَح لي يفُيدُ طَلَبَ شرْحٍ لشيءٍ ما

ان التقدير بالرفاء والبنين أعرست • والرفاء الالتئام والاتفاق تقول رفأتُ الثوب أرفؤه اذا أصلحتَ ماوهن منه (ليرى المعنى في صورتين مختلفتين) فيكون كعرض الحسناء فى لباسين (أو ليتمكن فى النفس) فان المعنى اذا ألقى مبهما تاقت نفس السامع الى معرفته مبينا فتتوجه الى مايرد بعد ذلك فاذا ألقى كما تشتهى تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم (أو لتكمل لذة العلم به) فان الشيء اذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم واذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس الى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ثم اذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الالم أقوى من اللذة التى لم يتقدمها ألم ومما يواخي ذلك مافي قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام قال صاحب الكشاف السبب فى ان العذاب ياتيهم من الغمام ان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع وأهول لان الشر اذا جاء من حيث لايحتسب كان أغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لايحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله •

لهُ وصدري يُفيـدُ تفسيرَهُ ومنـهُ بابُ نِعْـمَ على أحدِ
القولَيْنِ إِذ لو أُريدَ الاختصارُ لـكَفى نِعْمَ زَيدٌ ووجهُ حُسْنِه
سِوَى ما ذُكر ابرازُ الـكلامِ في مَعْرِضِ الاعتدالِ وايهامِ
الجمعِ بينَ المُتَنافِيَيْنِ ومنهُ التوشيعُ وهو أن يُؤْتَى في عجزِ
الـكلامِ بمثنًى مُفسَّرٍ باثْنَيْنِ ثانِيهِما معطوفٌ على الاولِ نحوُ
يَشيبُ ابنُ آدمَ ويَشِبُّ معهُ خَصلَتانِ الحِرْصُ وطُولُ الأَمَلِ

وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون (ومنه) أي من الايضاح بعد الابهام (حسنه) أى حسن باب نعم (فى معرض الاعتدال) نظرا الى الاطناب من وجه حيث لم يقل نعم زيد والى الايجاز من وجه حيث حذف المبتدأ الذى هو صدر الاستئناف (وايهام الجمع بين المتنافين) الايجاز والاطناب • والجمع بين المتنافيين من الامور الغريبة المستطرفة التى يظهر فى النفس عند وجدانها تأثر عجيب (ويشب معه خصلتان) فلو أريد الاختصار لقيل ويشب معه الحرص وطول الامل لـكنه أبهم أولا ثم أوضح لمـا سبق ويسمى هذا توشيعاً لان التوشيع في اللغة لف القطن المندوف فـكأنه جعل التعبير عن المعنى الواحـد بالمثنى المفسر باسمين بمنزلة لف القطن بعد الندف • ومن هذا الباب قول الشاعر

سقتنى فى ليل شبيه بشعرها ... شـبيهة خـديها بغـير رقيب
فما زلت فى ليلين شعر وظلمة ... وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقول البحتري

* وإمَّا بذكر الخاصِّ بعدَ العامِّ للتنبيهِ على فضلهِ حتى كأَنَّهُ ليسَ منْ جنسهِ تنزيلاً للتغايُرِ في الوصفِ منْزلةَ التغايُرِ في الذاتِ نحوُ حافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الوُسْطَى * وإما بالتكريرِ لنُكتةٍ كتأكيدِ الإِنذارِ في كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ

لما مشين بذي الاراك تشابهت　　اعطاف قضبان به وقدود
فى حلتى حبر وروض فالتقي　　وشيان وشى ربى ووشي برود
وسفرن فامتلأت عيون راقها　　وردان وردجنى وورد خدود

(نحو حافظوا على الصلوات والصلاة (١) الوسطى) ومن هذا الباب قوله تعالى قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر (كتأكيد الانذار) وكزيادة التنبيه على ماينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما فى قوله

---

(١) أتذكَّرُ ان شيخنا الامام حفظه الله قرر عند تفسير هذه الآية الكريمة ان المعنى ليس كما يقول المفسرون من ان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر أو غيرها وانما المعنى ان الله جل شأنه لما أمر بحفظ الصلوات والمثابرة عليها كان للناس ان يتوهموا ان تأدية الصلاة على أى وجه واية حال كافية عند الله فبين لنا سبحانه ان الصلاة لاتكفى الا اذا كانت وسطى وذلك بان تكون مستصحَبَة بالفراغ من شواغل الدنيا والتوجه الى الله والخشوع له واستحضار عظمته واستشعار هيبته .. وعلى ذلك لاتكون مما نحن فيه كما هو ظاهر

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ وفي ثُمَّ دِلالةٌ على أنَّ الإِنذارَ الثانيَ

تعالى وقال الذى آمن ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع • وزيادة التوجع والتحسر كما فى قوله

فيا قبر معن أنت أول حفرة　　من الارض خطت للسماحة مضجعا
وياقبر معن كيف واريت جوده　　وقد كان منه البر والبحر مترعا

• وتذكير ماقد بَعُدَ بسبب طول فى الكلام كما فى قوله تعالى • ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم • وقوله لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقول الشاعر

لقد علم الحي اليمانون اننى　　اذا قلت امابعد انى خطيبها

وقول الحماسى

اسجنا وقيدا واشتياقا وغربة　　ونأى حبيب ان ذا لعظيم
وان امرأ دامت مواثيق عهده　　علي مثل هذا انه لكريم

: وقد يكرر اللفظ لتعدد المتعلق كالذى جاء فى سورة الرحمن من قول الله سبحانه فبأى آلاء ربكما تكذبان لانه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ومعلوم ان الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى (وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى أبلغ) كما تقول للمنصوح أقول لك ثم اقول لك والسر فى ذلك ان أصل ثم الدلالة على تراخى الزمان لكنها قد تجيء لمجرد التدرج فى درج الارتقاء من غير اعتبار التراخى والبعد بين تلك الدرج وان الثانى بعد الاول فى الزمان وذلك اذا تكرر الاول بلفظه نحو

أبلغُ * وإما بالايغالِ فقيلَ هو ختمُ البيتِ بما يُفيدُ نكتةً يَتِمُّ المعنى بدونها كزيادةِ المبالغةِ في قولها

وَإِنَّ صَخراً لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ * كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وتحقيقِ التشبيهِ في قولهِ

والله ثم والله (واما بالايغال) وأصله من قولهم أوغل فى الامر اذا أبعد الذهاب فيه .. سئل الاصمعى من أشعر الناس فقال من يقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى . قيل نحو من . قال ذو الرمة حيث يقول

قف العيس فى اطلال مية فاسئل رسوما كاخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه بالرداء ثم قال المسلسل فزاد به شيئاً ثم قال

أظن الذى يجدى عليك سوآلها دموعا كتبذير الجمان المفصل

فتم كلامه بالجمان ثم قال المفصل فزاد شيئاً . قيل ونحو من . قال الاعشى حيث يقول

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

فتم كلامه بيضرها فلما احتاج الى القافية قال واوهى قرنه الوعل فزاد معنى قال السائل وكيف صار الوعل مفضلا على كل ماينطح قال لانه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا يضره (فى قولها) أى قول الخنساء فى مرثية أخيها صخر .. فلم ترض ان تشبهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت فى رأسه نارا (فى قوله) أى

كَأَنَّ عيُونَ الوَحْشِ حوْلَ خِبائِنَا
وَأرْحُلِنَا الجَزْعُ الذِي لَمْ يُثَقَّبِ

وقيلَ لا يَختصُّ بالشعرِ وَمُثِّلَ بقولهِ تعالى اتَّبِعُوا مَنْ لاَ

قول امرئ القيس .. فانه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج اليها جاء بزيادة حسنة في قوله لم يثقب لان الجزع اذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون (كان عيون الخ) الجزع الخرز اليماني الذي فيه سواد وبياض يشبه به عيون الوحش قال الاصمعي الظبي والبقرة اذا كانا حيين فعيونهما كلها سود فاذا ماتا بدا بياضها وانما شبهها بالجزع وفيه سواد وبياض بعد ماموتت والمراد كثرة الصيد يعني مما أكلنا كثرت العيون عندنا .. ومن هذا النحو قول زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

فان حب الفنا أحمر الظاهر أبيض الباطن فهو لا يشبه الصوف الاحمر الا مالم يحطم وقول امرئ القيس

اذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزيز الريح مر بأثأب

التشبيه تم عند قوله هزيز الريح وزاد بقوله . مرَّ بأثأب لانه أخبر به عن شدة حفيف الفرس وللريح فى أغصان الأثأب حفيف شديد . والاثأب شجر (وكان) الرشيد يعجب بقول مسلم بن الوليد

اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد فى الوحل

وكان يقول قاتله الله أما كفاه ان يجعله مقيدا حتى جعله فى وحل (ومثل بقوله تعالى الخ) فان قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه

يَسأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وإما بالتذييلِ وهو تعقيبُ الجملةِ بجملةٍ أُخرى تشتملُ على معناها للتأكيدِ وهو ضربانِ ضربٌ لَمْ يُخْرَجْ مُخْرَجَ المَثَلِ نحوُ ذلكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجَازَى إِلاَّ الكَفُورُ على وجهٍ وضربٌ أُخْرِجَ مُخْرَجَ

لان الرسول مهتد لامحالة لكن فيه زيادة حث على الاتباع وترغيب في الرسل • وكتب بعض الكتاب نبو الطرف من الوزير دليل على تغير الحال عنده ولا صبر على الجفاء ممن عود الله منه البر وقد استدللت بازالة الوزير اياى عن المحل الذى كان يحانيه بتطوله على ماسؤت له ظنا بنفسى وما أخاف عتبالانى لم أجن ذنباً فان رأى الوزير ان يقومنى لنفسى ويدلنى على مايرادمنى فعل • تم كلامه بقوله يقدمنى وزاد بالمقطع وهو قوله لنفسي معنى (واما بالتذييل) وللتذييل فى الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير لان المعنى يزداد به انشراحاً والمقصد اتضاحاً وينبغي ان يستعمل فى المواطن الجامعة والمواقف الحافلة لان تلك المواطن تجمع البطئ الفهم والبعيد الذهن والثاقب القريحة والجيد الخاطر فاذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تأكد عند الذهن اللقن وصح للكليل البليد (لم يخرج مخرج المثل) لعدم استقلاله بافادة المراد وتوقفه على ماقبله (على وجه) وهو ان يراد وهل يجازي ذلك الجزاء قال الزمخشرى وفيه وجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى فى معنى الاثابة فلما استعمل فى معنى المعاقبة فى قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى

المَثَلِ نحوُ وَقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً . وَهو أيضاً إِما لتأكيدِ منطوقٍ كهذهِ الآيةِ وَإِماً لتأكيدِ مفهومٍ كقولهِ

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ
على شَعَثٍ ايُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

الا الكفور بمعنى وهل يعاقب . فعلى هذا يكون من الضرب الثانى .. ومن الاول قول الحماسي

فدعوا نزال فكنت أول نازل ... وعلام اركبه اذا لم أنزل

وقول أبي الطيب

وما حاجة الاظعان حولك فى الدجى ... الى قمر ما واجد لك عادمه

وقوله أيضاً

تمسى الاماني صرعى دون مبلغه ... فما يقول لشىء ليت ذلك لى

وقول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيئاً أؤمله ... تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

قيل نظر فيه الى قول أبي الطيب وقداربى عليه فى المدح والادب مع الممدوح حيث لم يجعله فى حيز من تمنى شيئا (نحو وقل جاء الحق الآية) ومن هذا قول الحطيئة

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ... ومن يعط أثمان المكارم يحمد

(كقوله) أى قول النابغة الذبيانى من قصيدة يخاطب بها النعمان بن

*وإما بالتكميلِ ويُسمّى الاحتراسَ أيضاً وهو أن يُؤْتَى فى كلامٍ يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بما يدفعُهُ كقولِهِ

المنذر •• فانت ترى ان صدر البيت دل بمفهومه على نفى الكامل من الرجال فحقق ذلك وقرره بعجزه • ومعنى البيت ظاهر ومما ينظر اليه قول بعضهم

اذا أنت لم تترك أخاك وزلة   أراد لها أو شكتما ان تفرقا

وهو معنى طرقه الشعراء كثيرا (بما يدفعه) وهذا الدافع قديكون فى وسط الكلام وقد يكون فى آخره فالاول كقول طرفة بن العبد من قصيدة يمدح بها قتادة بن مسلمة الحنفى وكان قد أصاب قومه سنة فأتوه فبذل لهم

فسقى ديارك غير مفسدها   صوب الربيع وديمة تهمى

لما كان المطر قد يفضي بالديار الى الفساد تحرز عن ذلك بقوله غير مفسدها ولم يقع فيما وقع فيه ذو الرمة فى قوله

الايااسلمي يادارمى على البلا   ولا زال منهلا بجرعائك القطر

فهذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ••ومن هذا الضرب قول الرمادى فى وصف فرس

قامت قوائمه لنا بطعامنا   غضا وقام العرف بالمنديل

فقوله غضا احتراس عجيب اذ لو لم يذكر لتوهم أنهم ينقلون عليه ازوادهم وقول نافع بن خليفة الغنوى

رجال اذا لم تقبل الحق منهم   ويعطوه عادوا بالسيوف القواضب

وقول الآخر

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

ونحوُ أَذِلَّةٍ على المؤمنينَ اعِزَّةٍ على الكافِرينَ * وإما بالتتميم

لو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل لطيف • والثاني كقوله تعالى فسوف يأتي الله بقومهم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين • فانه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم ان ذلتهم لضعفهم فلما قيل أعزة على الكافرين علم انها منهم تواضع لهم ولهذا عدى الذل بعلي لتضمينه معنى العطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ويجوز ان تكون التعدية بعلي لان المعنى انهم مع شرفهم وعلو طبقهم وفضلهم علي المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم • ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به الى صديق له • اني وليك الذي لايزال تنقاد اليك مودته عن غير طمع ولا جزع وان كنتَ لذي الرغبة مطلبا ولذي الرهبة مهربا ومثله قول الحماسي

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره وما فوق شكري للشكور مزيد

وكذا قول كعب بن سعد الغنوي

حليم اذا ماالحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب

فانه لو اقتصر علي وصفه بالحلم لاوهم ان ذلك عن ضعف وخَوَرفأزال هذا بقوله إذا ما الحلم زين أهله ومعلوم ان الحلم لا يزين اهله الا عند القدرة عليه • ولما كان كونه حليما في حال يحسن فيها الحلم يوهم انه في تلك الحال ليس مهيباً لما به من البشر وطلاقة الوجه وعدم آثار الغضب والوقار نفى ذلك بقوله • مع الحلم في عين العدو مهيب • فهو

وهو أن يُؤْتى فى كلام لا يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بفضلةٍ لنكتةٍ كالمبالغةِ نحوُ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِّهِ في وَجهٍ أي، معَ حبِّهِ * وإما بالاعتراضِ وهو أن يُؤْتَي فى أثناءِ كلامٍ أو بينَ كلامَيْنِ متَّصِلَيْنِ معنىً بجُملةٍ أوْ أكثرَ لا محلَّ لهَا منَ

تكميل آخر • ومن هذا أيضا قول السموأل

وما مات منا سيد فى فراشه ولا طل منا حيث كان قتيل

فانه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل اياهم لأوهم ان ذلك لضعفهم وقلتهم فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتليهم (كالمبالغة) وكالدلالة على تقليل المدة فى قوله تعالى • سبحان الذى أسرى بعبده ليلا • ذكر ليلا والاسراء لايكون الا بالليل للدلالة على تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل لان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية (فى وجه أى مع حبه) أى مع اشتهاء الطعام والحاجة اليه • أما اذا جعل الضمير لله أى على حب الله كما قال الفضيل بن عياض فلا يكون مما نحن فيه لانه لتأدية أصل المراد • وهذا الوجه بعيد كما لايخفى على صاحب الاحساس الشريف والذوق الصحيح • • ومن هـذا الباب قول زهير

من ياق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تميم جميل . وقول الآخر

انى على ماترين من كبرى اعرف من أين تؤكل الكتف

الإعراب لنكتةٍ سِوَى دَفعِ الإِيهامِ كالتنزيهِ في قولهِ تعالى وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سبحانَهُ وَلَهُمْ ما يَشتهونَ والدعاءِ في قولهِ

إِنَّ الثمانِينَ وبُلِّغتَها ... قد احوَجَتْ سمعي إلى تَرجُمانِ

قوله على ماترين من كبرى تميم أصاب المحز (سوى دفع الايهام) أى الذى ذكر فى التكميل (كالتنزيه)) وكتخصيص أحد المذكورين بزيادة التوكيد فى أمر عاق بهما كقوله تعالى • ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكر لى ولوالديك فقوله ان اشكر لى تفسير لوصينا وقوله حملته اعتراض بينهما ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا لحقها العظيم مفردا وكالمطابقة مع الاستعطاف فى قول أبى الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فقوله ياجنتى اعتراض للمطابقة مع جهنم والاستعطاف • وكبيان السبب لامر فيه غرابة كما فى قول بن ميادة

فلا هجره يبدو وفى اليأس راحة ... ولا وصله يبدو لنا فنكارمه

فان قوله فلا هجره يبدو يشعر بان هجر الحبيب أحد مطلوبيه وغريب ان يكون هجر الحبيب مطلوبا للمحب فقال وفى اليأس راحة لبيين سببه (ويجعلون لله البنات الخ) فقوله • سبحانه • جملة لكونه بتقدير الفعل وقعت فى أثناء الكلام لان قوله ولهم مايشتهون معطوف على قوله لله البنات • والنكتة فيه تنزيه الله سبحانه وتقديسه عماينسبون اليه (فى قوله أى قول عوف بن محلم الشيبانى يشكو كبره وضعفه • فقوله وبلغتها جملة معترضة بين اسم ان وخبرها لقصد الدعاء والواو فى مثله اعتراضية

والتنبيه في قوله

وَاعلَمْ فَعِلْمُ المرْءِ يَنفَعُهُ　　أَنْ سَوْفَ يأْتي كلُّ ما قُدِرَا

: ومِمَّا جاءَ بينَ الكلامَيْنِ وهو أكثرُ من جملةٍ قولهُ تعالى فَأتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فان قوله نساؤكم حرث لكم بيانٌ لقولهِ فأْتُوهُنَّ مِنْ حيثُ أمرَكُمُ اللهُ وقال قومٌ قد

ليست عاطفة ولا حالية • ومثل هذا قول أبى الطيب

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب　　يرى كل مافيها وحاشاه فانيا

فقوله وحاشاه دعاء حسن فى موضعه (واعلم الخ) فقوله فعلم المرء ينفعه اعتراض بين اعلم ومفعوله والمعنى ان المقدور آت لامحالة وان وقع فيه تأخير وفي هذا تسلية وتسهيل للامر وهذا البيت أنشده أبو على الفارسى ولم يعزه الى أحد (وهو) أى والاعتراض نفسه الواقع بين الكلامين أكثر من جملة (أيضاً) كما ان الكلام الذى وقع الاعتراض فى أثنائه أكثر من جملة (بيان لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله) لان الغرض الاصلى من الاتيان هو طلب النسل لاقضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من حيث يتأتى فيه هذا الغرض • فالنكتة في هذا الاعتراض الترغيب فيما أمروا به والتنفير عما نهوا عنه (وقال قوم الخ) يقول غفر الله له ان قوما ذهبوا الى ان الاعتراض لاتقيد فائدته بماذكر

تكونُ النُّكتةُ فيهِ غيرَ ما ذُكِرَ ثمَّ جوَّزَ بعضُهم وقوعَهُ آخِرَ جملةٍ لا تليها جملةٌ متصلةٌ بها فيشملُ التذييلَ وبعضَ صُوَرِ التكميلِ وبعضُهم كونَهُ غيرَ جملةٍ فيشملُ بعضَ صُوَرِ التتميمِ والتكميلِ * وإمَّا بغيرِ ذلكَ كقولهِ تعالىٰ الذين يحمِلونَ العرشَ ومنْ حولهُ يُسبِّحونَ بحمدِ ربهم ويُؤْمنونَ بهِ فانهُ لو اختُصِرَ لم يُذْكَرْ ويؤمنونَ بهِ لأَنَّ إيمانَهمْ لم يُنكِرْهُ مَنْ يُثبِتُهُمْ وَحَسَّنَ ذِكْرَهُ اظهارُ شَرَفِ الايمانِ ترغيباً فيهِ : واعلَمْ أَنهُ قد يُوصَفُ الكلامُ بالايجازِ والاطنابِ باعتبارِ كثرةِ حرُوفهِ وقلَّتِها بالنسبةِ الى كلامٍ آخَرَ مُساوٍ لهُ في أصلِ المعنى

بل يجوز ان تكون دفع توهم ما يخالف المقصود وهؤلاء افترقوا فرقتين فرقة لا تشترط فيه ان يكون واقعاً فى أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بل يجوز ان يقع فى آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به معنى وبهذا يشعر كلام الزمخشرى فى مواضع من الكشاف فالاعتراض عند هؤلاء يشمل التذييل ويشمل من التكميل ما لا محل له من الاعراب جملة كان أو أكثر من جملة • وفرقة تشترط فيه ذلك لكن لا تشترط ان يكون جملة أو أكثر من جملة فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعاً فى احد الموقعين ومن التكميل ما كان واقعا فى أحدهما ولا محل له من الاعراب جملة كان أو أقل أو أكثر (واما بغير ذلك)

كقوله * يَصدُّ عنِ الدنيا اذا عنَّ سُودَدٌ * وقوله

وَلَسْتُ بنظَّارٍ الى جانبِ الغِنَى اذا كانَتِ العَلْياءُ في جانبِ الفقرِ

ويقرُبُ منهُ قولهُ تعالى لا يُسْئَلُ عمّاَ يَفعَلُ وَهُمْ يُسْئَلونَ

وقولُ الحَمَاسيّ

وَنُنكِرُ إنْ شِئْنَا على الناسِ قولَهُمْ ولا يُنكِرُونَ القولَ حينَ نقولُ

معطوف على قوله اما بالايضاح بعد الابهام (كقوله) أى قول أبي تمام من ابيات يرثى بها ابا الحسين محمد بن الهيثم .. وتمام البيت * ولو برزت فى زِىّ عذراءَ ناهِدِ * فانت ترى ان هذا المصراع ايجاز بالنسبة الى بيت المعذل بن غيلان

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

لمساواته له فى اصل المعنى وقلة حروفه والبيت اطناب بالنسبة اليه . وكذا بيت الشماخ

اذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فانه ايجاز بالنسبة لقول بشر بن ابى حازم

اذا ما المكرمات رفعن يوما وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت اذرع المثرين عنها سما اوس اليها فاحتواها

وشعر بشر اطناب بالنسبة اليه (قال) ويقرب من هذا الباب قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقول السموأل

ونكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

﴿ الفنُّ الثاني علمُ البيانِ ﴾

وهو علمٌ يُعْرَفُ بهِ إِيرادُ المعنى الواحدِ بطُرُقٍ مُخْتلِفَةٍ في وُضوحِ الدّلالة عليهِ ودلالةُ اللفظِ إما على تمامِ ما وُضِعَ لهُ

(وهوعلم الخ) قدمهدالسكاكي لهذا النوع من علوم البلاغة مقدمات هي بالعلوم النظرية اليق وللبليغ بغيرها عنها غنية ولكن لامحيص ايها القارئ عن شرحها بماينظر للاسلوب العربي فنقول . البيان علم يعرف به ابراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة بالزيادة والنقصان في وضوح الدلالة عليه ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه ثم مما يكاد يكون معروفا ان ابراز المعنى الواحد في صور مختلفة غير ممكن بالدلالة اللغوية . وهي التي يسمونها الدلالة الوضعية . لان من المحال ان يتطرق الكمال والنقصان اليها فان السامع للفظ اما ان يكون عالما بكونه موضوعا لمسماه أو لايكون فان كان عالما به عرف مفهومه بتمامه وان لم يكن عاماً به لم يعرف منه شيئاً رأساً . فالالفاظ في دلالتها اللغوية اما ان تفيد مسماتها بالكمال أو لا تفيد شيئاً منها فأما ان تفيد افادة ناقصة فذلك غير معقول مثاله اذا أردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة فان أفدت هذا المعنى بالدلالة اللغوية وقلت زيد يشبه الاسد في الشجاعة فقد أفدت مقصودك بألفاظ دالة عليه دلالة لغوية وهذه الافادة تمتنع من تطرق الزيادة والنقصان اليها لانك اذا نقصت في هذه الالفاظ شيئاً فقد نقصت من المعنى لامحالة وان زدت فيها فقد زدت في المعنى لامحالة وان أقمت مقام كل لفظ منها مايرادفه امتنع ان تزداد تلك

أو على جزئهِ أو على خارجٍ عنهُ وتُسمَّى الأُولى وضعيةً وكلٌّ من الاخيرتينِ عقليةً وتختصُّ الأُولى بالمطابقةِ والثانيةُ بالتضمنِ

الافادة قوة بسبب ذلك لان السامع اذا عرف كونها موضوعة بازاء مفهومات الالفاظ الاول كان فهمه منها كفهمه من تلك الالفاظ الاول وان لم يعرف ذلك لم يعرف منها ذلك المعنى • واما الدلالة العقلية فلاجل ان حاصلها عائد الى انتقال الذهن من مفهوم اللفظ الى مايلازمه من اللوازم ثم اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وأخرى تكون بعيدة لاجرم صح ابراز المعنى الواحد في صور كثيرة وصح في تلك الصور ان يكون بعضها أكمل من بعض في افادة ذلك المعنى وتأديته وبعضها أنقص وأضعف •• اذا عرفت هذا فنقول دلالة اللفظ على المعنى اما ان تكون وضعية أو عقلية فالوضعية كدلالة الالفاظ على المعاني التي هي موضوعة بازائها وذلك كدلالة السماء والارض والجدار والحائط على مسمياتها ولا شك في كونها وضعية والا لامتنع اختلاف دلالتها باختلاف الاوضاع وأما العقلية فاما على مايكون داخلا في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت ولا شك في كونها عقلية لامتناع وضع اللفظ بازاء حقيقة مركبة ولا يكون متناولا لاجزائها واما على مايكون خارجا عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط فانه لما امتنع انفكاك السقف عن الحائط عادة كان اللفظ المفيد لحقيقة السقف مفيداً للحائط بواسطة دلالة الاول فتكون هذه الدلالة عقلية والقوم قد اصطلحوا على تسمية الاولى بدلالة المطابقة والثانية بدلالة

والثالثةُ بالالتزامِ وشرطهُ اللزومُ الذهنيُّ ولوْ لاعتقادِ المخاطَبِ بعُرْفٍ عامٍّ أو غيرِهِ والايرادُ المذكورُ لا يتأتّى بالوضعيةِ لأَنَّ السامعَ اذا كانَ عالِماً بوضعِ الالفاظِ لمْ يكنْ بعضُها

التضمن والثالثة بدلالة الالتزام (قال) المصنف وشرط الالتزام اللزوم الذهنى بين الموضوع له والخارج عنه يعنى ان يكون حصول ماوضع اللفظ له فى الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون نسبة الخارج اليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجة ولا يشترط فى هذا اللزوم ان يكون مما يثبته العقل بل يكفى أن يكون مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف عام أو لغيره لامكان الانتقال حينئذ من المفهوم الاصلى الى الآخر (قال) ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له ان قامت قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز والا فكناية .. وهذا مبنى على ما سيجىء أول باب الكناية من ان الانتقال فى المجاز والكناية كليهما انما هومن الملزوم الىاللازم وأن ما ذكره السكاكي من ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم ليس بصحيح اذ لا دلالة للازم من حيث انه لازم على الملزوم والالتزام انما هو الدلالة على لازم المسمى لا على ملزومه (قال) وقدم المجاز على الكناية لان معناه كجزء معناها أى لان المراد فى المجاز هو اللازم فقط لقيام القرينة على عدم ارادة الملزوم وفى الكناية يجوز أن يراد اللازم والملزوم جميعاً (قال) ثم من المجاز ما ينبنى على التشبيه . وهو الاستعارة . فتعين التعرض له فانحصر

أوضحَ والاَّ لَمْ يكُنْ كُلٌّ واحدٍ منها دالاًّ عليهِ ويتأتىّ بالعقليةِ لجوازِ ان تختلفَ مراتِبُ اللزومِ في الوضوحِ ثمَّ اللفظُ المرادُ بهِ لازمُ ما وُضع لهُ ان دَلَّتْ قرينةٌ على عدمِ إرادتهِ فمجازٌ

المقصود من علم البيان فى الثلاثة • التشبيه والمجاز والكناية • هذا ما أمكن اليراعَ أن يخطه فى هذا المقام وهو بعدُ موضع نظر (١) (التشبيه)
اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وان تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يكسبها ابهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها ويشب من نارها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ويستثير لها من أقاصى الافئدة صبابة وكلفاً ويقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً فان كان مدحاً كان أبهى وأفخم وانبل فى النفوس وأعظم وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح وأوجب شفاعة للمادح وأقضى له بغر المواهب والمنائح وأسير على الألسن وأذكر وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر وان كان ذما كان مسه أوجع وميسمه الذع ووقعه أشد وحده أحد وان كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر وان كان افتخاراً كان شأوه أبعد وشرفه

---

(١) وذلك لامور منها أنه ليس بصحيح قولهم ان الاختلاف بالوضوح والخفاء غير ممكن فى الدلالة الوضعية ولقد شنع شيخنا الامام حفظه الله على هذا القول بما يؤيده الحس وينصره العقل وليس فى وسعنا اثبات ذلك الآن وربما أثبتناه فى محل آخر ان شاء الله • وأمور أخرى نبه عليها القوم فيما كتبوا فانظرها ثمت ان شئتَ

أجد ولسانه ألد وان كان اعتذاراً كن الى القبول أقرب وللقلوب أخلب وللسخائم أسل ولغَرْب الغضب أفل وفي عقد العقود أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث وان كان وعظاً كان أشفى للصدر وأدعى الى الفكر وأبلغ فى التنبيه والزجر وأجدر بأن يجلى الغيابة ويبصر الغاية ويبرئ العليل ويشفي الغليل وهكذا الحكم اذا استقريت فنون القول وضروبه وتتبعت أبوابه وشعوبه وان أردت أن تعرف ذلك فانظر الى قول البحترى

دانٍ على أيدى العفاة وشاسعٌ … عن كل نَد فى النَّدى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوءه … للعصبة السارين جد قريب

او قول ابن لنكك

اذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا … رأيت صورته من أقبح الصور
وهبه كالشمس في حسن ألم ترنا … نفر منها اذا مالت الى الضرر

او قول ابن الرومى

بذل الوعد للاخلاء سمحا … وأبي بعد ذلك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعيـ … ـن ويأبى الاثمار كل الاباء

او قول ابى تمام

واذا أراد الله نشر فضيلة … طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت … ما كان يعرف طيب عرف العود

وقوله ايضاً

وطول مقام المرء فى الحى مخلق … لديباجتيه فاغترب تتجدد
فاني رأيت الشمس زيدت محبة … الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

﴿ التشبيهُ ﴾

وفكر فى حالك وحال المعنى معك وأنت فى البيت الأول لم تنته الى الثانى ثم قسمها على الحال وقد وقعت عليه وتأملت طرفيه فانك تعلم بُعد ما بين حالتيك وشدة تفاوتهما فى تمكن المعنى لديك وتحبيه اليك ونبله فى نفسك وتوفيره لأنسك وتحكم لي بالصدق فيما قلت والحق فيما ادعيت وكذلك فتعهد الفرق بين ان تقول • أرى قوماً لهم بهاء ومنظر وليس هناك مخبر • وتقطع الكلام وبين ان تتبعه قول ابن لنكك

فى شجر السرو منهم مثل   له رواء وما له ثمر

وانظر الى المعنى فى الحالة الثانية كيف يورق شجره ويثمر ويفتر ثغره ويبسم وكيف تشتار الأرى من مذاقته كما ترى الحسن في شارته هذا ولذلك أسباب وعلل فنها ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفى الى جلى كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالفطرة أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كما قيل   ما الحب الا للحبيب الأول أومما لم تعلمه الى ماهى به أعلم كالانتقال من المعقول الى المحسوس فانك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ حتى لاتدع فى النفوس منزعا نحو ان تقول وأنت تصف اليوم بالقصر • يوم كاقصر مايتصور • فلا يجد السامع له من الانس مايجده لنحو قولهم أيام كأباهيم (١) القطا وقول ابن المعتز

بدلت من يوم كظل حصاة   ليلا كظل الرمح غير موات

وقول الآخر   ظللنا عند باب أبى نعيم   بيوم مثل سالفة الذباب(٢)

---

(١) جمع ابهام (٢) هي ناحية مقدم العنق من لدن معاق القرط الى قلت الترقوة

وكذا تقول فلان اذاهم بالشيء لم يزُل ذلك عن ذُكره وقلبه وقَصَر خواطره على امضاء عزمه فيه ولم يشغله عنه شيء ثم لاترى فى نفسك له هِزة ولا تصادف لمـا تسمعه أريحية حتى اذا قلت *اذا همَّ التى بين عينيه عزمـه* (١) امتلات نفسك سرورا وأدركتك طَرْبة لاتملك دفعها عنك • ومن الدليـل على ان للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ماليس لغيره انه لوكان الرجل مثلا على طرف نهر فى وقت مخاطبة صاحبه واخباره له بانه لايحصل من سعيه على شيء فأدخل يده فى الماء وقال انظر هل حصل فى كفى من المـاء شيء • فكذلك أنت فى أمرك • كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول المجرد •
ومن فضائل التشبيه انه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة نحو ان يعطيك من الزند بايرائه شبه الجواد والذكي والنجح فى الامـور وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى ومن القمر الكمال عن النقصان كما قال أبو تمـام (٢)

لهفى على تلك الشواهد فيهما ... لو امهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما ... حلماً وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نمـوه ... أيقنت ان سيصير بدراً كاملا

والنقصان بعد الكمال كقول أبي العلاء المعرى

(١) الشطر لسعد بن ناشب وتمامه * ونكب عن ذكر العواقب جانبا *
(٢) يرثى ولدين لعبد الله بن طاهر ماتا في يوم واحد

يكُنْ على وجهِ الاستعارةِ التحقيقيةِ والاستعارةِ بالكنايةِ

وان كنت تبغى العيش فابغ توسطاً   فعند التناهى يقصر المتطاول
توقى البدور النقص وهى اهلة   ويدركها النقصان وهي كوامل

وتتفرع من حالتى كماله ونقصه فروع لطيفة فمن ذلك قول ابن بابك

واعرت شطر الملك ثوب كماله   والبدر فى شطر المسافة يكمل

قاله فى الاستاذ أبى على وقد استوزره فخر الدولة بعد وفاة الصاحب وأبا العباس الضبي وخلع عليهما وقول أبى بكر الخوارزمى

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا   مقيما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قلّ ضوءه   اغب وان زاد الضياء أقاما

المعنى لطيف وان لم تساعده العبارة على الوجه الذى يجب فان الاغباب ان يتخالل وقتى الحضور وقت يخلو منه وانما يصلح لان يراد أن القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع كل ليلة بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض وليس الامر كذلك لانه على نقصانه يظهر كل ليلة حتى يكون السرار (وبعد) فهذا الضرب من البيان على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ فى الابداع والاحسان والاتساع فى طرق البيان وان يضع الكلام بعيد المرام قريباً من الافهام ولا يغرنك من أمره انك ترى الرجل يشبه الجواد بالبحر والشجاع بالاسد والحسن بالشمس وما ماثل ذلك مما اشتهر أمره وجرى لذلك مجرى الحقيقة وانما هو يدق ويلطف حتى يأتيك بما يخلب القلوب ويرقص الهام وحتى يخرج مثاله عن طوق البشر جميعاً

والتجْرِيد فدَخَلَ نحوُ زيدٌ أسَدٌ وقوله تعالى صمٌّ بكمٌ عميٌ والنظـرُ ههنـا في أركانه وهيَ طرَفاهُ ووجهُهُ وأداتهُ وفي الغرَضِ منهُ وفي أقسامه : طرَفاهُ إمَّا حِسيَّانِ كالخَدّ والورد والصوتِ الضعيفِ والهَمْسِ والنَّـكهةِ والعنبَرِ والرّيقِ والخمرِ والجلْد الناعمِ والحريرِ أو عقليَانِ كالعلم والحياة أو مُخْتلفانِ كالمنيَّةِ والسبُعِ والعِطرِ وخُلُقٍ كريمٍ والمرادُ بالحسّيّ المُدْرَكُ

(التجريد)سيمربك فى البديع(فدخل فيه نحوقولنا زيد اسد) وسيأتى آخرالتشبيه تحقيق ذلك انشاء الله(كالخدوالورد)والقامةوالرمح والقد والغصن والفيل والجبل يعنى حيث يشبه الاول بالثـانى فى جميع ذلك وقس على هـذا ما يأتى (والهمس) وهو الصَّوت الذي أخفى حتى كأنه لايخرج عن فضاء الفم (والنكهة) هي ريح الفم (كالمنية والسبع) فالمشبه وهو المنية عقلى والمشبه به وهو السبع حسي (والعطر وخلق كريم) فالمشبه وهو العطر محسوس بالشم والمشبه به وهو الخلق عقلى قال الرازي اعلم أن تشبيه المحسوس بالمعقول غير جائز لان العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقدحساً فقد فقد علماً واذا كان المحسوس أصلا للمعقول فتشبيهه به يكون جعـلا للفرع أصلا وللاصل فرعاً وهو غـير جائز ولذلك لو حاول محـاول المبالغة فى وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال الشمس كالحجة فى الظهور والمسك كخلق فلان فى الطيب كان سخيفاً من القول أما ما جاء

هو أو مادّتُه بإحدى الحواسِّ الخمسِ الظاهرةِ فدخَلَ فيه الخياليُّ كما في قوله

وكأنَّ محمرَّ الشقيـ ـقِ إذا تصوَّبَ أو تصعَّدْ

أعلامُ ياقوتٍ نُشِرْ نَ على رماحٍ من زبرجَدْ

وبالعقليِّ ما عدا ذلك فدخل فيهِ الوهميُّ أي ما هو غيرُ مُدْرَكٍ بها ولو أُدْرِكَ لكانَ مُدْرَكاً بها كما في قوله * ومسنونةٌ

في الكلام البليغ من هذا الجنس فوجهه ان يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالاصل لذلك المحسوس على المبالغة وذلك مثل قول البحتري

وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

كما سيأتي قريباً (الخيالي) هو المركب من أمور كل واحد موجود يدرك بالحس لكن هيئته التركيبية لم توجد • والتشبيه متى كان كذلك كان مصبوغاً بالحسن ومكسيا روع الاعجاب (وكأن الخ) محمر الشقيق يراد به شقائق النعمان وهو ورد أحمر في وسطه سواد وانما أضيف الى النعمان لانه حمى أرضاً كثر فيها ذلك وتصوب مال الى أسفل وتصعد مال الى أعلى • ومثل ذلك قوله في النيلوفر (١) كلنا باسط اليد * نحو نيلوفر ندى * كدبابيس عسجد * قضبها من زبرجد * وقول ابي الغنائم الحمصي خود كأن بنانها * في خضرة النقش المزرد سمك من البلور في * شبك تكون من زبرجد (كما في قوله ومسنونة) وعليه قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين • وصدر البيت

---

(١) هو البشنين نبت معروف

زُرْقٌ كأنياب أغوَالِ * وما يُدرَكُ بالوُجدانِ كاللَّذَّةِ والالم: ووجهُهُ ما يشتركانِ فيهِ تحقيقاً أو تخييلاً والمرادُ بالتخييلِ نحوُ ما في قولهِ

وكأنَّ النجومَ بينَ دُجاها سُنَنٌ لاحَ بينهُنَّ ابتداعُ

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * وهو لامرىء القيس من القصيدة التى مطلعها الاعم صباحا أيها الطلل البالى والمشرفى نسبة الى مشارف اليمن وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المشرفية والمسنون المحدد المصقول (نحو ما فى قوله وكأن) نحوه كل مالا يمكن وجوده فى المشبه به الا على تأويل ومن هذا قول أبي طالب الرقى

ولقد ذكرتك والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد فيقال اسود النهار فى عينى وأظلمت الدنيا علىّ جعل يوم النوى كأنه أعرف وأشهر بالسواد من الظلام فشبه به ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفاً واتماماً للصفة وذلك ان الغزِل يدعى القسوة على من لم يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده أصلا فى الكدرة والسواد فقاس عليه ومنه قول ابن بابك

وأرض كاخلاق الكريم قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

لما كانت الاخلاق توصف بالسعة والضيق وكثر ذلك توهمه حقيقة فقابل بين سعة الارض التى هى سعة حقيقية واخلاق الكريم وكذا قول التنوخى فى قطعة وهى قوله

فانَّ وجهَ الشبهِ فيهِ هوَ الهيئةُ الحاصلةُ من حصولِ أشياءَ مُشرقةٍ بيضٍ في جوانبِ شيءٍ مظلمٍ أسودَ فهيَ غيرُ موجودةٍ في المشبَّهِ بهِ الاَّ على طريقِ التخييلِ وذلك انهُ لمَّا كانت البدعةُ وكلُّ ما هو جهلٌ تجعلُ صاحبَها كَمَنْ يَمشي في الظُّلمةِ

اما ترى البرد قد وافت عساكره | وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
فالارض تحت ضريب الثلج تحسبها | قد ألبست حبكا أو غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كأنهما | فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا | برداً فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

المقصود فانهض بنار الى فحم فانه لما كان يقال فى الحق انه منير واضح لائح فاستعار له أوصاف الاجسام المنيرة وفى الظلم خلاف ذلك تخيلهما شيئين لهما انارة واظلام وابيضاد واسوداد فشبه النار والفحم بهما ومما هو حسن من هذا الباب ما كتب به الصاحب الى القاضي أبى الحسن وقد أهدى له الصاحب عطر الفطر

يا أيها القاضي الذي نفسي له | مع قرب عهد لقائه مشتاقَهْ
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه | فكأنما أهدى له أخلاقَه

فالعادة أن يشبه الثناء بالعطر وقد عكس كما ترى وذلك على ادعاء ان ثناءه أحق بصفة العطر وطيبه من العطر وانه قد صار اصلا حتى اذا قيس نوع من العطر عليه فقد بولغ فى صفته بالطيب وجعل له فى الشرف والفضل على جنسه او فر نصيب ومما حقه ان يعد فى هذا الباب قول القائل

كان انتضاء البدر من تحت غيمه | نجاء من الباساء بعد وقوع

فلاَ يهتَدِي للطَّرِيقِ ولا يأمَنُ أن ينالَ مكروهاً شُبِّهتْ بهـا
ولَزِمَ بطريقِ العكس أن تُشبَّهَ السُّنَّةُ وكلُّ ما هو عِلمٌ بالنورِ
وشاعَ ذلك حتى تُخُيِّلَ ان الثانيَ ممَّا لهُ بياضٌ واشراقٌ نحوُ
أتيتُــكُمْ بالحنيفيةِ البيضاء والاولُ على خلافِ ذلكَ كقولك
شاهدتُ سوادَ الـكُفْرِ من جبينِ فلانٍ فصارَ تشبيهُ النجوم
بينَ الدُّجى بالسُّنَنِ بينَ الابتداعِ كتشبيهِها ببياضِ الشيْبِ فى

وذلك ان العادة ان يشبه المتخاص من البأساء بالبدر الذي يحسر عنه الغمام والشبه بين البأساء والغمام والظلماء من طريق العقل لا من طريق الحس ذكر ذلك الامام عبد القاهر هذا واليك ما قبل البيت

رب ليل قطعته بصدود   وفراق ما كان فيه وداع
موحش كالثقيل تقذى به العـ * ـين وتأبي حديثه الاسماع

وبعده

مشرقات كأنهن حجاج   تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمة وشى   وكان الجوزاء فيها شراع

والابيات للقاضى أبى القاسم التنوخى شيخٌ له القِدْح المعلى فى الادب ومن جيد شعره (وهو مما وجد فيه التشبيه الحسن ولذلك أثبتناه)

وليلة مشتاق كان نجومها   قد اغتصبت عين الكرى وهى نوم
كأن عيون الساهرين لطولها   اذا شخصت للانجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك   يلوح ويخـفي أسود يتبسم

سوادِ الشبَّابِ أو بالانوارِ مؤتلقةً بينَ النباتِ الشديدِ الخُضْرَةِ

فعلِمَ فسادُ جعلهِ في قول القائلِ النحوُ في الكلامِ كالملحِ في

الطعامِ كوْنَ القليلِ مُصْلِحاً والكثيرِ مفْسِدًا لانَّ النحْوَ لا

(أو بالانوار) جمع نور بفتح النون وهو الزهر (مؤتلقة) لامعة

(وبعد) فقد علمت من كلام المصنف أن التأويل فى البيت هو تخييل

ما ليس بمتلون متلوناً . وان تأولت في البيت انه أراد معنى قولهم أن

سواد الظلام يزيد النجوم حسناً وبهاء كان له مذهب وذلك أنه لما كان

وقوف العاقل على بطلان الباطل وعوار البدعة يزيد الحق نبلا فى

نفسه وحسناً فى مرآة عقله جعل هذا الاصل من المعقول مثالا للمشاهد

المبصر هناك الا أنه على ذلك لا يخرج من أن يكون خارجاً عن الظاهر

أن يمثل المعقول فى ذلك بالمحسوس كما فعل البحترى فى قوله

وقد زادها افراط حسن جوارُها خلائق اصفار من المجد خُيَّبِ(١)

وحسن درارىّ النجوم بأن تُرى طوالع فى دارج من الليل غيهب

(فعلم الخ) قد علمت أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان وحينئذ

يكون معنى قولهم النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ان الكلام لا يستقيم

ولا ينتفع به الا بمراعاة أحكام النحو فيه من الاعراب والترتيب الخاص

كما لا يجدى الطعام ولا تحصل المنفعة المطلوبة منه ما لم يصلح بالملح أما

ما تخيله بعضهم من أن معناه أن القليل من النحو مغن والكثير مفسد

كما يفسد الملح الطعام اذا كثر فيه فتحريفٌ وقول هراء وذلك أنه

---

(١) الاصفار جمع صفر بمعنى الخالى

يحتملُ القلّةَ والكثرةَ بخلافِ الملحِ وهو إمّاً غيرُ خارجٍ

لا تتصور الزيادة والنقصان فى جريان أحكام النحو فى الكلام فقولنا كان زيد ذاهباً لابد فيه من رفع الاسم ونصب الخبر وهذا ان وجد فقد حصل النحو وتمتنع الزيادة عليه وان لم يحصل كان الكلام فاسداً لا يفيد السامع فائدة بل يضره لوقوعه فى عمياء وهجوم الوحشة عليه فقول أبي بكر الخوارزمى والبغض عندى كثرة الاعراب كلام لا نحصل منه على طائل لما علمت• ولعلهم يريدون بكثرة النحو استعمال الوجوه الغريبة والاقوال الضعيفة ونحو ذلك مما يفسد الكلام هذا ومما هو فاسد لعدم اشتراك الطرفين فى وجه الشبه قول ابن شرف القيرواني

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم

حكى أنه لما أنشده ابن رشيق وقال له هل سمعت هذا المعنى قال ابن رشيق سمعتُه وأخذتَه أنت وأفسدتَه أما الاخذ فمن النابغة الذبياني حيث يقول

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمّة (١) وهو طائع
لكلفتنى ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وأما الافساد فلان سبابة المتندم أول شيء يتألم منه فلا يكون المعاقب غير الجاني وهذا بخلاف بيت النابغة فان المكوى من الابل يألم وما به عر ألبتة وصاحب العر لا يألم جمله (وهو اما غير خارج الخ) هذا تقسيم آخر لوجه الشبه وأصله للسكاكي حذاه المصنف فيه حذو القذة

(١) الامة الدين

عن حقيقتهما كما فى تشبيهِ ثوبٍ بآخرَ فى نوعِهما أو جنسهما أو فصلهما أو خارجٌ صفةٌ إمَّا حقيقيةٌ حِسيّةٌ كالكيفيَّاتِ الجسميةِ ممَّا يُدْرَكُ بالبصرِ منَ الالوانِ والاشكالِ والمقاديرِ والحركاتِ وما يتصلُ بها أو بالسمع منَ الاصواتِ الضعيفةِ

بالقذة ويعجبني قول الشيخ التفتازاني في شرحه المطول ان أمثال هذه التقسيمات التي لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوتة قليلة الجدوى وكأن هذا ابتهاج من السكاكي باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين فلله در الامام عبدالقاهر واحاطته بأسرار كلام العرب وخواص تراكيب البلغاء فانه لم يزد فى هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها هذا والبلغاء قاطبة برآء من التشبيه فى مفهوم داخل فى الحقيقة وليس وجه الشبه عندهم الا المعاني القائمة بالطرفين وليس الجنس والنوع عندهم الا الأخص والأعم فأمثال هذا التقسيم من تفلسف السكاكى والبهتان العظيم (حقيقية) أي موجودة في الطرفين لا بالقياس الى شئ (الالوان) كتشبيه الخد بالورد والشعر بخافية الغراب والوجه بالنهار (والاشكال) نحو أن يشبه الشئ اذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر (والمقادير) كتشبيه العظيم الجثة بالجبل والفيل وتشبيه الناقة بالقصر (والحركات) كتشبيه الذاهب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذه الاريحية فيهتز بالغصن تحت البارح (وما يتصل بها) كالحسن والقبح والضحك والبكاء وغير ذلك (الاصوات) كتشبيه صوت الجهوري بالرعد وتشبيه أطيط

والقويةِ والتي بيْنَ بيْنَ أو بالذوقِ منَ الطعومِ أو بالشمّ منَ الروائحِ أو باللمسِ منَ الحرارة والبرودةِ واليُبوسةِ والخُشونةَ والملاسةِ واللينِ والصلَابةِ والخفّةِ والثّقَلِ وما يتصلُ بهما أوْ عقليةٌ كالكيفيَّاتِ النفسانيَّةِ منَ الذكاءِ والعِلْمِ والغضَبِ والحلْمِ وسائر الغرائزِ وإمَّا إضافيةٌ كازالَةِ الحِجاب فى تشبيهِ

الرحل بأصوات الفراريج وتشبيه صريف أنياب البعير بصياح البوازى كما قال

كأن على أنيابها كل سحرة صياح البوازي من صريف اللوائك

(الطعوم) كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر (الروائح) كتشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور (من الحرارة الخ) كتشبيه القيظ بفيح جهنم واللين الناعم بالخز والخشن بالمِسْح والخفيف بالريش والبارد بالثلج وهكذا (وما يتصل بها) كالبلَّة والجفاف واللزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك (أو عقلية) هو معطوف على حسية (النفسانية) أى المختصة بذوات الانفس الناطقة (من الذكاء) كتشبيه الذكي بإياس (والعلم) كتشبيه العالم بالخليل (والغضب) كتشبيه الغضوب بالمغربي (والحلم) كتشبيه الحليم بمعاوية أو الاحنف أو معن بن زائدة (وسائر الغرائز) كالكرم تقول فلان كأنه كعب بن مامة أو هرم بن سنان او حاتم طيئ والشجاعة نحو فلان كأنه عنترة والبخل تقول هذا كأنه صبي او كلب من كلاب بنى زياد والجبن نحو هذا كأنه صافر (اضافية) أى نسبية يتوقف تعقلها على تعقل الغير (كازالة الحجاب الخ) فان الازالة أمر اضافيّ يتعقل

الحُجَّةِ بالشمسِ وأيضاً إمَّا واحِدٌ أو بمنزلةِ الواحدِ لكونهِ مُركّباً من متعدّدٍ وكلٌّ منهما حِسّيٌّ أو عقليٌّ وإمَّا متعدّدٌ كذلكَ أو مُختلِفٌ والحِسّيُّ طرَفاهُ حسّيّانِ لا غيرُ لامتناعِ أن يُدرَكَ بالحِسِّ من غيرِ الحسّيِّ شيءٌ والعقليُّ أعمُّ لجوازِ أن يُدرَكَ بالعقلِ منَ الحسّيِّ شيءٌ ولذلكَ يُقالُ التشبيهُ بالوجهِ

فيما بين المزيل والمزال (وأيضاً) هذا تقسيم آخر يقول وجه الشبه اما واحد أو غير واحد والواحد اما حسيّ أو عقلي وغير الواحد اما بمنزلة الواحد لكونه مركباً بان يكون هيئة منتزعة انتزعها العقل من عدة أمور • أو متعدد غير مركب بان ينظر الى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين في كل منها ليكون كل منها وجه شبه • والذي بمنزلة الواحد اما حسي أو عقلي والمتعدد اما حسي أو عقلي أو مختلف (لا غير) فلا يجوز ان يكونا معاً عقليين أو احدهما (لامتناع الخ) فان وجه التشبيه أمر مأخوذ من الطرفين موجود فيهما وكل مايؤخذ من العقلي ويوجد فيه يجب ان يدرك بالعقل لا بالحس لان المدرك بالحس لا يكون الا جسماً أو قائماً بالجسم (أعمّ) يعني يجوز ان يكون طرفاه عقليين وان يكونا حسيين وان يكون أحدهما حسياً والآخر عقلياً (لجواز الخ) بل كل محسوس فله أوصاف بعضها حسي وبعضها عقلي (أعم) فكل طرفين يتحقق فيهما التشبيه بوجه حسي يتحقق فيهما بوجه عقلي ولا عكس

العقليّ أعمُّ فانْ قيلَ هوَ مُشتَرَكٌ فيهِ فهو كليٌّ والحِسّيُّ ليسَ بكلِّيٍّ قلنا المرادُ انَّ أفرادَهُ مدرَكةٌ بالحسّ فالواحِدُ الحسّيُّ

(فان قيل) هذا اشارة الى اشكال اورده السكاكي على كون وجه الشبه قد يكون حسيا وهاك عبارته • وههنا نكتة لا بد من التنبه لها وهى ان التحقيق فى وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت انه يجب ان يكون موجوداً فى الطرفين وكل موجود فله تعين فوجه الشبه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت وهو استلزامه اذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً وهكذا فى اخواتها بل يكون مثله مع المشبه به لكن المثلين لا يكونان شيأ واحدا ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد فيلزم ان يكون أمرا كليا مأخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين لكن ما هذا شأنه فهو عقلي ويمتنع ان يقال فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين فان المثلين متشابهان فمعهما وجه تشبيه فان كان عقليا كان المرجع فى وجه الشبه العقل فى المآل وان كان حسيا استلزم ان يكون مع المثلين مثلان آخران وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل (قال) المصنف انا نعترف بصحة هذا الاشكال غير ان المراد بكون وجه الشبه حسيا ان تكون افراده مدركة بالحس كالسواد فان افراده مدركة بالبصر وان كان هو فى نفسه

كالحُمرَةِ والخَفاء وطيبِ الرائحةِ ولذَّةِ الطعمِ ولينِ اللَّمْسِ فيما مرَّ والعقليُّ كالعَرَاء عن الفائدةِ والجُرْأَةِ والهدايةِ واستطابَةِ النَّفْسِ في تشبيهِ وُجودِ الشيءِ العديمِ النفعِ بعدمه والرجلِ الشجاعِ بالاسدِ والعلمِ بالنورِ والعِطرِ بخُلُقٍ كريمٍ والمركَّبُ الحسيُّ فيما طرفاهُ مفردان كما في قولهِ

وقد لاحَ في الصُّبحِ الثُّرَيَّا كما تَرَى

كعُنْقُودِ مُلَّاحِيَّةٍ حينَ نوَّرَا

من الهيئةِ الحاصلةِ من تقارُنِ الصُّوَرِ البيضِ المستديرةِ الصِّغارِ المقاديرِ في المَرْأَى على الكيفيةِ المخصوصةِ الى المقدار

غير مدرك به ولا بغيره من الحواس يقول وهذا ضرب من التسامح (والخفاء) يعني خفاء الصوت (فيما مر) يعني في تشبيه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخمر والجلد الناعم بالحرير (وقد لاح) هو لابي قيس بن الاسلت وقيل لاحيحة بن الجُلَاح والاول شاعر جاهلي مجيد أسلم ابنه عقبة بن أبي قيس (ملاحية) هي عنب أبيض في حبه طول وهو في البيت بتشديد اللام والتخفيف فيه أكثر قال ابن قتيبة لا أعلم هل التشديد في البيت ضرورة أو لغة فيه (نوّرا)

المخصوص وفيما طرفاهُ مركَّبانِ كما في قولِ بشَّار

كأنَّ مُثارَ النقعِ فوقَ رُؤُسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

من الهيئةِ الحاصلةِ من هوِيِّ اجرامٍ مُشرِقةٍ مُستطيلةٍ مُتناسبةِ المقدارِ متفرقةٍ في جوانبِ شيءٍ مظلمٍ وفيما طرَفاهُ

تفتح نوره (كما فى قول بشار) مثله مافي قول أبى طالب الرقي

وكأن اجرام النجوم لوامعا   درر نثرن على بساط أزرق

من الهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئة مستديرة صغار المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة .. وبيت بشار من قصيدة يمدح بها ابن هبيرة يقول فيها

اذا كنت فى كل الامور معاتبا   صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فانه   مقارف ذنب مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى   ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

(مثار النقع) النقع الغبار ومثار من أثار الغبار هيجه (تهاوى كواكبه) أى يتساقط بعضها اثر بعض والاصل تتهاوى حذفت احدى التاءين (من الهيئة) فوجه الشبه مركب كما ترى وكذا طرفاه وذلك لان الشاعر كما قال الشيخ الامام لم يقصد تشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب بل عمد الى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من الاغماد وهى تعلو وترسب وتجيء وتذهب ولم يقتصر

مُخْتلفانِ كما مرَّ في تشبيهِ الشقيقِ ومن بديعِ المرَكَّبِ الحسيِّ ما يجيءُ في الهيآتِ التي تقعُ عليها الحركةُ ويكونُ على وجهينِ أحدُهُما أن يقْرَنَ بالحركةِ غيرُها منْ أوصافِ

على ان يريك لمعانها فى اثناء العجاجة كما فعل عمرو بن كلثوم بقوله

تبنى سنابكها من فوق ارؤسهم   سقفا كواكبه البيض المباتير

وهـذه الزيادة • وهى افادة هيئة السيوف فى حركاتهـا • زادت التشبيه تفصيلا لانها لاتقوم فى النفس الا بالنظر الى أكثر من جهة واحدة وذلك أن تعلم ان لها فى حال احتدام الحرب واختلاف الايدي بها فى الضرب اضطرابا شديدا وحركات بسرعة ثم ان لتلك الحركات جهات مختلفة وأحوالا تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفـاع والانخفاض وان السيوف باختلاف هـذه الامور تتلاقى وتتداخل ويصدم بعضها بعضاً ثم ان أشكال السـيوف مستطيلة فنبه على هـذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله تهاوي فان الكواكب اذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها وكان لها فى تهاويها تدافع وتداخل ثم انهـا بالتهاوى تستطيل أشكالها فأما اذا لم تزل عن أماكنها فهى على صورة الاستدارة (فى تشبيه الشقيق) وتشـبيه النيلوفر الذى ذكرناه ثمت (ومن بديع الخ) أصل هذا الكلام للامام عبـد القاهر رحمه الله قال اعلم ان مما يزداد به التشبيه دقة وسحراً ان يجيء فى الهيئات التى تقع عليها الحركات والهيئة المقصودة فى التشبيه على وجهين احدهما ان تقترن بغيرها من الاوصاف كالشكل واللون ونحوهما • والثاني ان

الجسمِ كالشكلِ واللونِ كما في قولهِ

* والشمسُ كالمرْآةِ في كفّ الأَشَلْ * منَ الهيئةِ الحاصلةِ

منَ الاستدارةِ معَ الاشراقِ والحركةِ السريعةِ المتَّصلةِ معَ

تموُّجِ الاشراقِ حتى يُرَى الشُّعاعُ كأَنهُ يهُمُّ بانْ ينْبَسِطَ

تجرد هيئة الحركة حتى لايراد غيرها فمن الاول قول ابن المعتز

والشمس كالمرآة في كف الاشل

اراد ان يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التى تراها للشمس اذا انعمت التأمل ثم مايحصل فى نورها من أجل تلك الحركة وذلك ان للشمس حركة متصلة دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه الا بان تكون المرآة فى يد الاشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون منها سرعة وبداوم الحركة يتموج نور المرآة وتلك حال الشمس فانك ترى شعاعها كانه يهم بان ينبسط حتى يفيض من جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى تراه الى انقباض كانه يجمعه من جوانب الدائرة الى الوسط ومثل هذا التشبيه وان صور فى غير المرآة قول المهلبي الوزير

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب

كانها بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب

وذلك ان الذهب اذا ذاب تشكل بشكل البوتقة فى الاستدارة وأخذ يتحرك فيها بجملة تلك الحركة العجيبة كانه يهم بان ينبسط حتى

حتىَّ يفيضَ من جوانبِ الدائرةِ ثمَّ يبـدُو لهُ فيرْجعُ الى الانقباضِ والثاني أن تجُرَّدَ الحركةُ عنْ غيرها فهُناكَ أيضاً لابُدّ مِن اختلاَطِ حركاتٍ الى جهاتٍ مختلفةٍ فحركةُ الرّحى

يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين اجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه مما يتخلله الهواء ومن عجيب ذلك قول الصنوبرى

كأن فى غدرانها حواجباً ظلت تُمَط (١)

أراد ما يبدو فى صفحة الماء من اشكال كانصاف دوائر صغار ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب اذا امتدت لان للحاجب كما لا يخفى تقويساً وَمَدُّه ينقص من تقويسه ومن لطيف ذلك أيضاً قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الارض

بكرت تعير الارض ثوب شباب (٢) رحيبةٌ محمودة الاسكاب
نثرت أوائلها حَياً (٣) فكأنه نَقْطٌ على عجل ببطن كتاب

وأما الوجه الثانى وهو ان تجرد هيئة الحركة من كل وصف يكون

(١) يصف أرضاً بالطيب فيقول فيها غدران تهب عليها الريح تبدو على صفحات غدرانها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد (٢) يريد سحابة (٣) الحيا المطر

والسَّهْمِ لا تَرْكِيبَ فيها بخِلَافِ حَرَكَةِ المصحفِ في قولهِ
وَكأَنَّ البرقَ مُصْحَفُ قَارٍ فانطِباقاً مرةً وانفتاحا

في الجسم فهناك أيضاً لا بد من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كان يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ونحو ذلك وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم اليها أشد كان التركيب في هيئة المتحرك اكثر فحركة الرحى والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها لان الجهة واحدة ولكن في حركة المصحف في قول ابن المعتز

وكان البرق مصحف قار(١) فانطباقا مرة وانفتاحا

تركيب لانه يتحرك في الحالتين الى جهتين في كل حالة الى جهة ومن لطيف ذلك قول الاعشي يصف السفينة في البحر وتقاذف الامواج بها

تَقِصُ السفين بجانبيه كما ينزو الرُّبَاحُ خلاله كَرَعُ

الرباح الفصيل والكرع ماء السماء شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزوه وذلك ان الفصيل اذا نزا ولا سيما في الماء وحين يعتريه ما يعتري المهر ونحوه من الحيوانات التي هي في أول النشء كانت له حركات متفاوتة تصير لها اعضاؤه في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل احدى الحركتين في الاخرى فلا يتبينه الطرف مرتفعاً حتى يراه

(١) بحذف الهمزة والاصل قارىء

وقد يَقَعُ التركيبُ في هيْئَةِ السكونِ كما في قولهِ في صفةِ الكلبِ* يُقْعِي جلوسَ البَدَوِيِّ المُصْطَلِي *من الهيئةِ الحاصلةِ

منحطاً متسفلا ويُهوى مرة نحو الرأس ومرة نحو الذنب وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين يتدافعها الموج (قال) وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون فمن ذلك قول ابن المعتز يصف سيلا

فلما طغى ماؤه في البـلا   د وغص به كلّ واد صد
نرى الثور في متنه طافياً   كضجعة ذي التاج في المرقد

وقول المتنبي في صفة الكلب

يقعي جلوس البدويّ المصطلي   باربع مجدولة لم تجدل(١)

لم ينـل التشبيه حظاً من الحسن الا بأن فيـه تفصيلا من حيث كان بكل عضو من الكلب في اقعائه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم اشكال مختلفة تؤلف فيجيء منها صورة خاصة ومن لطيف هذا الجنس قوله في صفة المصلوب

كانه عاشق قد مد صفحته   يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لُوثَتُه   مواصل لتمطيه من الكسل

والتفصيل فيـه انه شبهه بالمتمطي اذا واصل تمطيه مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكسل فيه فنظر الى هـذه الجهات الثلاث ولو اقتصر على انه كالمتمطي كان قريب التناول لان هذا القدر يقع في نفس الرائي

(١) الاقعاء الجلوس والاصطلاء الاستدفاء بالنار

مِن موقعِ كلِّ عُضْوٍ في إِقعائِه والعقليُّ كَحِرْمَانِ الانتفاعِ بأبلَغِ نافعٍ مَعَ تَحَمُّلِ التعَبِ في استصحابِهِ في قوله تعالى مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التورَاةَ ثم لم يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحمِلُ

للمصلوب ابتداء لانه من حد الجملة وشبيه بهذا فى الاستقصاء قول ابن الرومى

كأن له فى الجو حبلا يبوعه اذا ما انقضى حبل اتيح له حبل
يعانق انفاس الرياح مودعا وداع رحيل لا يحط له رحل

فاشتراطه ان يكون له بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر يخرج من بوع الاول اليه كقوله • مواصل لتمطيه من الكسل • فى استيفاء الشبه والتنبيه على استدامته لانه اذا كان لايزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال (كحرمان (١) الانتفاع الخ) فانه منتزع من امور مجموعة قرن بعضها الى بعض وذلك انه روعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وان يكون المحمول شيئا

---

(١) وكالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قدر فى قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجرى والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض

أَسْفَارًا • واعلم أَنَّهُ قد يُنْتَزَعُ من مُتَعَدِّدٍ فَيَقَعُ الخطأُ لوجوبِ انتزاعِهِ من أكثَرَ كما اذا انْتُزِعَ من الشَّطْرِ الاوّلِ من قوله

مخصوصاً وهي الاسفار التى هى أوعية العلوم وان الحمار جاهل بما فيها وكذا فى جانب المشبه (واعلم) قال الشيخ الامام قد يجىء بعد اداة التشبيه امور يظن ان المقصود أمر منتزع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها كقوله

كما أبرقت قوما عطاشاً غمامة　　فلما رأوها أقشعت وتجلت

فانه ربما يظن ان الشطر الاول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثاني على ان المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة اليه ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه ان يثبت ابتداء مطمعاً متصلا بانتهاء مؤيس وذلك يتوقف على البيت كله فان قيل هذا يقتضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيها واحداً لان الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بانه يجمع بين الصفتين وان احداهما لاتدوم قلنا الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمع متصل بانتهاء مؤيس كما مر وكون الشئ ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما وليس فى قولنا يصفو ويكدر أكثر من الجمع بين الصفتين ونظير البيت قولنا يصفو ثم يكدر لافادة الترتيب المقتضي ربط أحد الوصفين بالآخر وقد ظهر من هذا ان التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ماذكر بأمرين أحدهما أنه لايجب فيها ترتيب

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رأوها أقشعت وتجلتِ

لوجوب انتزاعه من الجميع فانّ المرادَ التشبيه باتصال ابتداءٍ مُطمِعٍ بانتهاء مؤيسٍ والمتعددُ الحسيُّ كاللونِ والطعم والرائحةِ في تشبيهِ فاكهةٍ بأخرى والعقليُّ كحدّةِ النظر وكمال الحذرِ وإخفاءِ السِّفادِ فى تشبيه طائرٍ بالغراب والمختلف كحسن الطلعةِ ونباهةِ الشانِ في تشبيهِ انسانٍ بالشمس واعلمْ أنهُ قد يُنتزعُ الشَّبَهُ منْ نفْس التضادّ لاشتراكِ الضِّدَّين فيهِ ثم يُنزَّلُ منزلةَ التناسُبِ بواسطةِ تمليحٍ أوْ تهكُّمٍ فيقالُ للْجبانِ

والثانى انه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى افادة ما كان يفيده قبل الحذف فاذا قلنا زيد كالأسد بأسا والبحر جودا والسيف مضاء لايجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى افادة معناه أفاد ذلك الشيخ الامام رحمه الله (ينتزع الشبه من نفس التضاد) أى يجعل التضاد وسيلة لجعل الشيء وجه شبه (فيه) أى فى التضاد (تمليح) أى اتيان بشي مليح يستظرف عند السامع (هذا) وهناك مذهب آخر للتضاد ذكره بعضهم قال قد يشبه أحد الضدين بالآخر اذا كان أحدهما أظهر كما يقال العسل فى حلاوته

مَا أشْبَهَهُ بالاسدِ وللبخيلِ هو حاتمٌ (وَأَدَاتُهُ) الكافُ وكأنَّ ومِثلُ وَما في معناها والاصلُ في نحو الكافِ أنْ يَليَهُ المشبَّه به وقد يَليهِ غيرُه نحوُ واضرِبْ لهمْ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ وقد يذْكَرُ فعلٌ يُنْبِئُ عَنْهُ كما في عَلِمتُ زيدا أسداً إن قَرُبَ وَحَسِبتُ إنْ بَعُدَ ٭ والغرضُ منهُ فى الاغلبِ أنْ

كالصبر في مرارته وأنشد لابن المهدى يعتذر للمأمون

لئن جحدتك معروفا مننت به   انى لفي اللؤم أحصي منك في الكرم

(وما في معناه) كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما (وقد يليه غيره) وذلك حيث يكون المشبه به مركبا كقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذوره الرياح اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره بل المراد تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ومما هو بين في هذا قول لبيد

وما الناس الا كالديار وأهلها   بها يوم حلوها وتغدو بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خالية (كما فى علمت الخ) قال بعضهم فى كون هذا الفعل منبئا عن التشبيه

يَعُودَ الى المشبَّهِ وهو بيانُ إمكانِهِ كما فى قوله

فان تَفُقِ الانامَ وأنتَ منهمْ فانَّ المِسْكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ

وحالِهِ كما في تشبيهِ ثوبٍ بآخَرَ في السوادِ أو مقدارِها كما فى تشبيهِهِ بالغُرَابِ في شدَّتِهِ أو تقريرُها كما في تشبيهِ مَنْ

نظر للقطع بانه لا دلالة للعلم والحسبان على ذلك وانما يدل عليه عاممنا بان اسدا لا يمكن حمله على زيد تحقيقاً وانه انما يكون على تقدير اداة التشبيه سواء ذكر الفعل أولم يذكر ولو قيل انه ينبئ عن حال التشبيه من القرب والبعد لكان أصوب (بيانامكانه) وذلك في كل أمر غريب يمكن ان يخالف فيه ويدعى امتناعه كما فى قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة فان تفق الأنام البيت اراد انه فاق الانام فى الاوصاف الفاضلة الى حد بطل معه ان يكون واحداً منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الانسان وهذا أعني ان يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل الى ان يصير كانه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعيه الى اثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيء الى اثبات وجوده فى الممدوح فقال فان المسك بعض دم الغزال أى ولا يعد فى الدماء لما فيه من الاوصاف الشريفة التي لايوجد شيء منها فى الدم وخلوه من الاوصاف التي لها كان الدم دما فابان ان لما ادعاه أصلا فى الوجود على الجملة فان قلت اين التشبيه فى البيت قلنا يدل البيت عليه ضمنا وان لم يدل عليه تصريحاً (كما فى تشبيه ثوب بآخر فى السواد) اذا علم السامع لون المشبه به دون المشبه (أو تقريرها) هو معطوف على بيان اى تقرير

لايحصلُ مِنْ سعيهِ على طائلٍ بمَنْ يَرْقُمُ على الماءِ وهذهِ الاربعةُ تقتضي أنْ يكونَ وجهُ الشبهِ في المشبَّهِ به أتمَّ وهو به أشهرُ أو تزيينه كما في تشبيه وجهٍ أسودَ بمُقلةِ الظَّبي أو تشويهُه كما في تشبيهِ وجهٍ مجدُورٍ بسلَحةٍ جامدةٍ قد نقرتها

حال المشبه في نفس السامع وتقوية شأنه لديه (تقتضى الخ) ومن هنا ضعف قول البحتري

على(١) باب قِنّسرين والليل لاطخ   جوانبه من ظلمة بمداد

وذاك ان المداد ليس من الاشياء التي لا مزيد عليها في السواد كيف ورب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحرى ولهذا قال ابن الرومى

حبر أبي حفص لعاب الليل   يسيل للاخوان أي سيل

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل فكانه نظر الى قول العامة في الشيء الاسود هو كالنقس(١) ثم تركه للقافية الى المداد (أو تزيينه) وقد أشار ابن الرومى الى التزيين والتشويه في قوله

تقول هذا مجاج النحل تمدحه   وان تعبْ قلت ذا قئ الزنابير

---

(١) على باب متعلق بما في البيت قبله وهو

وليلتنا والراح مجلى تحثها   فنون غناء للزجاجة حاد

اى كان مع حبيبته في ادارة الكؤس واستماع الغناء طول الليل على باب قنسرين (١) النقس المداد الذى يُكتب به

الدِّيكَةُ أو استطرافه كما في تشبيه فحم فيه جمرٌ موقَدٌ ببحرٍ من المسك موجُهُ الذهبُ لإبرازه في صورة الممتنع عادةً وللاستطراف وجهٌ آخرُ وهو ان يكون المشبَّهُ به نادرَ الحضور في الذهن إمّا مطلقاً كمامرّ وإمّا عند حضور المشبهِ كما في قوله

وَلاز وَرْدِيَّةٍ تَزْهو بِزُرْقَتِها بين الرِّياضِ على حُمْرِ اليَواقِيتِ
كأنَّهَا فَوْقَ قاماتٍ ضَعُفْنَ بها أوائلُ النارِ في أطرافِ كِبْريتِ

(كامر) في تشبيه فحم فيه جمر موقد (كما في قوله ولا زوردية) فانت ترى ان صورة اتصال النار باطراف الكبريت لايندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب وانما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج فاذا أحضر مع صحة الشبه استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما ومما يؤيد هذا ما يحكى ان جريراً قال أنشدني عدي * عرف الديار توهماً فاعتادها * فلما بلغ الى قوله * تزجي أغن كأن ابرة روقه * رحمته وقات قد وقع ماعساه يقول وهو اعرابي جاف جاف فلما قال * قلم أصاب من الدواة مدادها * استحالت الرحمة حسداً فهل كانت رحمته في الاولى والحسد في الثانية الا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر مالا يحضر له في أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر باقرب صفة

وقد يَعودُ الى المشبَّهِ به وهو ضربانِ أحدُهما ايهامُ أنَّهُ أتمُّ مِنَ المشبهِ وذلك في التشبيهِ المقلوبِ كقولهِ

وَبَدَا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ ... وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدَحُ

من أبعد موصوف • وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجهاً آخر وهو أنه أراك شبهاً لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه وخرج من موضع ليس بمعدن له كانت صبابة النفوس به اكثر وكان الشغف به أجدر (كقوله وبدا الصباح) فان الشاعر وهو محمد بن وهيب قصد ايهام ان وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء : واعلم ان هذا وان كان فى الظاهر يشبه قولهم لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح وغرته اضوأ أم البدر وقولهم اذا افرطوا نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ونحو ذلك من وجوه المبالغة فان فى الاول خلابة وشيئاً من السحر ليس فى الثانى وهو أنه كأنه يستكثر للصباح ان يشبهه بوجه الخليفة ويوهم انه احتشد له واجتهد فى تشبيه يفخم به أمره فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ويفيدكها من غير ان يظهر ادعاؤه لها لانه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف مخالف وتهكم متهكم والمعانى اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب فكانت كالنعمة لا تدركها المنة وكالغنيمة من حيث لا تحتسب وفى قوله حين

والثانى بيانُ الاهتمام ِ به كتشبيهِ الجائع وجهاً كالبدرِ في الاشراق والاستدارةِ بالرغيفِ ويسمىَّ هذا اظهارَ المطلوب هذا اذا أُرِيدَ الحاقُ الناقصِ حقيقةً أو ادّعاءً بالزائدِ فإنْ أُرِيدَ الجمعُ بَيْنَ شيئَيْنِ في أمرٍ فالاحسنُ تركُ التشبيهِ الى الحُكم بالتشابُهِ احترازا من ترجيح أحدِ المُتساوِيَيْنِ كقولهِ

تَشَابَهَ دَمعِي اذ جَرَى ومُدَامَتِي *

يمتدح فائدة شريفة وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد الا فيمن هو كامل فى الكرم من معرفة حق المادح على ما احتشد له من تزيينه وقصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس بالاصغاء اليه والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده (ويسمى هذا اظهار المطلوب) قال السكاكي ولا يحسن المصير اليه الا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب كما يحكى عن الصاحب رحمه الله ان قاضي سجستان دخل عليه فوجده الصاحب متفننا فاخذ يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسِّجزِى • وأشار للندماء أن ينظموا على اسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف فى البين فقال • اشهى الى النفس من الخبز • فامر الصاحب ان يقدم له مائدة (فان اريد الجمع بين شيئين فى امر) يعنى من غير قصد الى ان أحدهما ناقص فى ذلك والآخر زائد (كقوله تشابه) ومما هو حسن فى هذا المعنى قول الصاحب بن عبّاد

فَمنْ مثلِ مافي الكأسِ عَيْنِيَ تَسكُبُ

فَوَاللهِ ما أدْرِي أَبالخمرِ أسبلَتْ

جُفُونِيَ أمْ مِنْ عَبْرَتِي كنتُ أشْرَبُ

ويجوزُ التشبيهُ أيضاً كتشبيهِ غُرَّةِ الفَرَسِ بالصبحِ وعكسِهِ

رق الزجاج وراقت الخمر   وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

والبيتان لابي اسحاق الصابي (ويجوز التشبيه أيضاً) يعنى عند ارادة الجمع بين شيئين فى امر . قال الشيخ فى اسرار البلاغة جملة القول انه متى لم يقصد ضرب من المبالغة فى اثبات الصفة للشيء ولم يقصد الا ايهام فى الناقص انه كالزائد اقتصر على الجمع بين الشيئين فى مطلق الصورة والشكل واللون او جمع وصفين على وجه يوجد فى الفرع على حدة اوقريب منه فى الاصل فان العكس يستقيم فى التشبيه ومتى اريد شيء من ذلك لم يستقم (كتشبيه غرة الفرس بالصبح وعكسه) مثله تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة او الدينار الخارج من السكة كما قال ابن المعتز

وكأن الشمس المنيرة دينا   ر جلته حدائد الضراب

وعكسه متى قصد الى مستدير يتلألأ ويلمع ثم خصوص فى جنس اللون يوجد في المرآة المجلوة والدينار المتخلص من حمى السكة كما يوجد فى الشمس وان عظم التفاوت بين نور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين فانه ليس شيء من ذلك بمنظور اليه فى التشبيه وعلى هذا ورد تشبيه

متى أُريدَ ظهورُ منيرٍ في مظلمٍ أكثرَ منه وهو باعتبارِ طرَفيه إِمَّا تشبيهُ مُفْرَدٍ بمفردٍ وهما غيرُ مُقَيَّدَيْنِ كتشبيهِ الخدِّ بالوردِ أو مُقَيَّدَانِ كقولهم هو كالراقمِ على الماء

الصبح فى الظلام بعلم ابيض على ديباج اسود في قول ابن المعتز

والليل كالحلة السوداء لاح به   من الصباح طراز غير مرقوم (١)

فانه تشبيه حسن مقبول وان كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديداً (متى أُريد ظهور منير فى مظلم اكثر منه) يعنى ولم يرد المبالغة فى وصف غرة الفرس بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ونحو ذلك اذ لو اريد شيء من هذا لوجب جعل الغرة مشبهاً والصبح مشبهاً به (كتشبيه الخد بالورد) ومن هذا قوله تعالى هنّ لباس لكم وانتم لباس لهنّ قال الزمخشرى لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها   تثنت فكانت عليه لباسا

(كقولهم هو كالراقم على الماء) فان المشبه هو الساعى المقيد بان لا يحصل من سعيه على طائل والمشبه به هو الراقم المقيد بان رقمه على الماء لان وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه وهو موقوف على عتبار هذين القيدين هذا ومما طرفاه مقيدان قولهم هو كمن يجمع سيفين

---

(١) به أي فيه والضمير لليل

أو مختلفانِ كقولهِ والشمسُ كالمرآةِ وعكسهِ وإما تشبيهُ مركَّبٍ

في غمد وقولهم هو كمبتغي الصيد في عريفة الاسد وقولهم هو كالحادي وليس له بعير وقول الشاعر

اني وتزييني بمدحي معشرا كمعلق دراً على خنزير

فان المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشراً فمتعلق التزيين أعني قوله بمدحي داخل في المشبه والمشبه به من يعلق درا بقيد ان يكون تعليقه اياه على خنزير فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته وهو ان كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لان الشيء غير قابل للتزيين فالواو في قوله وتزييني بمعني مع اذلا يمكن ان يقال اني كذا وان تزييني كذا لانه ليس معنا شيئان يكون احدهما خبراً عن ضمير المتكلم والآخر عن تزييني لا يقال تقديره اني كمعلق دراً على خنزير وان تزييني بمدحي معشرا كتعليق در على خنزير لانه لا يتصور ان يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا على خنزير بل لا بد ان يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا (او مختلفان) أي احدهما مقيد والآخر غير مقيد (كقوله والشمس كالمرآة) فان المشبه هو الشمس على الاطلاق والمشبه به هو المرآة بقيد انها في كف الاشل (وعكسه) كتشبيه المرآة في كف الاشل بالشمس (واما تشبيه مركب بمركب) ويجب في هذا ان يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور قال الزمخشري ان العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها عن بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها واعلم ان هذا

بمركبٍ كما في بيت بشَّارٍ وَإِمَّا تشبيهُ مفْرَدٍ بمركَّبٍ كما مر

القسم ضربان احدهما ما لا يصح تشبيه كل جزء من احد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله

غدا والصبح تحت الليل بادٍ　　كطِرْف أشهب ملقى الجلال

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئاً وكقول الآخر

كأنما المريخ والمشترى　　قدامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوة　　قد اسرجت قدامه شمعه

فان المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفاً من القول والثانى ما يصح تشبيه كل جزء من اجزاء احد طرفيه بما يقابله من اجزاء الطرف الآخر غير أن الحالة تتغير ومثاله قوله

وكأن اجرام النجوم لوامعا　　درر نثرن على بساط ازرق

فانه لو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط ازرق كان تشبيهاً صحيحاً لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً وعجبا من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية (كما فى بيت بشار) وهو قوله

كأن مثار النقع فوق رؤسنا　　وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

وقد سبق شرحه ومثله فى ذلك قول البحترى

ترى احجاله يصعدن فيه　　صعود البرق فى الغيم الجهام(١)

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق بل مقصوده

(١) الجهام السحاب لا ماء فيه ويصعدن فيه أي فى الفرس المحجل

في تشبيه الشقيق وإمَّا تشبيهُ مركب بمفردٍ كقوله

يا صاحبيَّ تقصَّيا نظريكما   تريا وجوه الارض كيف تصوَّرُ

تريا نهارًا مشمسًا قد شابهُ   زهرُ الربي فكأنما هو مقمرُ

وأيضاً ان تعدَّد طرفاهُ فإمَّا ملفوفٌ كقوله

كأنَّ قلوبَ الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنَّابُ والحشفُ البالي

الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين بالآخر (كقوله ياصاحبيّ) البيتان لأبي تمام من قصيدة يمدح بها المعتصم • قوله تقصّيا معناه أبلغا أقصي نظريكما بالمبالغة في تحديق النظر وقوله تصوّر أصله تتصوّر حذفت التاء وشابه خالطه والربي جمع ربوة وهي المكان المرتفع وقوله فكأنما هو مقمر معناه أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه الى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر (ملفوف) وهو ما أتى فيه بالمشبهات ثم بالمشبهات بها (كقوله) أي قول امرئ القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور • • فقد شبه الرطب الطرى من قلوب الطير بالعناب واليابس العتيق منها بالحشف البالى اذ ليس لاجتماعهما هيئة مخصوصة يعتد بها ويقصد تشبيهها ولذا قال الشيخ في أسرار البلاغة انه انما يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه

أومفروقٌ كقولهِ

النَّشرُ مِسْكٌ وَالوُجُوه دَنَا   نيرُ وأطرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وانْ تَعَدّدَ طرفهُ الاولُ فتشبيهُ التسوية كقولهِ

صدْغُ الحبيب وحالي   كِلاَهُمَا كالليالي

وانْ تعدّد طرفهُ الثاني فتشبيهُ الجمع كقوله

لا لأن للجمع فائدة فى عين التشبيه (أو مفروق) وهو ان يؤتي بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر كقول المرقش الاكبر

النشر مسك والوجوه دنا   نيروا طرف الاكف عنم

النشر الرائحة والعنم شجر أحمر لين الاغصان يشبه به أكف الجوارى المخضبة • ومنه قول أبي الطيب

بدت قمرا ومالت خُوط بان   وفاحت عنبرا ورنت غزالا

(الاول) اى المشبه (الثاني) اى المشبه به (كقوله) أى قول البحترى من قصيدة أولها

بات نديما لى حتى الصباح   أغيد مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم البيت فقد شبه ثغر اغيده كما ترى بثلاثة أشياء والبرد هو حب الغمام والأقاح جمع أقحوان وهو البابونج نور يتفتح كالورد وأوراقه فى شكلها أشبه شئ بالاسنان في اعتدالها هذا ومن تشبيه الجمع قول الصاحب بن عباد فى وصف أبيات أهديت اليه

أتتنى بالامس أبياته   تعلل روحى بروح الجنان

كأنما يَبْسِمُ عن لُؤْلُؤٍ منضَّدٍ أو بَرَدٍ أوْ أَقاحِ

وباعتبار وجهِهِ إِمَّا تمثيلٌ وهو ماوجهُهُ منتزَعٌ مِنْ متعدِّدٍ كما مرَّ وقيَّدَهُ السكاكيُّ بِكوْنِهِ غيرَ حقيقيٍّ كما في تشبيه مَثَلِ اليهودِ بِمَثَلِ الحِمارِ وإِمَّا غيرُ تمثيلٍ وهو بخلافهِ وأيضاً اما مُجمَلٌ وهو مالم يُذْكَرْ وجهُهُ فمنهُ ظاهرٌ يَفهمُهُ كلُّ أحدٍ نحو زيدٌ أسدٌ

كبرد الشباب وبرد الشراب وظل الامان ونيل الامانى
وعهد الصبا ونسيم الصبا وصفو الدنان ورجع القيان

ومنه قول امرئ القيس

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها اذا طرب الطائر المستحر

الا ان فيه شوبا من القصد الى هيئة الاجتماع (كما مر) من نحو تشبيه المرآة في كف الأشل والتشبيه فى بيت بشار

كان مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(وقيده السكاكي بكونه غير حقيقى) واليك عبارته • أعلم ان التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل كالذى فى قوله

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

فان تشبيه الحسود الذى يحرم القول بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع

ومنه خَفِيٌّ لايُدْرِكُهُ الا الخاصةُ كقول بعضهم هُمْ كالحلقةِ المُفْرَغَةِ لايُدْرَى أينَ طرَفاها أى هم متناسبُونَ في الشرفِ

فيها الفناء ليس الا فى أمر متوهم له وهو ماتتوهم اذا لم تأخذ معه فى القول مع علمك بتطلبه اياه عسى ان يتوصل به الى نفثة مصدور من قيامه اذ ذاك مقام ان تمنعه مايمد حياته ليسرع فيه إهلاك وانه كما ترى منتزع من عدة أمور وكالذى فى قوله

وان من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضراً بعد الذى أبصرت من يبسه

فان تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أوان الغرس المونق بأوراقه ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب الاخلاق مرضى السيرة حميد الفعال لتأديبه المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل اليه وكمال استحسان حاله وانه كما ترى أمر تصورى لا صفة حقيقية وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور (ومنه خفى) قال الشيخ الامام وأما مايدق ويغمض حتى يحتاج فى استخراجه الى فضل روية ولطف فكرة فنحو قول كعب الاشقرى وقد أوفده المهلب على الحجاج فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والباس فسأله فى آخر القصة قال فكيف كان بنو المهلب فيهم (١) قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها فهذا كما ترى ظاهر الامر فى فقره الى فضل الرفق به والنظر الا ترى انه لا يفهمه حق فهمه الا

(١) اى فى القوم المحاربين

كما أنَّها متناسبةُ الاجزاء في الصورةِ وأيضاً منهُ مالَمْ يُذْكَرْ فيه وصفُ أحدِ الطرَفَينِ ومنه ماذُكِرُ فيه وصفُ المشبَّهِ به وَحْدَهُ ومنه ماذُكِرَ فيه وصفُهُما كقولهِ

صَدَفتُ عنهُ ولم تَصْدِفْ مواهبُهُ عنّي وعاوَدَهُ ظنّي فلم يَخِبِ
كالغيْثِ إنْ جئتَهُ وافاكَ رَيِّقُهُ وانْ ترَحّلْتَ عنه لَجَّ في الطلبِ

من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة انتهى كلام الشيخ وأصل المثل لفاطمة بنت الخُرْشُب الا نمارية احدى المنجبات فى الجاهلية سألها أبو سفيان أى بنيك أفضل فقالت الربيع لابل عمارة لابل انس الفوارس ثكلتهم ان كنت أدرى أيهم أفضل هم كالحلقة الى آخره • أخذه كعب الاشقرى ووصف به بنى المهلب (منه) أى من المجمل (كقوله) أى قول أبي تمام يمدح الحسن بن سهل وقبل البيتين

ستصبح العيس بى والليل عند فتى كثير ذكر الرضى فى ساعة الغضب

قوله صدفت معناه أعرضت وقوله ريقه معناه أوله وأحسنه يقال فعله فى روق شبابه وريقه أى أوله واصابه ريق المطر وريق كل شئ أفضله • فالشاعر قد وصف الممدوح كما ترى بان عطاياه فائضة عليه اعرض او لم يعرض وكذ وصف الغيث بانه يصيبك جئته او ترحلت عنه والوصفان دالان على وجه الشبه اعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه

وإما مُفَصَّلٌ وهو ماذُكر وجهه كقوله

وثغرُهُ في صفاءٍ ... وأدْمعِي كاللآلي

وقد يُتَسَامَحُ بِذكر ما يَسْتَتْبِعُهُ مكانَهُ كقولهم للكلام

(كقوله وثغره) مثله قول ابي بكر الخالدى

ياشبيه البدر حسنا ... وضياء ومنالا

وشبيه الغصن ليناً ... وقواما واعتدالا

انت مثل الوردلونا ... ونسيما وملالا

زارنا حتى اذا ما ... سرنا بالقرب زالا

وقول ابن الرومى

ياشبيه البدر فى الحسـ * ـن وفى بعد المنال

جد فقد تنفجر الصخـ * ـر بالماء الزلال

(وقد يتسامح بذكر مايستتبعه مكانه) قال السكاكي اعلم انه ليس بملتزم فيما بين اصحاب علم البيان ان يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ماهو به بل قد يذكرون على سبيل التسامح ما اذا امعنت فيه النظر لم تجده الا شيئاً مستتبعاً لما يكون وجه التشبيه فى المآل فلا بد من التنبيه عليه من ذلك قولهم فى الالفاظ اذا وجدوها لا تثقل على اللسان ولا تكده بتنافر حروفها أو تكرارها ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفة ولا مما تشتبه معانيها وتستغلق فيصعب الوقوف عليها وتشمئز عنها النفس هي كالعسل فى الحلاوة وكالماء فى السلاسة وكالنسيم فى الرقة وقولهم فى الحجة المطلوب بها قلع الشبهة متى صادفوها معلومة الاجزاء يقينية

الفصيح هو كالعسل في الحلاوة فانَّ الجامعَ فيه لازمُها وهو مَيْلُ الطبعِ وأيضاً إمّا قريبٌ مُبتَذَلٌ وهو ماينتقلُ فيه منَ

التأليف قطعية الاستلزام هى كالشمس فى الظهور فيذكرون الحلاوة والسلاسة والرقة والظهور لوجه الشبه على انوجه الشبه فى المآل هناك شيء غيرها وذلك لازم الحلاوة وهو ميل الطبع اليها ومحبة النفس ورودها عليها ولازم السلاسة والرقة وهو افادة النفس نشاطا والاهداء الى الصدر انشراحاً والى القلب روحا فشأن النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الشهى الذى يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع اليه ويحب وروده عليه او كشأنها مع الماء الذى ينساغ فى الحلق ويحدر فيه اجلب انحدار للراحة ومع النسيم الذى يسرى فى البدن فيتخلل المسالك اللطيفة منه فيفيد ان النفس نشاطاً ويهديان الى الصدر انشراحاً والى القلب روحاً ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب فشأن البصيرة مع الشبهة كشأن البصر مع الظلمة في كونهما معهما كالمحجوبين وانقلاب حالهما الى خلاف ذلك مع الحجة اذا بهرت والشمس اذا ظهرت وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه فى وصف اعتبارى كالذى نحن فيه واقول يشبه ان يكون تركهم التحقيق فى وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا (وأيضا اما قريب) اعلم ان معرفة الشىء من طريق الجملة كما قيل غيرمعرفته من طريق التفصيل فكلام المصنف هنا وان كاد يكون مفهوماً فان لتمام البيان فائدة لا ينكرها المميز وذلك أتم للغرض وأشفى للنفس فنقول

المشبَّهِ الى المشبَّهِ به مِنْ غيرِ تدقيق نظرٍ لظهورِ وجهِهِ في بادئِ الرّأيِ لِكَوْنِهِ أمراً جُمْلياً فإنَّ الجُمْلَةَ أسبقُ الى

ان الشبه اما قريب يقع فى الوهم من أول النظر واما غريب لا يَنزع اليه الخاطر الا بعد تثبت وتذكر وفكر للنفس وتحريك للوهم فالقريب مثل ما اذا أخطرت بالبال استدارة الشمس ونورها وقعت المرآة المجلوة في قلبك وترآى لك الشبه منها فيهما وكذلك اذا نظرت الى الوشى منشوراً وتطلبت لحسنه ونقشه واختلاف الاصباغ فيه شبها حضرك ذكر الروض ممطوراً مفتراً عن ازهاره متبسما عن انواره وكذلك اذا نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق متنه لم يتباعد عنك ان تذكر لمعان البرق وان كان هذا اقل ظهوراً واما الغريب فهو مثل تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق فى قول كشاجم

أرِقتَ أم نمتَ لضَوء بارق ... مُؤتلِقٍ مثل فؤاد العاشق

كأنه اصبع كف السارق

وان اردت ان تعلم السبب فى سرعة بعض الشبه الى الفكر واباء بعض ان يكون له ذلك الاسراع فان ههنا ضربين من العبرة أولهما انا نعلم ان الجملة ابداً اسبق الى النفوس من التفصيل وانك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة الى التفصيل ولكنك ترى بالنظر الاول الوصف على الجملة ثم تري التفصيل عند اعادة النظر ولذلك قالوا النظرة الاولى حمقاء وقالوا لم ينعم النظر ولم يستقص التأمل وهكذا الحكم فى السمع

وغيره من الحواس فانك تدرك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية مالم تدرك فى الاولى فمن يروم التفصيل كمن يبتغي الشئ من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ومن يروم الاجمال كمن يريد أخذ الشئ جزافا وجرفا وكذا حكم ما يدرك بالعقل تري الجمل ابدا تسبق الى الذهن وتقع فى الخاطر أولا وترى التفاصيل مغمورة فيما بينها لا تحضر الا بعد اعمال الروية واستعانة بالتذكر ويتفاوت الحال فى الحاجة الى الفكر بحسب مكان الوصف ومرتبته من حد الجملة وحد التفصيل وكلما كان أوغل فى التفصيل كانت الحاجة الى التوقف والتذكر أكثر والفقر الى التأمل والتمهل اشد واذ قد عرفت هذه العبرة فالاشتراك فى الصفة اذا كان من جهة الجملة على الاطلاق بحيث لا يشو به شئ من التفصيل نحو ان كلا الشيئين اسود او احمر فهو يقل عن ان يحتاج فيه الى قياس وتشبيه فان دخل فى التفصيل شيئاً نحو ان هذا السواد صاف براق والحمرة دقيقة ناصعة احتجت بقدر ذلك الى ادارة الفكر وذلك مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح والورد فان زاد تفصيله بخصوص تدق العبارة عنه ويتعرف بفضل تأمل ازداد الامر قوة فى اقتضاء الفكر وذلك نحو تشبيه سقط النار بعين الديك فى قول غيلان

وسقط كعين الديك عاورت صحبتى ... اباها وهيأنا لموضعها وكرا

والعبرة الثانية ان مما يقتضى كون الشئ على الذكر وثبوت صورته فى النفس ان يكثر دورانه على العيون ويدوم تردده فى مواقع الابصار وان تدركه الحواس فى كل وقت او فى اغلب الاوقات وبالعكس وهو

إِمَّا عِندَ حُضُورِ المشبَّهِ لِقُرْبِ المناسبَةِ كتشبيه الجَرَّةِ الصغيرةِ

ان من سبب بعد ذلك الشئ عن ان يقع ذكره بالخاطر وتعرض صورته فى النفس قلة رؤيته وانه مما يحس على طريق الندرة واذ كان ذلك كذلك بان منه ان كل شبه رجع الى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها ان ترى وتبصر ابدا فالتشبيه المعقود عليه نازل مبتذل وما كان بالضد من هذا وفي الغاية القصوى من مخالفته فالتشبيه المردود اليه غريب نادر بديع ثم ان التفصيل وان كانت دقائقه لا تكاد تضبط الا أن الاغلب الاعرف منها وجهان احدهما ان تأخذ بعضاً وتدع بعضاً كما فعل امرؤ القيس في قوله

حملت ردينيا كان سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

فعزل الدخان عن السنا وأثبته مفرداً كما ترى وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة فيما شبه وذلك قوله

لها حدق لم تتصل بجفون

والثانى ان تنظر من المشبه فى أمور لتعتبرها كلها وتطلبها في المشبه به كاعتبارك فى تشبيه الثريا بالعنقود الانجم انفسها والشكل واللون والمقدار واجتماعها على المسافة المخصوصة فى القرب ثم اعتبارك فى العنقود المنور من الملاحية مثل ذلك وبعد فان تاقت نفسك الى شئ من الشرح لعبارة المصنف فاليك ذلك • قوله او قليل التفصيل معطوف على امرا جملياً وقوله لقرب المناسبة يعنى بين المشبه والمشبه به وقوله او مطلقا معطوف على قوله عند حضور المشبه وقوله لتكرره علة لغلبة المشبه به مطلقاً وقوله لمعارضة الخ يعنى وانما كانت قلة التفصيل فى وجه الشبه مع غلبة

بالكوزِ في المقْدارِ والشَّـكلِ أو مُطْلقاً لِتَـكَرُّرِهِ على الحسِّ كالشمس بالمرْآةِ المجْلوَّةِ في الاستدارَةِ والاستنارَةِ لمعارضةِ

حضور المشبه به بسبب قرب المناسبة او التكرار على الحس سبباً لظهوره المؤدى الى الابتذال مع ان التفصيل من اسباب الغرابة لان قرب المناسبة فى الصورة الاولى والتكرار على الحس فى الثانية يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به فيصير وجه الشبه كانه أمر جلي لا تفصيل فيه فيصير سببا للابتذال وقوله كما مر يعنى فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وقوله لكونه وهمياً الخ فالوهمى كتشبيه نصال السهام بانياب الاغوال و الخيالى كتشبيه الشقيق باعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد والعقلي كتشبيه مثل احبار اليهود بمثل الحمار يحمل اسفارا وقدم ذلك فانت ترى ان كلا سبب لندرة حضور المشبه به فى الذهن وقوله او لقلة معطوف على قوله لكونه وهميا وقوله فالغرابة فيه أى فى تشبيه الشمس بالمرآة في كف الاشل وقوله من وجهين فأحد الوجهين كثرة التفصيل وثانيهما قلة تكرره على الحس هذا ومن ابلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز

كانا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون (١)

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح باشخاص الغربان ثم شرط ان تكون قوادم ريشها بيضا لان تلك الفرق من الظلمة يقع فى حواشيها

---

(١) قوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشرة فى كل جناح والجون بالضم جمع جون بالفتح والمراد به هنا الابيض

كلٍّ مِن القُرب والتفصيل وإِما بَعيدٌ غريبٌ وهو بخلافه لعدَمِ الظهورِ وإِما لِكثرةِ التفصيلِ كقولهِ والشمسُ كالمرآةِ

من حيث تلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل فيها فى العين كشكل قوادم اذا كانت بيضاء وتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه في شئ آخر وهو ان جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كانه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها ان تتمهل في حركتها ثم لما بدأ بذلك اولا اعتبره فى التشبيه آخرا فقال نطير غرابا ولم يقل غراب يطير مثلا وذلك ان الغراب وكل طائر اذا كان واقعا هادئا فى مكان فازعج وأخيف وأطير منه او كان قد حبس فى يد اوقفص فارسل كان ذلك لا محالة اسرع لطيرانه واعجل وامد له وأبعد لا مده فان تلك الفزعة التى تعرض له من تنفيره او الفرحة التى تدركه وتحدث فيه من خلاصه وانفلاته مما دعته الى ان يستمر حتى يغيب عن الافق ويصير الى حيث لا تراه العيون وليس كذلك اذا طار عن الاختيار لانه يجوز حينئذ ان يصير الى مكان قريب من مكانه الاول وان لا يسرع في طيرانه بل يمشي على هينة ويحرك حركة غير المتعجل واعلم ان هذا الامر وهو التفصيل يتفاوت حاله فمنه ما يبلغ من كرم الموقع ولطف التأثير فى النفس مبلغا لا يدرك شأوه ومنه ما دون ذلك ويبين هذا بالمقابلة فانت اذا قابلت قول بشار كأن مثار النقع البيت بقول المتنبي

يزور الاعادى فى سماء عجاجة اسنته فى جانبيها الكواكب

او قول عمرو بن كلثوم

أو ندورِ حضورِ المشبَّهِ به إمَّا عندَ حضورِ المشبَّهِ لبُعدِ المناسبةِ كما مرَّ وإمَّا مطلقاً لكونهِ وَهميًّا أو مركَّباً خياليًّا أو عقليًّا كما مرَّ أو لقلةِ تكرُّرِهِ على الحسِّ كقولهِ والشمسُ كالمرآةِ فالغرابةُ فيه منْ وَجهَيْنِ والمرادُ بالتفصيلِ أنْ تَنظُرَ في أكثرَ

تبنى سنابكها من فوق اروسهم   سقفاً كواكبه البيض المباتير

وجدت لبيت بشار من الفخامة والنبل والرفعة والشرف ما لا يوجد لصاحبيه ذاك لان كلا منهما وان راعى التفصيل فى التشبيه الا انه اقتصر على ان اراك لمعان الاسنة والسيوف فى اثناء العجاجة بخلاف بشار فانه لم يقتصر على ذلك كما بيناه فيما تقدم وكذلك تجد قول ابن المعتز فى الآذريون

مداهن من ذهب   فيها بقايا غاليــة

أعلى وافضل من قوله

وطاف بها ساقٍ اديبٌ بِمبزَلٍ   كخنجر عيار صناعته الفتك(١)
وَحُمِّلَ آذريونةً فوق أذنه   ككأس عقيق فى قرارتها مسك

ذاك لان السواد الذى فى باطن الآذريونة الموضوع بازائه الغالية والمسك فيه امران احدهما أنه ليس بشامل لها والثاني أنه لم يستدر في قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات وله فى منقطعه

(١) يصف الخمر : المبزل ما يصفى به الشراب والآذريونة وردله اوراق حمر فى وسطه سواد له نبو وارتفاع وقد يكون اصفر

مَن وصفٍ ويقعُ على وجوهٍ أعرفُها أنْ تأخُذَ بعضاً وتدعَ بعضاً كما في قوله

حَمَلَتْ رُدَيْنِيّاً كأنَّ سِنانَهُ سَنَا لَهَبٍ لم يختلطْ بدُخانِ

وأن تعتبرَ الجميعَ كما مرَّ من تشبيه الثُّرَيّا وكلما كانَ التركيبُ من أمورٍ أكثرَ كانَ التشبيهُ أبعدَ والبليغُ ما كانَ من هذا الضرب

هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المُدْهُن اذا كانت بقيةً بقيت عن الاصابع وقوله في قرارتها مسك يبين الامر الاول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال فيها مسك ولم يشترط ان يكون فى القرارة وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله بقايا غالية لان من شأن المسك والشيء اليابس اذا حصل فى شيء مستدير له قعر ان يستدير في القعر ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الآذريونة بخلاف الغالية فانها رطبة ثم تؤخذ بالاصابع فلا بدّ فى البقية منها ان ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ثم هي لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه (والبليغ ما كان من هذا الضرب) لا يقال عدم الظهور ضرب من التعقيد والتعقيد كما علمنا مذموم لانا نقول التعقيد كما سبق له سببان الاول سوء ترتيب الالفاظ والثانى اختلال الانتقال من المعنى الاول الى المعنى الثانى الذى هو المقصود باللفظ والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته او ترتيب بعض المعانى على بعض فان

لغرابته ولانّ نيلَ الشيءِ بعدَ طلبِه ألذُّ وقد يتَصرَّفُ في القريبِ بما يجعلهُ غريباً كقوله

لم تلقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارِنا　　إلا بوجهٍ ليس فيهِ حياءُ

وقوله

عزَماتُه مثلُ النجومِ ثواقباً　　لو لم يكن للثاقباتِ أفُولُ

ويُسمَّى هذا التشبيهَ المشروطَ وباعتبارِ أداتهِ إمّا موَكَّدٌ وهو

المعانى الشريفة لا بد فيها فى غالب الامر من بناء ثان على اول ورد تال الى سابق قال الشيخ وهل شيء احلى من الفكرة اذا استمرت وصادفت نهجاً قويماً وطريقة تنفاد وتبينت لها الغاية فيما ترتاد قال الجاحظ فى اثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة • واين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم واكل اللحم من سرور الظفر بالاعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان قرعه وبعد فاذا اعدت الحلبات لجرى الجياد ونصبت الاهداف ليعرف فضل الرماة فى الابعاد والسداد فرهان العقول التى تستبق ونضالها التى تمتحن قواها فى تعاطيه هو الفكر والروية والاستنباط (ولان نيل الشيء بعد طلبه الذ) ولذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ كما قال القطامى

وهن ينبذن من قول يصبن به　　مواقع الماء من ذى الغلة الصادي

(وقد يتصرف فى القريب بما يجعله غريباً) وهذا على وجوه منها

ان يكون كقول ابى الطيب من قصيدة يمدح بها هرون بن عبد العزيز

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا   الا بوجه ليس فيه حياء

وقوله

فردّت علينا الشمس والليل راغم   بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما ادري أأحلام نائم   المت بنا ام كان فى الركب يوشع

فان تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل لكن كل واحد من حديث الحياء فى الاول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثاني اخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه بالاول قول الآخر

ان السحاب لتستحي اذا نظرت   الى نَداك فقاسته بما فيها

ومنها ان يكون كقول الوطواط

عزماته مثل النجوم ثواقباً   لو لم يكن للثاقبات افول

وقوله

مها الوحش الا ان هاتا اوانس   قنا الخط الا ان تلك ذوابل (١)

وقوله

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا   لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والبدر لو لم يغب والشمس لو نطقت   والاسد لو لم تصد والبحر لو عذبا

وهذا يسمى التشبيه المشروط ومنها ان يكون كقوله

فى طلعة البدر شيء من محاسنها   وللقضيب نصيب من تثنيها

وقول ابن بابك

(١) يصف النساء بسعة العيون وطول القدود

والريحُ تَعْبَثُ بالغُصونِ وقد جرَى
ذَهَبُ الأَصيلِ على لُجَيْنِ المـاءِ

الايا رياض الحَزنِ من ابرَق الحمى   نسيمك مسروق ووصفك منتحل
حكيت ابا سعد فنشرك نشره   ولكن له صدق الهوي ولاك الملل

وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله

كأنما يبسم عن لؤلؤ   منضد او برد او أقاح

كما يزداد بذلك لطفاً وغرابة كقول امرئ القيس

له ايطلا ظبي وساقا نعامة   وارخاءُ سرحان وتقريب تَتْفُلِ(١)

(والريح تعبث بالغصون) عبث الريح بالغصون عبارة عن امالتها اياها والاصيل هو الوقت بعد العصر الى الغروب يوصف بالصفرة ويعد من اطيب الاوقات كالسحر قال

ورب نهار للفراق اصيله   ووجهي كلا لونيهما متناسب

وقال الابيوردي

لياليه اسحار وفيه هواجر   كما خضات والشمس تنعس آصال

فذهب الاصيل صفرته وشعاع الشمس فيه قوله على لجين الماء فاللجين الفضة أي على ماء كالفضة في البياض والصفاء ومثل البيت قول الشاعر

---

(١) شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول وعدوه بارخاء الذئب وتقريبه بتقريب ولد الثعلب فجمع بين اربعة تشبيهات كما ترى والارخاء ضرب من عدو الذئب والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين في العدو

أو مرْسَلٌ وَهو بِخلافِهِ كما مَرَّ وباعتبارِ الغرَضِ إِمّاً مقبولٌ وهو الوَافِي بأَدَاتِهِ كَأَنْ يكونَ المشبهُ به أعرفَ شيءٍ بوجهِ الشَّبَهِ في بيانِ الحالِ أوأَتمَّ شيءٍ فيه في إِلحاقِ النَّاقِصِ بالكاملِ أومُسلَّمَ الحُكْمِ فيه مَعْرُوفهُ عِنْدَ المخَاطَبِ فِي بَيانِ الامكانِ أومردودٌ وهو بِخلافِهِ ﴿ خَاتِمةٌ ﴾ أَعلى مراتبِ التَّشبيهِ

يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار

كأنما أدهم الاظلام حين نجا من اشهب الصبح القى نعل حافره

وقول الشريف الرضى

ارسى النسيم بواديكم ولا برحت حوامل المزن فى اجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه علىقبوركم العرّاضةُ الهُمَع (١)

(وهو بخلافه) اى ما ذكر اداته وصار مرسلا من التأكيد المستفاد من حذف الاداة المشعر بحسب الظاهر انالمشبه هو المشبه به (كما مر) من الامثلة المذكور فيها اداة التشبيه (وهو بخلافه) أى القاصر عن افادة الغرض (تكملة) ذهب بعض الناس الى انه لا فرق بين نحو قولك رأيت أسداً يرمى وبين قولك زيد اسد وان الثانى استعارة كالاول وليس بتشبيه والصواب بمعزل عن ذلك قال الامام عبدالقاهر ما فحواه انه اذا اجري في الكلام لفظ دلت القرينة على تشبيه شيء بمعناه كان ذلك على وجهين أحدهما ان يسقط ذكر المشبه من البين

---

(١) الاجداث القبور والعراضة السحاب ذو الرعد والبرق والهمع الماطرة

حتى لا يعلم من ظاهر الحال انك اردته كقولك عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة ووردنا بحراً وانت تريد الممدوح وهذا تقول فيه انه استعارة لا تحاشي بتة • والثانى • ان يكون المشبه مذكوراً اومقدراً وحينئذ فالمشبه به ان كان خبراً او منزلا منزلته يعنى ان يكون خبر كان وان ومفعولا ثانياً لباب علمت وحالا فالوجه ان هذا يسمي تشبيهاً ولا تطلق عليه الاستعارة لان المشبه به اذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لاثبات معناه لما يعتمد عليه اونفيه عنه فاذا قلت زيد اسد فقد وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد واذا امتنع اثبات ذلك له على الحقيقة كان لاثبات شبه من الاسد له فيكون اجتلابه لاثبات التشبيه فيكون خليقاً بان يسمى تشبيهاً اذ كان انما جاء ليفيده بخلاف الحالة الاولى فان المشبه به فيها لم يجتلب لاثبات معناه لشيء كما اذا قلت جاءنى اسد ورأيت اسداً فان الكلام فى ذلك موضوع لاثبات المجيء واقعاً من الاسد والرؤية واقعة منك عليه لا لاثبات معنى الاسد لشيء فلم يكن ذكر المشبه به لاثبات التشبيه وصار قصد التشبيه امراً مطويا فى النفس مكنوناً فى الضمير لا يعلم الا بعد الرجوع الى شيء من النظر والتأمل واذا افترقت الصورتان هذا الافتراق ناسب ان يفرق بينهما فى الاصطلاح والعبارة بان تسمى احداهما تشبيهاً والاخري استعارة (ثم) قال فان ابيت الا ان تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم فان حسن دخول ادوات التشبيه لا يحسن اطلاقه وذلك كان يكون اسم المشبه به معرفة كقولك زيد الاسد

فَقَطْ أَوْ مَعَ حذفِ المشبَّه ثم حذفُ أحدِهما كذلك ولا

وهو شمس النهار فانه يحسن ان يقال زيد كالاسد وخلته شمس النهار
وان حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب فى اطلاقه وذلك
كان يكون نكرة غير موصوفة كقولك زيداسد فانه لايحسن ان يقال
زيد كاسد ويحسن ان يقال كأن زيدا اسد ووجدته اسداوانلم يحسن
دخول شيء منها الا بتغيير لصورة الكلام كان اطلاقه اقرب لغموض تقدير
اداة التشبيه فيه وذلك بان يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به
كقولك فلان بدر يسكن الارض وهو شمس لا تغيب وكقوله

شمس تألق والفراق غروبها　　عنا وبدر والصدود كسوفه

فانه لا يحسن دخول الكاف ونحوه فى شيء من هذه الامثلة ونحوها
الا بتغيير صورته كقولك هو كالبدر الا انه يسكن الارض وكالشمس
الا انها لا تغيب وكالشمس المتألقة الا ان الفراق غروبها وكالبدر
الا ان الصدود كسوفه • وقد يكون فى الصفات التى تجيء فى هذا
النحو والصلاة التى توصل بها ما يحيل تقدير اداة التشبيه فيه فيقرب
حينئذ من القبيل الذي تطلق عليه الاستعارة من بعض الوجوه وذلك
مثل قول ابي الطيب

اسد دمُ الاسد الهِزَبْر خضابه　　موت فريص الموت منه ترعد(١)

فانه لا سبيل الى ان يقال المعنى هو كالاسد وكالموت لما في ذلك من
التناقض لان تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل انه دونه اومثله وجعل
دم الهزبر الذى هو اقوى الجنس خضاب يده دليل انه فوقه وكذلك

(١) الفريص جمع فريصة وهى لحمة بين الثدي والكتف ترعد عند الفزع

قوّة لغيرهما

لا يصح ان يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه وكذا قول البحتري

وبدر اضاء الارض شرقاً ومغربا ... وموضع رجلي منه اسود مظلم

ان رجع فيه الى التشبيه الساذج حتى يكون المعنى هو كالبدر لزم ان يكون قد جعل البدر المعروف موصوفاً بما ليس فيه فظهر انه انما اراد ان يثبت من الممدوح بدراً له هذه الصفة العجيبة التى لم تعرف للبدر فهو مبنى على تخييل انه زاد فى جنس البدر واحداً له تلك الصفة فالكلام موضوع لا لاثبات الشبه بينهما ولكن لاثبات تلك الصفة فهو كقولك زيد رجل كيت وكيت لم تقصد اثبات كونه رجلا لكن اثبات كونه متصفاً بما ذكرت فاذا لم يكن اسم المشبه به فى البيت مجتاباً لاثبات الشبه تبين انه خارج عن الاصل الذى تقدم من كون الاسم مجتاباً لاثبات الشبه فالكلام فيه مبنى على ان كون الممدوح بدراً امر قد استقر وثبت وانما العمل فى اثبات الصفة الغريبة وكما يمتنع دخول الكاف فى هذا ونحوه يمتنع دخول كأن وحسبت لاقتضائهما ان يكون الخبر والمفعول الثاني امراً ثابتاً فى الجملة الا ان كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الاول مشكوك فيه كقولنا كأن زيداً منطلق او خلاف الظاهر كقولنا كأن زيداً اسد والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة فدخول كأن وحسبت عليها كالقياس على المجهول وايضاً هذا النحو اذا فليت عن سره وجدت محصوله انك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور الا انه اختص بصفة عجيبة لم يتوهم جوازها على ذلك الجنس فلم يكن لتقدير

﴿ الحَقيقةُ والمَجَازُ ﴾

وقد يُقَيَّدَانِ باللُّغَويَيْنِ * الحقيقةُ الكلمةُ المُستَعملةُ فيما وُضِعت

التشبيه فيه معنى : هذا اذا كان المشبه به خبراً عن المشبه او متنزلا منزلته كما علمت أما ان لم يكن كذلك نحوقولهم رأيت به اسداً ولقيني منه اسد فلا يسمى استعارة (١) لانه انما يتصور الحكم على الاسم بالاستعارة اذا جرى على ما يدعى انه مستعار له اما باستعماله فيه او باثبات معناه له والاسم فى مثل هذا غير جار على المشبه بوجه ولانه يجيء على هذه الطريقة ما لا يتصور فيه التشبيه فيظن انه استعارة كقوله تعالى • لهم فيها دار الخلد • اذليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد اذ هى نفسها دار الخلد وكقول الشاعر

يا خير من يركب المطى ولا   يشرب كأساً بكف من بخلا

فانه لا يتصور فيه التشبيه وانما المعنى انه ليس بخيل • ولا يسمي تشبيهاً ايضاً لان المشبه به لم يجتاب فيه لاثبات التشبيه كما سبق : وقد عد هذا صاحب المفتاح تشبيهاً (الحقيقة والمجاز) الحقيقة اما فعيل بمعنى مفعول من قولك حققت الشيء اذا اثبته او فعيل بمعنى فاعل من قولك حق الشيء يحق اذا ثبت اى المثبتة او الثابتة فى موضعها الاصلى والمجاز مفعل من جاز المكان يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عما يوجبه اصل اللغة وصف بانه مجاز على معنى انهم جازوا به موضعه الاصلى او جاز هو مكانه الذى وضع فيه اولا (وقد يقيدان باللغويين) ليتميزا عن

(١) سيأتى ان هذا النوع يسمى تجريدا

لهُ في اصطلاحِ التخاطبِ • والوضعُ تعيينُ اللفظِ للدلالةِ على معنًى بنفسهِ فخرجَ المجازُ لانَّ دلالتهُ بقرينةٍ دونَ المشتركِ والقولُ بدلالةِ اللفظِ لذاتهِ ظاهرهُ فاسدٌ وقد تأوَّلهُ السكاكي

الحقيقة والمجاز العقليين والاكثر ترك هذا التقييد لئلا يتوهم خروج الشرعي والعرفي (في اصطلاح التخاطب) احترزوا بذلك عن المجاز الذي استعمل فيما وضع له لا في اصطلاح به التخاطب كلفظ الصلاة يستعمله المخاطِب بعرف الشرع في الدعاء مجازاً (لان دلالته بقرينة) وحينئذ لا يسمى التعيين فيه وضعاً (دون المشترك) وهوما وضع لمعنيين او اكثر وضعاً متعدداً وانما لم يخرج عن الحد لانه قد عين للدلالة على كل من المعنيين بنفسه وعدم الدلالة على احد المعنيين بالتعيين لعارض الاشتراك لا ينافي ذلك فالقرء مثلاً عين مرة ليدل بالاستقلال على الطهر ومرة اخرى ليدل كذلك على الحيض فاذا استعمل في احدهما واحتيج الى القرينة المعينة للمراد لم يضر ذلك في كونه حقيقة (والقول) رأي عباد بن سليمان الصيمري ان دلالة الالفاظ على معانيها لا تحتاج الى الوضع بل بين اللفظ والمعنى مناسبة طبيعية تقتضي دلالة كل لفظ على معناه لذاته فذهب المصنف والكثير من العلماء الى فساد هذا الرأي لاقتضائه ان يمتنع نقله الى المجاز وجعله علماً ووضعه للمتضادين كالجون للاسود والابيض والناهل للعطشان والريان فان ما بالذات لا يزول بالغير ولاختلاف اللغات باختلاف الأمم • أما السكاكي فانه تأول هذا القول وقال انه تنبيه على ما عليه أئمة علمي

والمَجازُ مفردٌ ومركَّبٌ أمّا المفردُ فهو الكلمةُ المستعمَلةُ في غير ماوُضِعَتْ لهُ في اصطِلاحِ التخاطبِ على وجهٍ يَصِحُّ معَ

الاشتقاق والتصريف من أن للحروف فى أنفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما وغيرذلك مستدعية ان العالم بها اذا أخذ فى تعيين شيء منها لمعنى لايهمل التناسب بينهماقضاء لحق الحكمة كالفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين والقصم بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وكالثلم بالميم الذي هو حرف خفيف ما يبني للخلل فى الجدار والثلب بالباء الذي هو حرف شديد للخلل فى العرض وكالزفير بالفاء لصوت الحمار والزئير بالهمز الذى هو شديد لصوت الأسد. وما شاكل ذلك وان للتركيبات كالفعلان والفعلى بالتحريك كالنزوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص أيضاً فيلزم فيها ما يلزم فى الحروف وفى ذلك نوع تأثير لأنفس الكلم فى اختصاصها بالمعاني (وبعد) فهذا التأويل خلاف المصحح نقله عن عبادفان المنقول عنه ان المناسبة كافية في دلالة اللفظ على المعنى فلا يحتاج الى الوضع يدرك ذلك من خصه الله تعالى به كما فى القافة ويعرفه غيره منه • وهذا كما ترى بعيد عن تأويل السكاكي (فى اصطلاح التخاطب) زاد هذا القيد ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة اذا استعمله المخاطِب بعرف الشرع فى الدعاء مجازا فانه وان كان مستعملاً فيما وضع له فى الجملة فليس بمستعمل فيما وضع له فى الاصطلاح

قرينةِ عَدَمِ ارادتِه فَلاَ بُدَّ مِن العَلاَقةِ لِيَخرُجَ الغلطُ والكنايةُ وَكُلٌّ منهما لغَوِيٌّ وَشرعيٌّ وَعرفيٌّ خاصٌّ أوْ عامٌّ كاسَدٍ للسبعِ والرجلِ الشجاعِ وصلاةٍ للعبادةِ المخصوصةِ والدعاء وَفعلٍ للّفظِ والحدَثِ ودابةٍ لِذِى الأَرْبَعِ والانسانِ . والمجازُ

الذى به وقع التخاطب (فلا بد من العلاقة) ليتحقق الاستعمال على وجه يصح (ليخرج الغلط والكناية) يقول ان قولنا على وجه يصح ليخرج الغلط كما تقول خذ هذا الفرس مشيرا الى كتاب وقولنا مع قرينة عدم ارادته لتخرج الكناية لانها مستعملة فى غير ما وضع له مع جواز ارادة ما وضع له (وكل منهما لغوى) أما الحقيقة فلأن واضعها ان كان واضع اللغة فلغوية وان كان الشارع فشرعية والا فعرفية والعرفية ان تعين صاحبها نسبت اليه كقولنا فقهية ونحوية والا بقيت مطلقة وأما المجاز فلأن الاصطلاح الذى به وقع التخاطب وكان اللفظ مستعملاً فى غير ما وضع له فى ذلك الاصطلاح ان كان هو اصطلاح اللغة فالمجاز لغوى وان كان اصطلاح الشرع فشرعي والا فعرفى عام أو خاص: الحقيقة اللغوية كأسد اذا استعمله المخاطب بعرف اللغة فى السبع المخصوص أما فى الرجل الشجاع فمجاز لغوى والحقيقة الشرعية كصلاة اذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى العبادة المخصوصة أما فى الدعاء فمجاز شرعى والحقيقة العرفية الخاصة كفعل اذا استعمله المخاطب بعرف النحو فى الكلمة المخصوصة أما فى الحدث فمجاز عرفى خاص

مُرْسَلٌ إن كانت العَلاَقةُ غيرَ المشَابهةِ والا فاستعارةٌ وكثيراً ما تُطاَقُ الاستعارةُ على استعمالِ اسمِ المشبَّهِ به في المشـبَّهِ فهما مُستعَارٌ منه ومستعارٌ لهُ واللفظُ مستعارٌ والمرسـلُ كاليدِ في

والعرفية العامة كدابة اذا استعلملها المخاطب بالعرفى العام فى ذى الاربع أما فى الانسان فمجاز عرفى عام (مرسل) سموه كذلك لارساله عن التقييد بعلاقة المشابهة (والا فاستعارة) فالاستعارة على هذا هي اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلي لعلاقة المشابهة كظبية فى قولك عنت لنا ظبية وأنت تريد امرأة • وكثيراً ماتطلق على فعل المتكلم أى استعمال اسم المشبه به فى المشبه وحينئذ تكون بمعنى المصدر ويصح منه الاشتقاق فيسمى المشبه به مستعاراً منه والمشبه مستعاراً له واللفظ مستعـاراً (ثم) قال المصنف والمرسل • وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد اذا استعملت فى النعمة لان من شأنها ان تصدر عن الجارحة ومنها تصل الى المقصود بها قال الامام عبد القاهر ويشترط ان يكون فى الكلام اشارة الى مصدر تلك النعمة والى المولى لها • فلا يقال اتسعت اليد فى البـلد أو اقتنيت يداً كما يقال اتسعت النعمة فى البلد أو اقتنيت نعمة وانمـا يقال جلت يده عندى وكثرت أياديه لدىّ ونحو ذلك ونظير هـذا قولهم فى صفة راعي الابل ان له عليها اصبعاً أرادوا ان يقولوا عليها أثر حذق فدلوا عليه بالاصبع لانه ما من حذق فى عمل يد الا وهو مستفاد من حسن تصريف الاصابع واللطف فى رفعها ووضعها كما فى الخط والنقش وعلى ذلك قيل

فى تفسير قوله تعالى بلى قادرين على ان نُسوى بنانه أى نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الاعمــال اللطيفة فأرادوا بالاصبع الأثر الحسن حيث يقصد الاشارة الى حذق فى الصنعة لا مطلقاً حتى يقال رأيت أصابع الدار وله اصبع حسنة واصبع قبيحة على معنى أثر حسن وأثر قبيح ونحو ذلك وينظر الى هذا قولهم ضربته سوطاً لانهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً وتفسيرهم له بقولهم المعنى ضربته ضربة بالسوط بيان لمــا كان الكلام عليه في أصله (والقدرة) أى وكاليد فى القدرة لان أكثر ما يظهر سلطان القدرة في اليد وبها يكون البطش والضرب والقطع والاخذ والدفع والوضع والرفع الى سائر الافعال التى تنبئ عن وجوه القدرة ومكانهــا (وقد) تكون اليد للقدرة على سبيل التمثيل كما في قوله تعالى • والسموات مطويات بيمينه • فليس ذلك من باب المجــاز المرسل كما ظنه بعضهم ولذلك قال الزمخشرى رحمه الله ان الغرض من الآية اذا أخذ بجملته ومجموعه هو تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز (١) فان السامع لذلك اذا كان له فهم يقع على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وان الافعال العظيمة التى تحير فيها الاذهان هينة عليه هواناً لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل قال ولا ترى باباً فى علم البيان أدق ولا ألطف من

(١) يعنى المجاز المرسل

جزْئهِ كالعيْنِ في الرَّبيئةِ وعكسهُ كالاصابِع في الأنامـلِ

هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله فان أكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام وما أتي من زل الامن قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان فى عداد العلوم الدقيقة علماً لو قدروه حق قدره لما خفي عنهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدة من عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم من آية أو حديث قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات البعيدة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلاً منه من دبير هذا وأما اليد فى قوله عليه السلام • المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعي بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم • فمن باب التشبيه أى هم مع كثرتهم فى وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور ان يخذل بعض اجزاء اليد بعضاً وان تختلف بها الجهة فى التصرف كذلك سبيل المؤمنين فى تعاضدهم على المشركين لان كلمة التوحيد جامعة لهم (وكالراوية فى المزادة) الراوية البعير الذى يستقى عليه والمزادة سقاء الماء فاستعمال الاول فى الثاني ضرب من المجاز المرسل للعلاقة الموجودة بين البعير والمزادة بسبب حمله اياها • ومثل ذلك اطلاق الخفض متاع البيت على البعير الذى يحمله (كالعين فى الربيئة) الربيئة الشخص يطلع على عورات العدو فى مكان عال فاطلاق العين عليه لان العين هى المقصود فى كون الرجل ربيئة اذ ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدها فصارت كأنها الشخص كله فلا بد فى الجزء المطلق على الكل من ان يكون له مزيد اختصاص بالمعني الذى قصد بالكل مثلاً

وتَسميتُه باسم سَببَهِ نحوُ رَعَيْنا الغَيْثَ أومُسَبَّبِهِ نحوُ أمطَرَت السماءُ نَبَاتاً أوما كَانَ عليه نحوُ وآتُوا اليَتَامَى أموالَهم أومايؤُولُ اليه نحوُ انِّي أَرَانِي أعْصِرُ خمراً أو مَحَلِّهِ نحوُ فليَدْعُ نَادِيَهُ أو

لايجوز اطلاق اليدأو الاصبع على الربيئة وان كان كل منهما جزأ منه ونظير اطلاق العين على الربيئة اطلاق الرقبة على الانسان فى نحو قوله تعالى فتحرير رقبة (وعكسه) يعنى تسمية الشيء باسم كله (كالاصابع فى الانامل) فى قوله تعالى * يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق * والانملة جزء من الاصبع والغرض منه المبالغة كانه جعل جميع الاصبع فى الاذن لئلا يسمع شيء من الصاعقة (نحو رعينا الغيث) أى النبات الذى سببه الغيث (نحو وآتوا اليتامى أموالهم) أى الذين كانوا يتامى اذ لا يُتْمَ بعد البلوغ (نحو فليدع ناديه) أى أهل ناديه (والاستعارة) وهى كما علمت ما كانت علاقته المشابهة أى قصد ان الاطلاق بسبب المشابهة فاذا أطلق نحو المشفر على شفة الانسان فان أريد تشبيهها بمشفر الابل فى الغلظ فهو استعارة كما قال الفرزدق

فلو كنتَ ضبياً عرفت قرابتى * ولكن زنجياً غليظ المشافر

أى ولكنك زنجي كأنه بعير لا يهتدى لشرفى وكذا قول الحطيئة يخاطب الزبرقان

قرَوا جارك العيمان لمـا جفوتَه * وقلّص عن برد الشراب مشافرُه (١)

فانه وان عنى نفسه بالجار جاز ان يقصد الى وصف نفسه بنوع

(١) العيمان العطشان الى اللبن أشد العطش ومشافره فاعل قلص

حالَه نحوُ وَأَمَّا الذِينَ ابيَضَّتْ وُجوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ أَيْ في الجنَّةِ أَو آلته نحوُ وَاجعَلْ لِي لسانَ صِدْقٍ في الآخرِينَ أَيْ ذِكْرًا حَسَنًا . والاستعارةُ قد تُقَيَّدُ بالتَّحقيقيَّةِ لِتَحَقُّقِ معناها

من سوء الحال ليزيد فى التهكم بالزبرقان ويؤكد ما قصده من رميه باضاعة الضيف واسلامه للضر والبؤس . وان أريد انه من اطلاق المقيد على المطلق فهو مجاز مرسل كاطلاق المرسن على الانف فى قول العجاج وفاحما ومرسنا مسرجاً (واعلم) انصميم هذا العلم فى الحقيقة هو هذا الضرب من البيان أعني الاستعارة التى تتضمن التشبيه فهى أمد ميدانا وأشد افتنانا وأعجب حسناًواحساناً وأوسع سعة وأبعد غوراً وأذهب نجداً فى الصناعة وغوراً من ان تجمع شعبها وشعوبها وتحصر فنونها وضروبها نعم وأسحر سحرا وأملأ بكل ما يملأ صدرا وأهدى الى ان تهدى اليك عذارى قد تخيرلها الجمال وعني بها الكمال وان تخرج لك من بحرها جواهر ان باهتها الجواهر مدت فى الشرف والفضيلة باعاً لا يقصر وأبدت من الاوصاف الجليلة محاسن لا تنكر وان تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ثم تصوغ فيها صياغات تعطل الحلي وتريك الحلي الحقيقي وان تأتيك على الجملة بعقائل يأنس لها الدين والدنيا وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا وهى أجل من أن تأتي الصفة على حقيقة حالها وتستوفى جملة حالها . ومن الفضيلة الجامعة فيها انها تبرز هذا البيان أبداً فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلاً وانك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة فى مواضع

حِساً أوْ عقلاً كقولِه * لَدَى أسَدٍ شاكِي السِّلَاحِ مُقَذَّفٍ *

ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة وخلابة مومومقة : ومن خصائصها التى تذكر بها وهي عنوان مناقبها انها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر واذا تأملت أقسام الصنعة التى بهــا يكون الكلام فى حد البلاغة ومعها يستحق وصف البراعة وجدتها تفتقر الى ان تعيرها حلاها وتقصر عن ان تنازعها مداها وصادفتها نجوماً هى بدرها وروضاً هى زَهرها وعرائس ما لم تعرها حليها فهى عواطل وكواعب ما لم تحسنها فليس لها فى الحسن حظ كامل فانك لترى بها الجماد حياً ناطقاً والاعجم فصيحاً والاجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية واذا نظرت فى امر المقاييس وجدتها ولا ناصر لهــا أعز منها ولا رونق لهــا ما لم تزنهــا وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ان شئت أرتك المعاني اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وان شئت لطّفت الاوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لاتنالها الا الظنون (وبعد) فقد يدور بخلدك ان فى وسع الناس جميعاً ان يجيدوا فى هذا الباب ويأتوا فيه بالابداع والاحسان وهو وربك أكبر من ان يظن به مثل هذا الظن ولقد كبا فيه وقاك الله كثير من فرسان البلاغة وأئمة البيان فمنهم أبو نواس حيث يقول

رسم الكرى بين الجفون محيل * عفّى عليه بكاً عليك طويل

سئل مسلم بن الوليد عن هذا البيت فقال ان كان قول أبي العذافر

أيْ رَجلٍ شجاعٍ وقولِه تعالى اهْـدِنَا الصِّرَاطَ المستقيمَ أي

* باض الهوى فى فؤادى وفرّخ التذكار * حسناً كان هـذا حسناً
ومنهم أبو تمـام حيث يقول

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الانام من خُرُقك(١)

ولقد أسرف أبو تمـام فى هذا فنعى عليه وأطلق لسان عايبه وأكد له الحجة على نفسه فمن ذلك قوله

وكم أحرَزَت منكم على قبح قدها * صروفُ الردى من مُرهَفٍ حسن القد

وقوله يرثى غلاماً

أنزلته الايام عن ظهرها من * بعد اثبات رجله فى الركاب

ولا وجه لاستيعاب ذلك لان قليله دال على كثيره ولكن انظر الى قول الحماسى

قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طـاروا اليه زَرَافَاتٍ ووحدانا

أو قول مسلم

تجري الرياح بها حسرى مولهة * حيرى تلوذ بأطراف الجلاميد

أو قول أبي العتاهية

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالهـا

أو قول الحجاج من خطبة له . ان أمير المؤمنين نثر كنانتـه بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بى

(١) الخرق بالضم العنف وكذلك الحمق والجهل وضم الراء للشعر ويريدون بتقويم الاخدعين • وهما عرقان فى صفحتي العنق (كالليتين) • ازالة الـكبر والعنف لأنهم يقولون فى المتكبر العاتى شديد الاخدعين

الدِينَ الحقَّ ودليلُ أنَّها مجازٌ لُغويٌّ كوْنُها موضوعةٌ للمشبَّهِ

لانكم طالما أو ضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال .فانت اذا نظرت الى مثل هذا الكلام وجدت هناك استعارة قد أصابت المحز وطبّقت المفصل فان أدركت من نفسك تلك المُنة والا أطلقت عليك لسان العائبين (قد تقيد بالتحقيقية) وبهذا التقييد تميز عن التخييلة والمكنى عنها (قال) وانما تسمى تحقيقية لتحقق معناها أى ما عنى بها واستعملت هي فيه حسا أو عقلا بان يكون ذلك المعنى أمرا معلوماً يمكن ان ينص عليه ويشار اليه اشارة حسية أو عقلية فيقال ان اللفظ قد نقل عن مسماه الاصلي فجعل اسماً لهذا المعنى على سبيل الاعارة للمبالغة فى التشبيه (أما) الحسى فكقول زهير بن أبى سلمى

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفارهُ لم تقلم (١)

أي لدى رجل شجاع ومن لطيف ذلك ما يقع التشبيه فيه فى الحركات كقول أبى دلامة يصف بغلته

أرى الشهباء تعجن اذ غدونا * برجليها وتخبز باليدين

شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا على موضع تعتمد بهما عليه وهوتا ذاهبتين نحو يديها بحركة يدى العاجن فانهما لا تثبتان فى موضع بل تزلان الى قدام لرخاوة العجين وشبه حركة يديها بحركة يدى الخابز فانه يثني يده نحو بطنه ويحدث فيها ضرب من التقويس كما تجد فى يد

(١) شاكي السلاح وشائك السلاح أى تام السلاح كله من الشوكة وهى العدة والقوة مقذف أى يقذف به كثيراً الى الوقائع واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد من شعر الاسد على منكبيه

بهِ لا للمشبهِ ولا للأعمِّ منهما وقيلَ إِنّها مجازٌ عقلي بمعنى انَّ التَّصرُّفَ

الدابة اذا أضربت في سيرها ولم تقو على ضبط يديها وان ترمى بها الى قدام وان تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزول عنه ولا تنثنى (وأما) العقلى فكقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أي الدين الحق (ودليل انها مجاز لغوى) اختلف العلماء في الاستعارة هل هى مجاز لغوى أو عقلي فذهب الكثير الى انها مجاز لغوي نظرا الى استعمال الاسد في غير ما هو له عند التحقيق فانا وان ادعينا للشجاع الاسدية فلا نتجاوز في هذه الدعوى حديث الشجاعة حتى ندعى للرجل صورة الاسد وهيئته وعبالة عنقه ومخالبه وسائر أوصافه الظاهرة البادية للعيون ولئن كانت الشجاعة من أخص أوصاف الاسد وأمكنها فان اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل لها في مثل تلك الجثة وهاتيك الصورة والهيبة وتلك الانياب والمخالب الى سائر مايعلم من الصور الخاصة في جوارحه كلها ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة التى تعرفها وحدها لكان صفة لا اسما ولكان كل شيء يفضى فى شجاعته الى ذلك الحد مستحقاً للاسم استحقاقاً حقيقياً لا على طريق التشبيه والتأويل وذهب آخرون الى انها مجاز عقلى بمعنى ان التصرف فى أمر عقلى لا لغوى لانها لا تطلق على المشبه الا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به لان نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الاعلام المنقولة كيزيد ويشكر استعارة ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لانه لا بلاغة فى اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه ولما صح ان يقال لمن قال رأيت أسدا يعني زيدا انه جعله أسدا كما لا يقال لمن سمى ولده أسدا انه جعله

في أمْرٍ عقْليّ لا لُغَويّ لانَّها لَمَّا لَمْ تُطلَقْ على المشبهِ إلاَّ بعدَ

أسدا لان جعل اذا تعدى الى مفعولين كان بمعنى صير فافاد اثبات صفة للشيء فلا تقول جعلتــه أميرا الا على معنى انك أثبت له صفة الامارة وعليه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً المعنى أنهم أثبتوا للملائكة صفة الانوثة واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذاالاعتقاد صدر عنهم اطلاق اسم الاناث عليهم لا أنهم أطلقوا من غــير اعتقاد ثبوت معناه لهم بدليل قوله أشهدوا خلقهم واذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملا فيما وضع له قالوا ولذلك صح التعجب في قول ابن العميد

قامت تظللنى من الشمس * نفس أعز عليّ من نفسي

قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

والنهى عن التعجب فى قول أبي الحسن بن طباطبا

يا من حكى الماء فرط رقته * وقلبــه من قساوة الحجر

يا ليت حظى كحظ ثوبك من * جسمك ياواحدا من البشر

لا تعجبوا من بلى غلالته * قدزرَّ أزرارهعلىالقمر(١)

وقول الآخر

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحياناً فيبليها

فكيف تنكر ان تبلى معاجرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها(٢)

---

(١) البلى من بلى الثوب خلق والغــلالة شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع (٢) المعاجر جمع معجر كمنبر ثوب تعتجر به المرأة أي تشده على رأسها وثوب يمنى

ادّعاءُ دُخولِه في جنسِ المشبهِ به كانَ استعمالُها فيما وُضِعتْ له ولهذا صحّ التعجبُ في قولِه

قامتْ تُظَلِّلُني مِنَ الشَّمْسِ ... نفسٌ أعزُّ عليَّ مِنْ نَفسي

قامتْ تُظَلِّلُني ومِنْ عجبٍ ... شمسٌ تُظَلِّلُني مِنَ الشَّمْسِ

والنهيُ عنهُ في قولِه

لا تَعجَبوا من بِلى غلالَتِه ... قد زَرَّ أزرارَهُ على القَمَرِ

وَرُدَّ بأنَّ الادّعاءَ لا يقتضي كونَها مُستعمَلةً فيما وُضِعتْ له

فلولا ان ابن العميد ادعى لغلامه معنى الشمس الحقيقى لما كان لهذا التعجب معنى فليس ببدع ولا منكر ان يظلل انسان حسن الوجه انساناً ويقيه وهجاً بشخصه ولولا ان ابا الحسن جعل صاحبه قمرا حقيقياً لما كان للنهى عن التعجب معنى لان الكتان انما يسرع اليه البلى حين يلابس القمر الحقيقى لا انساناً بلغ فى الحسن غايته وكذلك القول في شعر ثالث الشعراء • اجاب الفريق الاول عن هذا بان ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به لا يخرجه عن كونه مستعملا فى غير ما وضع له واما التعجب والنهى عنه فيما ذكر فلبناء الاستعارة على تناسى التشبيه قضاء لحق المبالغة فان قيل اصرار المتكلم على ادعاء الاسدية للرجل ينافى نصبه قرينة مانعة من ان يراد به السبع المخصوص فانا نقول لا منافاة هناك قال صاحب المفتاح وجه التوفيق هو ان تبنى دعوى الاسدية للرجل

وأمّا التَّعَجُّبُ والنَّهيُ عنه فَلِلبناءِ على تَناسِي التشبيهِ قَضاءً لِحَقّ المبالغةِ والاستعارةُ تُفارِقُ الكَذِبَ بالبِنَاءِ على التأويلِ

على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل متعارف وهو الذى له غاية جراءة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة وغير متعارف وهو الذى له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء فى عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من جنس الطير حين قال

نحن قوم ملجن في زى ناس * فوق طير لها شخوص الجمال

مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من نحو حكمهم اذا رأوا أسداً هرب عن ذئب انه ليس باسد واذا رأوا انساناً لا يقاومه احد انه ليس بانسان وانما هو اسد او هو اسد فى صورة انسان وان تخصص تصديق القرينة بنفيها المتعارف الذى يسبق الى الفهم ليتعين ما انت تستعمل الاسد فيه ومن البناء على هذا التنويع قوله تحية بينهم ضرب وجيع*(١) وقولهم عتابك السيف • وقوله عز وجل يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم ومنه قوله

وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس(٢)

(بالبناء على التأويل) فى دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل افراد المشبه به قسمين كما مر والكاذب يتبرأ من التأويل (ونصب القرينة على

(١) صدره * وخيل قد دلفت لها بخيل * والبيت لعمرو بن معديكرب

(٢) اليعفور ولد البقرة الوحشية والعيس الابل البيضاء

وَنَصْبِ القَرِينَةِ على ارادةِ خِلَافِ الظاهرِ ولا تكونُ عَلَمًا لِمنَافَاتِهِ الجنسيَّةَ إلَّا اذا تَضَمَّنَ نَوْعَ وَصْفيَّةٍ كحَاتِمٍ : وقرينتها إمَّا أمرٌ واحدٌ كما في قوله رأيتُ أسَدًا يَرْمِي أوْ أكْثَرُ كقولِهِ

فان تَعافُوا العدلَ والإِيمانَا فَانَّ في أيمَانِنا نيرَانَا

ارادة خلاف الظاهر) والكاذب لا ينصب دليلا على خلاف زعمه وانى ينصب وهو لترويج ما يقول راكب كل صعب وذلول (ولا تكون علماً) لانها تعتمد ادخال المشبه فى جنس المشبه به بجعل افراده قسمين كما سبق وذلك غير ممكن في العلم لمنافاته الجنسية لانه يقتضى التشخص ومنع الاشتراك والجنسية تقتضى العموم وتناول الافراد واستدل فى الايضاح على انها لا تكون علماً بان العلم لا يدل الا على تعين شيء من غير اشعار بانه انسان او فرس او غيرهما فلا اشتراك بين معناه وغيره الا فى مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التى لا يكفى شيء منها جامعاً فى الاستعارة (الا اذا تضمن نوع وصفية) بسبب اشتهاره بوصف من الاوصاف كحاتم فانه يتضمن الاتصاف بالجود وحينئذ يجوز ان يشبه شخص بحاتم فى الجود ويتأول فى حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود سواء كان ذلك الرجل المعهود من طي او غيره كما جعل اسد كأنه موضوع للشجاع سواء كان متعارفا او غيره فبهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد الغير المتعارف وهو من يتصف بالجود لكن استعماله فى غير المتعارف يكون استعمالا فى غير الموضوع له فيكون استعارة نحو رأيت اليوم حاتماً (كقوله فان تعافوا) فتعلق قوله

أو معانٍ ملتئمةٌ كقوله

وصاعقةٍ مِنْ نَصْلِهِ تَنْكفي بها

على أرؤُسِ الاقرانِ خمسُ سحائبِ

وهيَ باعتبار الطرفَيْن قسمان لانَّ اجتماعهما في شيءٍ اِما مُمكنٌ نحوُ أحييناهُ في قولِه تعالى أو مَنْ كان ميْتاً فأحييناهُ أي ضالاً فهديناهُ ولْتسمَّ وفاقيةً وَاِمَّا مُمْتنعٌ كاستعارةِ اسم

تعافوا بكل من العدل والايمان قرينة على ان المراد بالنيران آلة الحرب التي تشبهها في اللمعان لدلالته على ان جوابه انهم يحاربون ويقسرون على الطاعة بالسيف (او معان ملتئمة) اى مربوط بعضها ببعض يريد ان تكون القرينة امراً مركباً (كقوله) اى البحترى : فانظر ماذا صنع حين اراد استعارة السحائب لانامل يمين الممدوح تفريعاً على ما جرت به العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال اخرى . ذكر ان هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال على أرؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد جميع أنامل اليد فجعل ذلك كله قرينة لما أراد من استعارة السحائب للانامل (نحو احييناه) والاحياء والهداية لاشك في جواز اجتماعهما في شيء وانما قال نحو أحييناه لان الطرفين في استعارة الميت للضال مما لم يمكن اجتماعهما في شيء اذ الميت لا يوصف بالضلال (واما ممتنع) والمراد به ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد

المعدُوم للمَوْجودِ لعدَم غَنائهِ ولْتسمَّ عنادِيَةً ومنها التَّهكُّمِيَّةُ والتَّمليحيَّةُ وهما ما استُعمِلَ في ضدِّهِ أوْ نقيضهِ لِما مرَّ نحوُ فبشّرهمْ بعذابٍ أليمٍ وباعتبار الجامع قِسمانِ لانَّهُ إمّا داخِلٌ في مفهومِ الطرَفيْنِ نحوُ كُلَّما سَمعَ هَيْعةً طارَ

بالصفة وان كانت موجودة لخلوها مما هو ثمرتها والمقصود بها وما اذا خلت منه لم تستحق الشرف (كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم غنائه) أى لانتفاء نفعه كما فى المعدوم وكذلك استعارة اسم الموجود للمعدوم اذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه فيكون مشاركا للموجود فى ذلك أو اسم الميت للحي الجاهل لانه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم فيكون مشاركا للميت فى ذلك ولذلك جعل النوم موتاً لان النائم لا يشعر بما بحضرته كما لا يشعر الميت أو للحي العاجز لان العجز كالجهل يحط من قدر الحي (ولتسم عنادية) لتعاند طرفيها فى الاجتماع (لما مر) فى التشبيه ان التضاد أو التناقض كلاهما ينزل منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم (نحو فبشرهم بعذاب أليم) أي أنذرهم استعيرت البشارة التى هي الاخبار بما يظهر سرور المخبر به للانذار الذى هو ضدها بادخاله فى جنسها على سبيل التمليح والاستهزاء (نحو كلما) نحوه قول امرأة من بنى الحرث ترثى قتيلا

لو يشا طار به ذو ميعة * لاحق الآطال نهد ذو خُصَلْ (١)

(١) الميعة أول جرى الفرس وأنشطه والآطال جمع اطل بكسر

اليهَا وهو دَاخِلٌ فيهما وإمّا غيرُ دَاخِلٍ كما مرَّ وأيضاً إمّا عامّة

وقول بعض العرب

وطِرت بمنصلي فى يعملات * دوامى الايد يخبطن السريحا

يقول انه قام بسيفه مسرعاً الى نوق فعقرهن ودميت ايديهن نخبطن السيور المشدودة على أرجلن ٠ ٠ ومن هذا القسم استعارة التقطيع لتفريق الجماعة وابعاد بعضهم عن بعض فى قوله تعالى وقطعناهم فى الارض أمما فان القطع موضوع لازالة الاتصال بين الاجسام التى بعضها ملتزق ببعض فالجامع بينهما ازالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومهما وهي فى القطع أشد ٠ واستعارة الخياطة لزرد الدرع فىقول القطامي

لم تلق قوماهم شرّ لاخوتهم * مناعشية يجري بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقدبها * ما كانخاطعليهم كلزراد(١)

فان الخياطة تضم خرق القميص والزَرْدُ يضم حلق الدرع فالجامع بينهما الضم الذي هو داخلفى مفهومهما وهوفىالاولأشد. واستعارة النثر لاسقاط المنهزمين وتفريقهم فى قول ابي الطيب

نثرتهم فوق الاحيدب نثرة * كمانثرتفوقالعروسالدراهم(٢)

لان النثران تجتمع أشياء فى كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة من غير ترتيب ونظام وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه

فسكون وبكسرتين وهى الخاصرة والمراد ضامر الجنبين والنهد بالفتح الفرس العظيم المشرف وخصل الشعر معروفة

(١) نقريهم نضيفهم واللهذم من السنان الحاد والقد الشق والزراد صانع الدرع (٢) الاحيدب اسم جبل

وهيَ المبْتَذَلةُ لِظهور الجامع فيها نحوُ رأيتُ أسدا يَرْمي أو خاصيّةٌ وهي الغريبةُ والغَرَابَةُ قد تكونُ في نَفْسِ الشَّبهِ كقوله * وَإِذَا احتَبي قَرَبُوسَه بعنانه *

المخصوص وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين فى الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ونسبه الى الممدوح لانه سببه هذا واما قوله كلما سمع هيعة طار اليها فهو جزء حديث ولفظه خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار اليها أو رجل فى شعفة فى غنيمة له يعبدالله تعالى حتى يأتيه الموت قال الزمخشري الهيعة الصيحة التى يفزع منها وأصلها من هاع يهيع اذا جبن والشعفة رأس الجبل والمعنى خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه واستعد للجهاد فى سبيل الله أو رجل اعتزل الناس وسكن فى رؤس بعض الجبال فى غنم له قليل يرعاها ويكتفى بها فى امر معاشه ويعبد الله حتى يأتيه الموت (كما مر) من استعارة الاسد للرجل الشجاع والشمس للوجه المتهلل ونحو ذلك (وهى الغريبة) التى لا يظفر بها الا من ارتفع عن طبقة العامة (كما فى قوله) أى قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له بانه مؤدب وانه اذا نزل عنه والقى عنانه فى قربوس سرجه وقف مكانه الى ان يعود اليه • القربوس مقدم السرج والشكيم الحديدة المعترضة فى فم الفرس • شبه هيئة العنان فى موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب فى موقعه من ركبة المحتبى فكانت الاستعارة غريبة لغرابة الشبه (قال). وقد تحصل الغرابة بتصرف فى العامية بان يكون التشبيه مشهوراً ولكنه يذكر على وجه بديع كما فى قول كثير عزة

وقد تَحصلُ بتصرُّفٍ في العاميّة كما في قوله

* وسالَتْ بأعناقِ المَطيِّ الاباطحُ *

إِذْ أسنَدَ الفعلَ الى الاباطحِ دُونَ المَطيِّ وَأعناقِها وأَدخلَ الاعناقَ في السَّيرِ وباعتبار الثلاثةِ ستةُ أقسامٍ لانَّ الطرَفَينِ

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على دهم المطايا رحالنا * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح

المقصود وسالت فانه اراد ان الابل سارت سيراً حثيثاً فى غاية السرعة وكانت سرعة فى لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت فى تلك الاباطح فجرت بها ومثلها فى الحسن وعلو الطبقة فى هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز

سالت عليه شعاب الحي حين دعا * انصاره بوجوه كالدنانير

أراد انه مطاع فى الحى وانهم يسرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لخطب الا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا وتنصب من هذا المسيل وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد اللطف والغرابة وذلك ان أسند الفعل الى الاباطح والشعاب دون المطى أو أعناقها والانصار أو وجوههم حتى أفاد انه امتلأت الاباطح من الابل والشعاب من الرجال كما فى قوله تعالى واشتعل الرأس

ان كانا حِسّيَّيْنِ فالجامعُ إمّا حِسّيٌّ نحو فأخرجَ لهم عجلاً فإنَّ المستعارَ منه ولدُ البقرةِ والمستعارَ له الحيوانُ الذي خلقهُ اللهُ تعالى من حُلِيّ القبطِ والجامعُ لهما الشكلُ والجميعُ حِسّيٌّ وإمّا عقليٌّ نحوُ وآيةٌ لهم الليلُ نَسْلَخُ منه النهارَ فَإِنَّ المستعارَ منه كَشْطُ الجلدِ عنْ نحو الشاةِ والمستعارَ له كشفُ الضَّوْءِ عن

شيئا وفى كل واحد منهما شيء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة والغرابة أما الذى فى الاول فهو انه أدخل الاعناق فى السير فان السرعة والبطء فى سير الابل يظهران غالباً فى أعناقها وأما الذى فى الثاني فهو انه قال عليه فعدى الفعل الى ضمير الممدوح بعلى فأكد مقصوده من كونه مطاعا فى الحى هذا وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لالحاق الشكل بالشكل كقول أمرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه   وأردف أعجازاً وناء بكلكل

أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صلبا يتمطي به اذ كان كل ذى صلب يزيد شيء فى طوله عند تمطيه وبالغ فى ذلك بان جعل له أعجازا يردف بعضها بعضاً ثم أراد ان يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط لمكابده فاستعار له كلكلا ينوء به وقال الشيخ عبد القاهر لما جعل الليل صلباً قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له اعجازا قد أردف بها الصلب وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى له جملة اركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده اذا نظر قدامه واذا نظر خلفه واذا رفع البصر

مكانَ الليلِ وَهُمَا حِسيَّانِ والجامعُ مايُعقَلُ من ترتُّبِ أمْرٍ على آخَرَ وإمّا مُخْتلفٌ كقولكَ رأيتُ شمساً وأنتَ تُريدُ انسـاناً كالشمسِ في حُسْنِ الطَّلْعَةِ ونَباهةِ الشأنِ وإلاَّ فهما إما عقليَّانِ نحوُ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقدِنا فانَّ المستعارَ لهالموتُ والجامعُ عَدَمُ ظهورِ الفعلِ والجميعُ عقليٌّ وإمّا مُختلفانِ والحِسّيُّ هوَ المستعارُ منه نحوُ فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ فانَّ المستعارَ منه كسرُ الزُّجاجَةِ وهو حِسّيٌّ والمستعارَ له التبليغُ والجامعُ التأثيرُ وهما

ومده فى عرض الجو (مكان الليل) ماتي ظله (والجامع مايعقل من ترتب امر على آخر) كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وترتب الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل (هذا) وقد وقع فى عبارة الشيخ عبد القاهر والسكاكي ان المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل . وظاهر ان المراد بالظهور فى كلامهما التميز اي تميز النهار عن ظلمة الليل (نحو فاصدع بما تؤمر) فكأنه قيل ابن الامر ابانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة ونظير الآية قوله تعالى ضربت عليهم الذلة اى جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون فى القبة من ضربت عليه او جعلت ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فالمستعار منه اما ضرب القبة على الشخص واما ضرب الطين على الحائط وكلاهما حسى والمستعار له حالهم مع الذلة

عقليَّانِ وإِمَّا عكسُ ذلك نحوُ إِنَّا لمَّا طغَى الماءُ حملنا كم في الجاريةِ فانَّ المستعارَ له كثرةُ الماءِ وهو حِسّيٌّ والمستعارَ منه التكبُّرُ والجامعُ الاستعلاءُ المفرطُ وهما عقليَّانِ وباعتبارِ اللفظ قِسمَانِ لانَّهُ إِنْ كان اسمَ جنسٍ فاصلية كاسدٍ وقتلٍ والاَّ فتبعيَّةٌ كالفعلِ وما يُشتَقُّ منه والحرفِ فالتشبيهُ في الاوَّلَيْنِ لمعنَى المصدرِ وفي الثالثِ لِمتَعلَّقِ معنَاهُ كالمجرورِ في زيدٌ في

والجامع الاحاطة او اللزوم وهما عقليان (اسم جنس) هو ما دل على ذات صالحة لان تصدق على كثيرين ولو تأويلا من غير اعتبار وصف من الاوصاف فدخل نحو اسد ونحو قتل الاول اسم عين والثانى اسم معني ونحو حاتم من قولك رأيت اليوم حاتماً وخرج بقولنا الصالحة لان تصدق على كثيرين الاعلام التى لم تتضمن وصفية والمضمرات واسماء الاشارة وقولنا من غير اعتبار وصف من الاوصاف خرج به المشتقات كضارب فانه اسم وضع لذات متصفة بالضرب (وما يشتق منه) كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وافعل التفضيل واسماء الزمان والمكان والآلة (الاولين) اى الفعل وما يشتق منه (الثالث) اى الحرف (كالمجرور في زيد في نعمة) أما السكاكى فانه قال واعنى بمتعلقات معاني الحروف ما يعبر به عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناها ابتداء الغاية والى معناها انتهاء الغاية وكي معناها الغرض فهذه ليست معانى

نعمةٍ فيقَدَّرُ في نطقتِ الحالُ والحالُ ناطقةٌ بكذا للدّلالةِ بالنُّطقِ وفى لامِ التعليلِ نحوُ فالتقطَهُ آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدُوًّا وحزَنًا للعداوةِ والحُزنِ بعد الالتقاطِ بعلّتهِ الغائيّةِ: ومدارُ

الحروف والا لما كانت حروفاً بل اسماء لان الاسمية والحرفية انما هى باعتبار المعنى وانما هي متعلقات لمعانيها أى اذا افادت هذه الحروف معانى رجعت تلك المعاني الى هذه بنوع استلزام • وهذا الذي ذكره السكاكى هو ما جري عليه علماء هذا الفن (فيقدر) اى حيث كان التشبيه لمعنى المصدر ولمتعلقات معنى الحروف فيقدر فى قولنا نطقت الحال بكذا والحال ناطقة بكذا لدلالة الحال بنطق الناطق فى اتضاح المعنى للذهن ثم تدخل الدلالة فى جنس النطق فيستعار لها لفظ النطق ثم يشتق منه الفعل والصفة فتكون الاستعارة في المصدر اصلية وفى الفعل والصفة تبعية ويقدر فى لام التعليل (١) نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط كالمحبة والتبنى فى الترتب على الالتقاط والحصول بعده ثم استعمل فى العداوة والحزن ما كان حقه ان يستعمل فى العلة الغائية • وهذا الذى ذكره المصنف مأخوذ من كلام صاحب الكشاف حيث قال • معنى التعليل فى اللام وارد على طريق المجاز لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط

---

(١) ويقدر فى قوله تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل للجذوع بالاوعية ثم للمصلوب بالموعى فاستعيرت فى تبعا لذلك وقس على هذا مثله

قرينتها في الأوَّلَيْنِ على الفاعلِ نحوُ نطقت الحالُ أو المفعولِ

نحوُ * قتلَ البُخلَ وأحيا السَّماحا *

ونحوُ * نَقْرِيهمْ لَهْذَمياتٍ نَقُدُّ بها *

أو المجرورِ نحوُ فبشّرْهم بعذابٍ أليمٍ وباعتبارٍ آخرَ ثلاثةُ اقسامٍ

ان يكون لهم عدواً وحزناً ولـكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم وثمرته شبه بالداعى الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله ثم قال وهذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد (وبعد) فللقوم فى هذا المقام كلام طويل عريض ليس من سنتنا فى هذا الشرح التعرض لمثله فراجعه هناك ان شئت (قال) المصنف ومدار قرينة الاستعارة التبعية فى الافعال والصفات المشتقة منها على نسبتها الى الفاعل كقولك نطقت الحال بكذا : الحال ليس ممن ينطق حقيقة فدل ذلك على ان المراد بالنطق الدلالة او الي المفعول كقول ابن المعتز

جمع الحق لنـا فى امام   قتل البخل واحيي السماحا

فالذى دل على ان قتل واحيي مستعاران انمـا هو اسنادهما الى البخل والسماح ولو قال قتل الاعدا واحيي الاحياء لم يكن قتل استعارة بوجه وكذلك احيي او المفعول الثاني كقول القطامى

لم تلق قوما هم شر لاخوتهم   منا عشية يجرى بالدم الوادى

نقريهم لهذميات نقد بهـا   ما كان خاط عليهم كل زراد

مطلقةٌ وهي مالم تَقْتَرِنْ بِصِفَةٍ ولا تفريع وَ المُرَادُ المعنويةُ لا النعتُ النحويُّ ومجرَّدَةٌ وهي ماقُرِن بمَا يُلائم المستعارَ له كقوله * غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً *

الاهذم من الاسنة القاطع فاراد بلهذميات طعنات منسوبة الى الاسنة القاطعة او اراد نفس الاسنة والنسبة للمبالغة كاحمرى والقد القطع وزرد الدرع وسردها نسجها • فاسناد القرى الى اللهذميات قرينة على ان نقريهم استعارة : او الى المجرور نحو فبشرهم بعذاب اليم فذكر العذاب قرينة على ان بشر استعارة (بصفة ولا تفريع) أى صفة تلائم احد الطرفين او تفريع كلام كذلك اعلم ان الملائم اذا كان من تتمة الكلام الذى فيه الاستعارة فهو صفة وان كان كلاماً مستقلا جيء به بعد ذلك الكلام فهو تفريع سواء كان بحرف التفريع او لا (كقوله غمر الرداء) فقد استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء فنظر الى المستعار له والبيت لكثيّر عزة وتمامه: غلِقت لِضَحكته رقاب المال: اي اذا تبسم غلقت رقاب امواله في ايدى السائلين يقال غلق الرهن فى يد المرتهن اذا لم يقدر على انفكاكه ونظير البيت قوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث قال اذاقها ولم يقل كساها فان المراد بالاذاقة اصابتهم بما استعير له اللباس كانه قال فاصابها الله بلباس الجوع والخوف قال الزمخشرى الاذاقة جرت عندهم مجري الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق

ومرشَّحةٌ وهي ماقُرِن بمـا يُلائِمُ المستعارَ منه نحوُ أولئـك الذين اشـتَرَوُا الضـلالَة بالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تجارَتُهُمْ وقـد يجتَمِعانِ كقوله

لَدَي أَسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ
لَهُ لِبَـدٌ أَظفارُه لَمْ تُقَلَّمِ

فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع فان قيل الترشيح ابلغ من التجريد فهلا قيل فكساها الله لباس الجوع والخوف قلنا لان الادراك بالذوق يستلزم الادراك باللمس من غير عكس فكان في الاذاقة اشعار بشدة الاصابة بخلاف الكسوة فان قيل لم لم يقل فاذاقها الله طعم الجوع والخوف قلنا لان الطعم وان لاءم الاذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان ان الجوع والخوف عم اثرهما جميع البدن عموم الملابس (نحو اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) فانه استعار الاشتراء للاختيار وقفاه بالربح والتجارة الذين هما من متعلقات الاشتراء فنظر الى المستعار منه ٠ومن هذا الباب قول الشاعر

ينازعني ردائي عبد عمرو   رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني   ودونك فاعتجر منه بشطر

فانه استعار الرداء للسيف لنحو ماسبق ووصفه بالاعتجار الذي هو وصف الرداء فنظر الى المستعار منه (كقوله لدى اسد) فقوله شاكي السلاح

والترشيحُ أَبلغْ لِاشتمالهِ على تحقيقِ المبالغةِ وَمَبْناهُ على تناسي

مقذف تجريد لانه وصف يلائم المستعار لهوقوله له لبد اظفاره لم تقلم ترشيح لانهوصف يلائم المستعار منه (والترشيح ابلغ) الترشيح الذى هو ذكر ملائم المستعار منه ابلغ من الاطلاق والتجريد لاشتماله على تحقيق المبالغة في التشبيه ولهذا كان مبناه على تناسى التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى انه يوضع الكلام فى علو القدر وسمو المنزلة وضعه في علو المكان كما قال ابو تمام يمدح يزيد الشيبانى

ويصعد حتى يظن الجهو ل بان له حاجة في السماء

فلولا ان قصده ان ينسى التشبيه ويرفعه بجهده ويصمم على انكاره وجحده فيجعله صاعدا في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه ومن ابلغ ما يكون فى هذا المعنى قول ابن الرومى

اعلم الناس بالنجوم بنو نو بختَ علما لم يأتهم بالحساب
بل بان شاهدوا السماء سموًّا بترقٍ فى المكرمات الصعاب
مبلغاً لم يكن ليبلغه الطا لب الا بتلكم الاسباب

واعاده فى موضع آخر فزاد الدعوى قوة ومر فيها مرور من يقول صدقا ويذكر حقا

يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا
ان صح علم النجوم كان لكم حقاً اذا ما سوا كم انتحلا
كم عالم فيكم وليس بان قاس ولكن بان رقى فعلا
اعلا كم فى السماء مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الام ر الى ان بلغتم زحلا

التَّشبيهِ حتى إِنَّهُ يُبنَى على علُوِّ القَدْرِ مايُبْنَى على المكان كقوله

وَيَصْعَدُ حتى يَظُنَّ الجهولُ　　بأنَّ له حاجةً في السَّمَاءِ

ومنه قول بشار

اتتني الشمس زائرة * ولم تك تبرح الفلكا

وقول المتنبي

كبرت نحو ديارهم لما بدت　　منها الشموس وليس فيها المشرق

وقوله

ولم ار قبلى من مشى البدر نحوه　　ولا رجلا قامت تعانقه الاسد

ومنه ما مر من التعجب فى قوله

قامت تظللنى ومن عجب　　شمس تظللنى من الشمس

والنهى عن التعجب فى قوله

لاتعجبوا من بلى غلالته　　قد زر ازرار على القمر

او ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا امر التشبيه وراء ظهورهم، وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم يجر منهم على بال ولم يروه ولا طيف خيال واذا كانوا مع التشبيه والاعتراف بالاصل يسوغون ان لا يبنوا الا على الفرع ويقولون

هى الشمس مسكنها فى السماء　　فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود　　ولن تستطيع اليك النزولا (١)

او يقولوا

(١) البيتان للعباس بن الاحنف

ونحوهُ مامرّ من التعجبِ والنهيِ عنهُ واذاجاز البناءُ على الفرع مع الاعتراف بالاصلِ كما في قوله

هيَ الشمسُ مسكنُها في السماءِ * فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا
فانْ تستطيعَ اليها الصعودَ * ولن تستطيعَ اليكَ النزولاَ

وعد البدر بالزيارة ليلا فاذا ما وفى قضيت نذوري
قلت يا سيدى ولم تؤثر الليـل على طلعة الصباح المنير
قال لا احب تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور(١)

او يقولوا

قلت زوري فارسلت انا آتيك سُخْرَه
قلت فالليل كان اخفى وأدنى مسره
* فاجابت بحجة زادت القلب حسره
انا شمس وانما تطلع الشمس بكره

فهم الى تسويغ ذلك مع جحد الاصل فى الاستعارة اقرب ومما له طبقة عالية فى هذا القبيل وشكل يدل على شدة الشكيمة وعلو المأخذ قول الفرزدق

أبي احمد الغيثين صعصعة الذى متى تخلف الجوزاءُ والدّلو يُمطر
أجارَ بنـاتِ الوائدين ومن يجر على الموت تعلم أنه غيرمُخفَرِ

ادعي لابيه اسم الغيث ادعاء من سلم له ذلك ومن لايخطر بباله انه متناول له

(١) الابيات لسعيد بن حميد وكذلك التى بعدها

فمعَ جحدهِ أولى * وأما المركبُ فهو اللفظُ المستعملُ فيما شبه بمعناهُ الاصليّ تشبيهَ التمثيل للمبالغةِ كما يقالُ للمتردّد في أمرٍ اني

من طريق التشبيه وكذلك قول عدى بن الرقاع يصف حمارين وحشيين

يتعاوران من الغبار ملاءة   بيضاء محكمة هما نسجاها
تطوى اذا وردا مكاناً محزناً   واذا السنابك اسهلت نشراها

(واما المركب) كل ما مر عليك من ضروب المجاز وامثلته انما هو فى المجاز المفرد وهذا هو القول فى المجاز المركب المعروف بالتمثيل المجاز المركب هو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى تشبيه التمثيل للمبالغة اى تشبه احدى صورتين منتزعتين من امرين اوامور بالاخرى ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه كما كتب الوليد بن يزيد لما بويع الى مروان بن محمد وقد بلغه انه متوقف فى البيعة له اما بعد فاني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابى هذا فاعتمد على ايهما شئت والسلام . شبه صورة تردده فى المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب فى امر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريد فيؤخر اخرى وكما يقال لمن يعمل فى غير معمل اراك تنفخ فى غير فحم وتخط على الماء والمعنى انك فى فعالك كمن يفعل ذلك وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى ما كان يمتنع منه ما زال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى بلغ منه ما اراد والمعنى انه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجئ الى البعير الصعب فيحكه ويفتل الشعر فى ذروته وغاربه حتى

أراكَ تقدمُ رِجلاً وتؤخر أخرى وهذا يسمى التمثيل على سبيل

يسكن ويستأنس وهذا فى المعنى نظير قولهم فلان يقرد فلانا أي يتلطف به فعل من ينزع القراد من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من أخذه وكذا قوله تعالىَ والارض جميعاً قبضته يوم القيامة المعنى والله أعلم ان مثل الارض فى تصرفها تحت أمر الله وقدرته وانه لا يشذ شئ مما فيها عن سلطانه عز وجل مثل الشيء يكون فى قبضة الآخذ له منا الجامع يده عليه وكذا قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أى يخاق فيها صفة الطي حتى ترى كالكتاب المطوى بيمين الواحد منا وخص اليمين ليكون اعلى وافخم للمثل لانها اشرف اليدين واقواهما والتى لاغناء للاخرى دونها فلا يهش انسان لشئ الابدأ بيمينه فهيأها لنيله ومتى قصد جعل الشئ فى جهة العناية جعل فى اليد اليمنى ومتى قصد خلاف ذلك جعل فى اليسري كما قال البحتري

وان يدى وقد اسندت امري اليه اليوم فى يدك اليمين (١)

وقال ابن ميادة

الم أكُ فى يمنى يديك جعلتنى فلا تجعلينى بعدها فى شمالك

اي كنت مكرما عندك فلا تجعلينى مهانا وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطينى فى المنزل الوضيع وكذا قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب قال الزمخشرى كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا وألق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك

(١) اليه أى الى يونس بن بغا وكان حظيا عند الممدوح وهو المعتز بالله

الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقاً ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلاً ولهذا لا تغير الامثال

وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة • وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقاً من التقييد بقولنا على سبيل الاستعارة ويمتاز عن التشبيه التمثيلي بان يقال له تشبيه تمثيل أو تشبيه تمثيلي والتمثيل متى فشا استعماله كذلك أى على سبيل الاستعارة سمى مثلا ولكون الامثال واردة على سبيل الاستعارة لا تغير ومن هنا لا يلتفت فى الامثال الى مضاربها تذكيراً وتأنيثا وافرادا وتثنية وجمعا بل انما ينظر الى مواردها مثلا اذا طلب رجل شيئاً ضيعه قبل ذلك قيل الصيف ضيعت اللبن بكسر التاء لانه فى الاصل لامرأة واما مايقع فى كلامهم من نحو ضيعت اللبن فى الصيف بتاء المتكلم فليس بمثل بل مأخوذ منه واشارة اليه ولكون المثل مما فيه غرابة استعير لفظه للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة وهذا فى القرآن كثير قال تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا أى حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وقال جل شأنه ولله المثل الاعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة وقال مثلهم فى التوراة أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه وقال مثل الجنة التى وعد المتقون أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ فى بيان عجائبها الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى

﴿ فصلٌ ﴾ قد يُضمَرُ التشبيهُ في النفسِ فلا يُصرَّحُ بشيءٍ من

(فصل) قد تضافرت آراء الناس على انه اذا شبه امر بآخر من غير تصريح بشيءٍ من اركان التشبيه سوى المشبه ودل عليه بذكر ما يخص المشبه به كان هناك استعارة بالكناية وتخييلية لكن اضطربت اقوالهم فى تعيين المعنيين اللذين يطلق عليهما هذان اللفظان ومحصل ذلك يرجع الى ثلاثة اقوال احدها ما يفهم من كلام القدماء والثاني ما ذهب اليه السكاكي والثالث ما اورده المصنف ههنا • ذهب السلف الى ان الاستعارة بالكناية لفظ المشبه به المستعار للمشبه المرموز اليه بشيءٍ من لوازمه الدالة عليه فالمقصود بقولنا اظفار المنية استعارة السبع للمنية كاستعارة الاسد للرجل الشجاع فى قولنا رأيت اسدا لكنا لم نصرح بذكر المستعار اعني السبع بل اجتزأنا عنه بذكر لازمه لينتقل منه الى المقصود كما هو شأن الكناية فالمستعار هو لفظ السبع الغير المصرح به والمستعار منه هو الحيوان المفترس والمستعار له هو المنية وبهذا يشعر كلام صاحب الكشاف فى قوله تعالى ينقضون عهد الله حيث قال شاع استعمال النقض فى ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيءٍ من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما أسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش. وسيجيءُ فى الفصل التالي مذهب السكاكي وستسمع فى هذا الفصل مذهب

اركانه سِوى المشبَّه ويدلُّ عليه بأَن يثبتَ للمشبَّه امرٌ يختصُّ

المصنف اما الشيخ الامام رحمه الله فلم يشعر كلامه بذكر الاستعارة بالكناية وانما دل على ان في قولنا أظفار المنية استعارة بمعنى انه أثبت للمنية ما ليس لها بناء على تشبيهها بما له الاظفار وهو السبع وهذا قريب مما ذكره المصنف في التخييلية قال في أسرار البلاغة الاستعارة على قسمين أحدهما ان ينقل الاسم عن مسماه الاصلي الى شيء آخر ثابت معلوم يمكن ان ينص عليه وذلك قولك رأيت أسداً وأنت تعني رجلا شجاعاً ورنت لنا ظبية وأنت تعني امرأة والثاني ان يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعا لا يبينُ فيه شيء يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم والذى استعير له ومثاله قول لبيد

وغَداةِ ريح قد كَشفتُ وقِرَّةٍ اذ اصبحت بيد الشَّمال زمامها (١)

وذلك انه جعل للشمال يدا ومعلوم انه ليس هناك مشار اليه يمكن ان تجري اليد عليه كاجراء الاسد على الرجل في قولك انبرى لي أسد يزأر ولهذا لا يصح ان يقال اذ اصبحت بشيء مثل اليد للشمال كما يقال رأيت رجلا مثل الاسد وانما يتأتي لك التشبيه في هذا بعد ان تغير الطريقة وتخرج عن الحذو الاول فتقول اذ اصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في الغداة شبه المالك تصريف الشيء بيده فأنت كما تري

(١) القرة والقر البرد يقول كم من غداة تهب فيها الشمال وهي برد الرياح وبردٍ قد ملكت الشمال زمامه قد كففت غادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم وتحرير المعنى وكم من برد كففت غرب غاديته باطعام الناس

بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارةً بالكناية أو مكنياً عنها واثبات ذلك الامر للمشبه استعارةً تخييليةً كما في قول الهذلي

وَاذا المنيةُ أَنشَبَتْ اظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

شبَّهَ المنيَّةَ بالسبعِ في اغتيالِ النفوسِ بالقهرِ والغلبةِ من غيرِ تفرقةٍ بين نفَّاعٍ وضرَّارٍ فأثبتَ لها الاظفارَ التى لا يكملُ ذلك فيه بدونها وكما في قول الآخرِ

وَلَئن نطقتُ بشكرِ برِّكَ مفصحاً

فلسانُ حاليَ بالشكايةِ أنطقُ

تجد الشبه المنتزع ههنا لا يلقاك من المستعار نفسه بل مما يضاف اليه لانك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الاحياء فتجعل المستعار له أعنى الشمال مثلا ذا شيء وغرضك ان تثبت له حكم من يكون له ذلك الشيء وقال أيضاً لاخلاف فى ان لفظ اليد استعارة مع انه لم ينقل عن شيء الى شيء اذ ليس المعنى على انه شبه شيئاً باليد وانما المعنى على انه أراد ان يثبت للشمال يدا (عليه) أى على ذلك التشبيه المضمر فى النفس (بان يثبت للمشبه أمر يختص بالمشبه به) من غير ان يكون هناك أمر ثابت حسيا أو عقلا أجرى عليه اسم ذلك الامر (كما فى قول الهذلى) يعنى أبا ذؤيب من قصيدة قالها وقد هلك له خمس بنين فى عام واحد وكانوا فيمن هاجر الى مصر • التميمة هي الخرزة التي تعلق

شَبَّهَ الحالَ بانسانٍ متكلّمٍ في الدَّلالة على المقصودِ فأثبتَ لها اللسانَ الذي بِهِ قِوامُها فيهِ وكذا قولُ زُهيرٍ

صحَا القلبُ عَنْ سَلمى وَأقْصرَ باطِلُهْ
وعُرِّيَ أفراسُ الصِّبا ورَوَاحِلُهْ

أَرادَ أنّه يبيّنُ أنَّهُ تَرَكَ ما كان يَرْتَكبُهُ زمنَ المحبَّةِ مِنَ الجهلِ وأعرَضَ عَنْ مُعاوَدَتِهِ فبطاتْ آلاتُه فشبَّهَ الصِّبا بجهةٍ من جهاتِ المَسيرِ كالحجّ والتّجارةِ قضي منها الوطرَ فأُهملتْ آلاتُها فأَثْبتَ لها الافراسَ والرواحلَ فالصِّبا مِن الصَّبْوَةِ بمعنى

على الصبي لتكون له حجابا زعموا من العين والجنون هذا وقد مثل المصنف بثلاثة أمثلة الاول ما تكون التخييلية أثبات مابه كمال المشبه به والثانى ماتكون أثبات مابه قوام المشبه به والثالث ماتحتمل الاستعارة فيه ان تكون تخييلية وان تكون تحقيقية فاعرف ذلك (صحا) أى سلا مجازا من الصحو خلاف السكر (واقصر باطله) يقال اقصر عن الشيء اذا أقلع عنه أى تركه وامتنع عنه (وبعد) فقد ظهر لك من كلام المصنف هذا ان الاستعارة بالكناية هي التشبيه المضمر فى النفس قال الشيخ التفتازاني وعلى هذا لا وجه لتسميتها استعارة بل هى مجرد تسمية خالية عن المناسبة قال وهذا التفسير شيء لامستند له فى كلام السلف ولا هو يبتنى على مناسبة لغوية وكأنه استنباط منه والمعنى الصحيح هو ما ذهب

المَيْلِ الى الجهلِ والفُتُوَّةِ ويحتملُ أنَّهُ أرادَ بالافراسِ والرواحلِ دواعِيَ النفوس وشهواتِها والقُوَى الحاصلةَ لها أو الاسبابَ التى قلَّما تتأخذُ في اتِّبَاعِ الغَيِّ إلاَّ أَوَانَ الصِّبا فتكونُ الاستعارةُ تحقيقيةً

﴿ فصل ﴾ عرَّفَ السكاكيُّ الحقيقةَ اللغويةَ بالكلمةِ المستعملةِ فيما وُضِعتْ له من غير تأويلٍ في الوضعِ واحترَزَ بالقيدِ الاخير عن الاستعارةِ على أصحِّ القولَيْنِ فانها مستعملَةٌ فيما

اليه السلف (فصل) تعرض فيه المصنف لما ذهب اليه السكاكي فى الحقيقة والمجاز والاستعارة بالكناية والاستعارة التخييلية وبحث معه فى ذلك (وبعد) فلا يذهب على القارئ ان من سنتنا فى هذا الشرح الابعاد به عن كل ما لاطائل فيه ولا ثمرة له وليس بطالب البلاغة اليه حاجة ومن هنا لا نريد ان نزيد في هذا الفصل على شرح كلام المصنف شيئاً حتى لانزيد الطين بلة والطنبور نغمة ومن تاقت نفسه الى الوقوف على شيء وراء هذا فلينظر فى كتب القوم (الاخير) وهو قوله من غير تأويل في الوضع (على أصح القولين) وهو القول بأن الاستعارة مجاز لغوى فانها على هذا مستعملة فيما وضعت له وضعاً بالتأويل وهو ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به بجعل افراد المشبه به قسمين متعارفا وغير متعارف : وأما على القول بانها مجاز عقلى بمعنى أن التصرف

وُضِعَتْ له بتأويلٍ وعرّف المجازَ اللغويَّ بالكلمة المستعملةِ في غير ماوضعت له بالتحقيقِ في اصطلاحٍ به التخاطبُ معَ قرينةٍ مانعةٍ عن ارادَتهِ وأتَى بقيدِ التحقيقِ لتدْخُلَ الاستعارةُ على مامر وَرُدَّ بأَنَّ الوضعَ اذا أُطلِقَ لايتناولُ الوضعَ بتأويلٍ

فى أمر عقلي وهو جعل غير الاسد أسدا وان اللفظ مستعمل فيماوضع له فيكون حقيقة لغوية فلا يصح الاحتراز عنها (وعرف المجاز اللغوى) بانه الكلمة المستعملة فى غير ماهى موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من ارادة معناها فى ذلك النوع هذا لفظ السكاكي عدل عنه المصنف كما ترى لما فيه من الابهام والخفاء قوله بالنسبة متعلق بالغير واللام فى الغير للعهد أى المستعملة فى معنى غير للمعنى الذي الكلمة موضوعة له فى اللغة أو الشرع أو العرف غيرا بالنسبة الى نوع حقيقة تلك الكلمة حتى لو كان نوع حقيقتها لغويا تكون الكلمة قد استعملت فى غير معناها اللغوى فتكون مجازا لغويا وعلى هذا القياس (على مامر) من انها مستعملة فيماوضعت له بالتأويل لا بالتحقيق فلولم يقيد الوضع بالتحقيق لم تدخل هى فى التعريف لانها ليست مستعملة فى غير ما وضعت له بالتأويل (ورد) يقول ان ماذكره السكاكى مردود لامرين الاول ان الوضع وما يشتق منه كالموضوعة والموضوع له اذا أطلق لايفهم منه الوضع بتأويل وانما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع فلا حاجة الى

وبأن التقييدَ باصطلاحٍ به التخاطبُ لا بُدَّ منه في تعريفِ الحقيقةِ وَقَسَّمَ المجازَ الى الاستعارةِ وغيرِها وعرَّفَ الاستعارةَ بأَنْ تذكُرَ أحَدَ طرَفَيِ التشبيهِ وتُرِيدَ به الآخَرَ مُدَّعياً دخولَ المشبَّهِ في جنسِ المشبَّهِ به وقَسَّمَها الى المصرَّحِ بها والمكنيِّ عنها وعَنَى بالمصرحِ بها أن يكونَ المذكورُ هو المشبهَ بهِ وجعلَ منها تحقيقيةً وتخييليةً وفسَّرَ التحقيقيةَ بما مرَّ وعَدَّ

تقييد الوضع فى تعريف الحقيقه بعدم التأويل وفى تعريف المجاز بالتحقيق قال فى الايضاح اللهم الا ان يراد زياد البيان لاتميم الحد الثاني ان تقييد الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه كالذى عبر به (١) السكاكي اذا كان لابد منه فى تعريف المجاز ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة اذا استعملها المخاطب بعرف الشرع فى الدعا مجازا فلا بد منه فى تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ منه كما سبق وقد أهمله فى تعريفها (وقسم) مهد المصنف بنقل هذا التقسيم للبحث مع السكاكي فى عد التمثيل الذى هو مجاز مركب من الاستعارة التى جعلها قسما من المجاز المفرد (وغيرها) كالمجاز المرسل (منها) أى من الاستعارة المصرح بها (بما مر) أي بما يكون المشبه المتروك متحققا حسا أو عقلا

(١) وهو قوله استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها

التَّمثيلَ مَنها ورُدَّ بأَنَّهُ مُستَلزِمٌ للتركيبِ المنافي للإفرادِ وفَسَّرَ التخييليةَ بما لاتَحَقّقَ لمعناه حسا ولا عقلاً بل هو صورةٌ وهميةٌ مَحَضَةٌ كلفظِ الاظفارِ في قول الهذليِّ فانه لماشبَّهَ المنيةَ بالسَّبُعِ في الاغتيالِ أَخَذَ الوهمُ في تصويرِها بصورته واختراعِ لوازمه لها فاختَرَعَ لها مثلَ صورةِ الاظفارِ ثم أَطلَقَ عليه لفظَ الاظفارِ وفيه تَعَسُّفٌ ويُخَالِفُ تفسيرَ غيرِه لها بجعلِ الشَّيءِ

(منها) أى من التحقيقية (ورد) يقول ان عد التمثيل من الاستعارة التحقيقية التى هى قسم من المجاز المفرد مردود بأن التمثيل على سبيل الاستعارة لايكون الا مركبا كما تقدم فكيف يكون قسما من المجاز المفرد (محضة) لايشوبها شئ من التحقق العقلى أو الحسي (لوازمه) أي مايلازم صورته ويتم به شكله من الهيئات والجوارح وعلى الخصوص مايكون قوام اغتياله للنفوس به من الانياب والمخالب (عليه) أى على ذلك المثل يعنى على الصورة التى هي مثل صورة الاظفار (وفيه تعسف) أى أخذ على غير الطريق لما فيه من كثرة الاعتبارات التي لايدل عليها دليل ولا تمس اليها حاجة (ويخالف تفسير غيره لها بجعل الشيء للشيء) غير السكاكي فسر التخييلية بجعل الشيء للشيء كجعل اليد للشمال في قول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرة ⁂ اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

لِلشيءِ ويَقتضِي أن يكونَ الترشيحُ تخييليةً لِلزوم مِثلِ ماذُكرَ فيهِ وعَنَى بالمكنيِّ عنها أن يكُونَ المذكورُ هو المشبَّهَ على ان

فعلى تفسير السكاكي يجب ان يجعل للشمال صورة متوهمــه شبيهة باليد ويكون اطلاق اليدعايها استعارة تصريحية تخييلية واستعمالا للفظ فى غير ماوضع له وعند غيره الاستعارة هو اثبات اليد للشمال ولفظ اليد حقيقة لغوية مستعملة فى معناه الموضوع له ولهذا قال الشيخ عبد القاهر لاخلاف فى أن اليد استعارة ثم انك لاتستطيع ان تزعم ان لفظ اليد قد نقل عن شيء الى شيء اذ ليس المعنى على انه شبه شيئاً باليد بل المعنى على انه أراد ان يثبت للشمال يدا (للزوم مثل ماذكره فيه)لان الترشيح فيه اثبــات بعض مايخص المشبه به للمشبه الا ان التعبير عن المشبه فى التخييليه بلفظه الموضوع له وفي الترشيح بغير لفظه وهذا لايفيد فرقا (وعني بالمكنى عنها) هذا بحث آخر يقول ان السكاكي أراد بالاستعارة المكنى عنها ان يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه على ان المراد بالمنية فى قول الهذلى واذا المنية أنشبت اظفارها السبع بادعاء السبعية لهــا وانكار ان يكون شيئاً غير السبع بقرينة اضافة الاظفار التى هى من خواص السبع الى المنية فقد ذكر المشبه وهو المنية وأريد به المشبه به وهو السبع قال المصنف وهذا التفسير مردود بان لفظ المشبه فى الاستعارة بالكناية مستعمل فياهوموضوع له على التحقيق للقطع بان المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ولا شيء من الاستعارة مستعملا فى معناه الموضوع له تحقيقا

المرادَ بالمنيةِ السبعُ بادّعاءِ السبعيةِ لها بقرينة اضافةِ الاظفارِ اليها ورُدَّ بأنَّ لفظَ المشبهِ فيهما مستعملٌ فيما وُضعَ له تحقيقاً والاستعارةُ ليست كذلكَ واضافةُ نحوِ الاظفارِ قرينةُ التشبيهِ واختارَ رَدَّ التبعيةِ الى المكنيِّ عنها بجعلِ قرينتها مكنياً عنها

لان السكاكي نفسه فسر الاستعارة بان تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر وجعلها قسما من المجاز اللغوى المفسر بالكلمة المستعملة في غير ماوضعت له قال اما اضافة نحو الاظفار فقرينة التشبيه قال في الايضاح وأما ما ذكره السكاكي في تفسير كلامه من انا ندعي ههنا ان اسم المنية اسم للسبع مرادف للفظ السبع بارتكاب تأويل وهو ان تدخل المنية في جنس السبع للمبالغة في التشبيه ثم تذهب على سبيل التخيل الى ان الواضع كيف يصح منه ان يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية فلا يفيده لان ذلك لا يقتضي كون اسم المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل فيدخل في تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز (واختار رد التبعية الى المكني عنها) واليك ما قاله في آخر فصل الاستعارة التبعية : هذا ما امكن من تلخيص كلام الاصحاب في هذا الفصل ولو انهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية بان قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا الحال التي ذكرها عندهم قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية

والتبعيةِ قرينتَها على نحوِ قوله في المنية وأظفارها وَرُدَّ بانّه إنْ قَدَّرَ التبعيةَ حقيقةً لم تكنْ تخييليّةً لانها مجازٌ عنده فلم تكُنْ المكنيُّ عنها مستلزمةً للتخييليةِ وذلك باطلٌ بالاتفاقِ والا فتكونُ استعارةً فلم يكن ماذهب اليه مغنياً عما ذَكَرَهُ غيرُه

عن المتكلم بوساطة المبالغة فى التشبيه على مقتضي المقام وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة كما تراهم فى قوله

* واذا المنيـة انشبت اظفارها * يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الاظفار لها قرينة الاستعارة وهكذا لوجعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي ابطلت حياته بسيف أو غير سيف فالتحق بالعدم وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة ولوجعلوا أيضاً اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة لكان أقرب الى الضبط (قال) المصنف وهذا مردود لان التبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التى جعلها استعارة بالكناية كنطقت فى قولنا نطقت الحال بكذا لايجوز ان يقدرها حقيقة حينئذ لانه لوقدرها حقيقة لم تكن استعارة تخييلية لان الاستعارة التخييلية عنـده مجاز ولو لم تكن تخييلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخييلية واللازم باطل بالاتفاق فيتعين ان يقدرهـا مجازا واذا قدرها مجازا لزمه ان يقدرها من قبيل الاسـتعارة لكون العلاقة بين المعنيين هى المشابهة فلا يكون ماذهب اليـه مغنيا عن قسمة

﴿ فصلٌ ﴾ حُسْنُ كلٍّ من التحقيقيةِ والتمثيلِ برعايةِ جهاتِ حُسْنِ التشبيهِ وأَنْ لايَشَمَّ رائحتَه لفظاً ولذلك يُوصَى أن يكونَ الشبهُ بين الطرفين جليًّا لئلّا تصيرَ ألغازًا كما لو قيلَ رأيتُ أسدًا وأُريدَ انسانٌ أبخرُ ورأيتُ إبلاً مائةً لاتجدُ فيها راحلةً وأُريدَ النَّاسُ وبهذا ظهرَ أنّ التشبيهَ أعمُّ محلاًّ ويتّصلُ

الاستعارة الى أصلية وتبعية (هذا) ماأحببنا ذكره في هذا الفصل مجتزئين به عما لاطائل تحته مما تشبث به القوم محكمين أنفسهم بين المصنف والسكاكي فان تشوفت الى ذلك فحول نظرك عن كتابنا واعمد به الى أطول العصام ومطول التفتازانى واجمع اليهما حاشيتى عبدالحكيم والجرجانى (جهات حسن التشبيه) مثل ان يكون التشبيه وافيا بافادة ماعلق به من الغرض وان يكون وجه الشبه غير مبتذل بان يكون قريباً لطيفاً لكثرةالتفصيل أو لندرة حضوره فى الذهن الى غير ذلك مما سبق ذكره (وان لايشم رائحته لفظاً) لان ذلك يبطل الغرض من الاستعارة أعنى ادعاء دخول المشبه فى جنس المشبه به (ورأيت ابلامائة لاتجد فيها راحلة) هذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم • الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة يعنى ان المختار من الناس فى عزة وجوده كالنجيبة التى لاتوجد في كثير من الابل (أعم محلا) أى ان كل مايتأتى فيه الاستعارة التحقيقية أو التمثيل يتأتى فيه التشبيه وليس كل مايتأتى فيه التشبيه تتأتي فيه الاستعارة التحقيقية أو التمثيل لجواز ان

بهِ أنهُ اذا قوي الشبهُ بين الطرفين حتى اتحدا كالعلم والنور والشبهةِ والظلمةِ لم يحسنِ التشبيهُ وتعينت الاستعارةُ والمكنيُّ عنها كالتحقيقيةِ والتخييليةُ حسنُها بحسبِ حسنِ المكنيّ عنها

﴿ فصلٌ ﴾ وقد يُطلقُ المجازُ على كلمةٍ تغيَّرَ حكمُ اعرابها بحذف

يكون وجه الشبه فيه خفيا فيصير تعمية والغازا كالمثالين المذكورين (لم يحسن التشبيه) فاذا فهم الرجل المسئلة فانه يقول حصل فى قلبي نور ولا يقول كأن نورا حصل فى قلبي واذا وقع فى شبهة يقول وقعت فى ظلمة ولا يقول كأنى فى ظلمة (كالتحقيقية) فى ان حسنها برعاية جهات حسن التشبيه (بحسب حسن المكنى عنها) لانها لاتكون الا تابعة لها عند المصنف وأما صاحب المفتاح فلما لم يقل بوجوب كونها تابعة للمكنى عنها قال ان حسنها بحسب حسن المكنى عنها متى كانت تابعة لها وقلما تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت فى قول الطائى

لا تسقنى ماء الملام فاننى صب قد استعذبت ماء بكائى

(فصل) اعلم ان الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضي كذلك توصف به لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هو بحقيقة فيها لحذف لفظ أو زيادة لفظ أما الحذف فكقوله تعالى واسأل القرية الاصل واسأل أهل القرية فالحكم الذى يجب للقرية فى الاصل وعلى الحقيقة هو الجر فحذف المضاف واكتسى المضاف اليه اعرابه

لفظٍ أو زيادةِ لفظٍ كقوله تعالى وجاءَ رَبُّكَ واسأَل القَريةَ وقولِه تعالى ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ أيْ أمرُ رَبِّك وأهلَ القريةِ

واعلم ان الحكم بالحذف ههنا انما هو لامر يرجع الى غرض المتكلم حتى لو رأيت سل القرية في غير التنزيل لم تقطع بان ههنا محذوفا فالجواز ان يكون كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد أهلها فاراد ان يقول لصاحبه واعظاً ومذكرا أو لنفسه متعظا ومعتبرا • سل القرية عن أهلها وقل لها ما صنعوا على حد قولهم سل الارض من شق انهارك وغرس أشجارك • وجنى ثمارك • فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا • وأما الزيادة فكقوله تعالى ليس كمثله شيء على القول بزيادة الكاف أي ليس مثله شيء فاعراب مثله في الاصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرا : وعندي ان الكاف ليست بزائدة وان الآية من باب الكناية قال في الكشاف قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه فحينئذ لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكانهما عبارتان متعقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان • فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا

وليس مِثْلَهُ شيٌ (الكنايةُ) لفظٌ أُرِيدَ به لازمُ معناه مع جواز إرادته معه فظهر انها تُخالِفُ المجازمن جهةِ ارادة المعنى الحقيقيِّ للفظ مع ارادةِ لازمه وفرِّق بانّ الانتقال فيها من

بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر حتى انهم استعملوها فيمن لايدله فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لامثال له (هذا) وأما ان كان الحذف او الزيادة لا يوجب تغيير الاعراب كما فى قوله تعالى او كصيب من السماء اذا صله او كمثل ذوى صيب فحذف ذوى لدلالة يجعلون اصابعهم فى آذانهم عليه وحذف مثل لمادل عليه عطفه على قوله كمثل الذى استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه ليس من صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب وكقوله فبما رحمة من الله لنت لهم فلا توصف الكلمة بالمجاز كما حقق ذلك الشيخ الامام رحمه الله (الكناية) هى فى عرف اللغة ان تتكلم بشيء وتريدبه غيره وقد كنيت بكذا عن كذا او كنوت وانشد أبو زياد

وانى لاكنو عن قذور بغيرها . واعرب احيانا بها فاصارح

وفى مصطلح النظار من علماء البيان قال الشيخ الامام ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى فلا يذكره باللفظ الموضوع له فى اللغة ولكن يجيي الى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومي به اليه ويجعله دليلا عليه وقال غير الشيخ الكناية لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ كقولك فلان طويل النجاد اى طويل القامة وفلانة نؤم الضحى أى مرفهة مخدومة غير محتاجة الى السعى بنفسها فى

اللازم وفيه من الملزوم ورُدَّ بأنَّ اللازمَ مالم يكُنْ ملزوماً لم يُنتَقلْ منه وحينئذ يكونُ الانتقالُ من الملزومِ وهي ثلاثةُ أقسامٍ الأُولَي المطلوبُ بها غيرُ صفةٍ ولاَ نِسبةٍ فمنها ماهيَ معنيً واحدٌ كقولِه

اصلاح المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت يسعى فيه نساء العرب وراء المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج اليه فى تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم الا من تكون لها خدم ينوبون عنها فى السعي لذلك • ولا يمتنع ان يراد مع ذلك طول النجاد والنوم فى الضحى من غير تأول فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أى من جهة جواز ارادة المعنى مع إرادة لازمه فان المجاز ينافى ذلك فلا يصح فى نحو قولك فى الحمام أسد ان تريد معنى الاسـد من غير تأول لان المجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما تقدم وملزوم معاند الشئ معاند لذلك الشئ وفرق السكاكي وغيره بينهما بوجه آخر أيضاً وهو ان مبنى الكناية على الانتقال من اللازم الى الملزوم كالانتقال من طول النجاد الذى هو لازم لطول القامة اليه ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم كالانتقال من الاسد الذى هو ملزوم الشجاع الى الشجاع قال المصنف وهذا مردود بان اللازم مالم يكن ملزوما يمتنع ان ينتقل منه الى الملزوم لان اللازم من حيث انه لازم يجوز ان يكون أعم من الملزوم ولا دلالة للعام على الخاص فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم الى اللازم كما فى المجاز فلا يتحقق الفرق (فمنها) أى فمن

* والطاعنينَ مجَامعَ الاضغَانِ *

ومنها ما هيَ مجموعُ معانٍ كقولنا كنايةً عن الانسان حيٌّ مستوِى القامةِ عريضُ الاظفارِ وشرطُهما الاختصاصُ بالمكنىِّ عنه والثانيةُ المطلوبُ بها صفةٌ فان لم يكن الانتقالُ

الاولى (كقوله والطاعنين مجامع الاضغان) فمجامع الاضغان معنى واحد كناية عن القلب وصدر البيت

* الضاربين بكل أبيض مُخذِم *

والمخذم القاطع ونظير البيت قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله للذئب

فاتبعتها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فقوله بحيث يكون الاب والرعب والحقد ثلاث كنايات لا كناية واحدة لاستقلال كل واحدمنها بافادة المقصود (وشرطهما الاختصاص بالمكنى عنه) ليحصل الانتقال منهما اليه (والثانية المطلوب بها صفة) يقول الثانية من اقسام الكناية المطلوب بها صفة من الصفات كالجود والكرم والشجاعة وهو ضربان قريبة وبعيدة القريبة ما ينتقل منها الى المطلوب بها لا بواسطة وهى اما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة طويل نجاده وهذه كناية ساذجة لا يشو بها شيء من التصريح وطويل النجاد وهذه كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه وهى طويل ضمير الموصوف واما خفية يتوقف الانتقال منها على تأمل واعمال روية

بواسطةٍ فقريبةٌ واضحةٌ كقولهم كنايةً عن طول القامةِ طويلٌ نجادُه وطويلُ النِّجادِ والأُولى ساذجةٌ وفي الثانيةِ تصريحُ مّا لتضمُّنِ الصفةِ الضميرَ أو خفيةٌ كقولهم كنايةً

كقولهم كناية عن الابله عريض القفاان عرض القفا وعظم الرأس اذا افرط فيما يقال دليل الغباوة الا ترى الى قول طرفة بن العبد

أنا الرجل الضَّربُ الذى تعرفونه   خَشَاشٌ كرأس الحية المتوقد (١)

والبعيدة ماينتقل منها الى المطلوب بها بواسطة كقولهم كثير الرماد كناية عن المضياف فانه ينتقل من كثرة الرماد الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومنها الى كثرة الطبائخ ومنها الى كثرة الاكلة ومنها الى كثرة الضيفان ومنها الي المقصود وكقوله

وما يك فى من عيب فانى   جبان الكلب مهزول الفصيل

فانه ينتقل من جبن الكلب عن الهرير فى وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لان يعس دونها مع كون الهرير فى وجه من لايعرفه طبيعيا له الى استمرار تأديبه لان الامور الطبيعية لاتتغير بموجب لايقوى ومن ذلك الى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه ومن ذلك الى كونه مقصد ادان وأقاص ومن ذلك الى انه مشهور بحسن قرى الاضياف وكذلك ينتقل من هزال الفصيل الى فقد الام ومنه الى قوة الداعي الى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق

(١) الضرب الرجل الخفيف اللحم ورجل خشاش هو الماضى من الرجال وشبه تيقظه وذكاء ذهنه بتوقد رأس الحية

عن المِضْيافِ فانهُ يُنْتَقَلُ من كَثرةِ الرَّمادِ الى كثرَةِ إحراقِ الحَطَبِ تحتَ القُدُورِ ومنها الى كثرة الطَّبائخ ومنها الى كثرة الاكَلَة ومنها الى كثرةالضِّيفانِ ومنها الىالمقصودِالثالثةُالمطلوبُ

لاسيا المثليات (١) ومنها الىصرفها الى الطبائخ ومنهاالى انه مضياف ومن هذا النوع قول نصيب

لعبد العزيز على قومه وغيرهمو منن ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالزائرين من الأم بالابنة الزائره

فانه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر الى ان الزائرين معارف عنده ومن ذلك الى اتصال مشاهدته اياهم ليلا ونهارا ومنه الى لزومهم سدته ومنه الى تسنى مباغيهم لديه من غير انقطاع ومنه الى وفور احسانه الى الخاص والعام وهو المقصود ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

ومنه قول ابراهيم بن هرمة

لا امتع العوذ بالفصال ولا ابتاع الا قريبة الاجل

فانه ينتقل من عدم امتاعها الى انه لا يبقى لها فصالها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر اليها ومن ذلك الى نحرها أولا يبقي العوذ ابقاء على فصالها وكذا قرب الاجل ينتقل منه الى نحرها ومن نحرها

---

(١) أي التي لها أولاد تتلوها من اتلت الناقة اذا تبعها ولد

بها نسبةٌ كقولهِ

إِنَّ السَّمَاحَةَ والمرُوءَةَ والنَّدَى

في قبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابن الحَشرَجِ

فانه أرادَ أن يُثبتَ اختصاصَ ابن الحشرجِ بهذهِ الصفاتِ فترَكَ التصريحَ بان يقولَ إِنَّهُ مختصٌّ بها أو نحوَه الى الكناية بأن جعلها في قبةٍ مضروبةٍ عليه ونحوُ قولِهم المجدُ بينَ ثوبَيهِ

الى انه مضياف ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى ولما سقط في ايديهم أى ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطاً فيها لان فاه قد وقع فيها (نسبة) أى اثبات أمر لامر اونفيه عنه وهذا معنى قول صاحب المفتاح ان المطلوب تخصيص الصفة بالموصوف ولم يرد بالتخصيص الحصر اذلا وجه له هنا (كقوله) أى قول زياد الاعجم • فانه أراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعاني والاوصاف خلالا للممدوح وضرائب فيه فترك ان يصرح فيقول انها لمجموعة فيه أو مقصورة عليه وما شاكل ذلك مما هوصريح في أثبات الاوصاف للمذكورين بها وعدل الى ما ترى من الكناية والتلويح فجعل كونها فى القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه فخرج كلامه بذلك الى ماخرج اليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان الا كلاما غفلا وحديثاً ساذجا. ومما هو لطيف فى هذا المعنى

والكَرَمُ بين بُرْدَيهِ والموصوفُ في هذَيْنِ القسمين قد يكونُ غيرَ مذكورٍ كما يقال في عرْضِ من يؤْذِي المسلمين المسلمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويدهِ (السَّكاكيُّ) الكنايةُ تتفاوتُ الى تعريضٍ وتلويحٍ ورَمزٍ واشارةٍ وإيماء

قول أبي نواس

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير

وقول الآخر

يصير أبانٌ قرين السما ح وَالمكرمات معا حيث صارا

وقول الثالث * وحيثما يك أمر صالح تكن *

كل ذلك توصل الى اثبات الصفة فى الممدوح باثباتها فى المكان الذى يكون فيه والى لزومها له بلزومها الموضع الذى يحله وهكذا ان اعتبرت قول الشنفرى الازدى يصف امرأة بالعفة

يبيت بمنجاةٍ من اللوم بيتها اذا مابيوت بالملامة حُلَّت

وجدته يدخل فى معنى بيت زياد وذلك انه توصل الى نفى اللوم عنها وابعادها عنه بان نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه وكان مذهبه فى ذلك مذهب زياد فى التوصل الى جعل السماحة والمروءة والندى فى ابن الحشرج بان جعلها فى القبة المضروبة عليه وانما الفرق ان هذا ينفى وذاك يثبت وذلك فرق لافى موضع الجمع فهو لايمنع ان يكونا من نصاب واحد (كما يقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فانه

والمناسبُ للعُرْضيَّةِ التعْرِيضُ ولغـيرها إنْ كَثُرت الوسائطُ التلويحُ وان قلَّتْ معَ خفاءِ الرمزُ وبلا خفاءِ الايماءُ والاشارةُ

كناية عن نفي الاسلام عن المؤذى (والمناسب للعرضـية التعريض) اليك عبارة السكاكي • متى كانت الكناية عُرضية (١) كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسبا (٢) واذا لم تـكن كذلك فان كان بينها وبين المكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما فى كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسبا لان التلويح هو ان تشيرالىغيرك عن بعـد وان كانت المسافة قريبـة مع نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها مناسبا لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال

رمزت الىّ مخافة من بعلها من غير ان تبدى هناك كلامها

وان لم يكن هناك خفاء فالمناسب ان تسمى ايمـاء واشارة كقول ابى تمـام يصف ابلا

أبين فمـا يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن أباسعيد

فانه فى افادة انأبا سعيد كريم غير خاف وكقول البحترى

أو مارأيت المجدألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول

فانه فى افادة ان آل طلحة أماجد ظاهر وكقول الآخر

---

(١)أى مسوقه لموصوف غير مذكور (٢) لا ن التعريض امالةالـكلام الى عرض أى جانب يدل على المقصود يقال عرضت بفلان ولفلاناذا قلت قولا وأنت تعنيه فكأنك اشرت به الى جانب وتريد جانباً آخر

ثم قال والتعريضُ قد يكونُ مجازًا كقولك آذيتني فستعرفُ وأنتَ تُريدُ إنسانًا مع المخاطَبِ دونه وإنْ أردتَهُما جميعا كانَ كنايةً ولا بُدَّ فيهما من قرينةٍ

اذا الله لم يسق الا الكرام   فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكرا   من الغيث في الزمن الممحل

وكقول الآخر

متى تخلو تميم من كريم   ومسلمة بن عمرو من تميم

وأما قوله

سألت الندى والجود مالي أراكما   تبدلتما ذلا بعز مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما   فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما عند موته   فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده   مسافة يوم ثم نتلوه في غد

فعلى ما ترى من الظهور (تكملة) قال صاحب الكشاف الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئاً يدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولا نظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا، وحسبك بالتسليم مني تقاضيا فكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على المقصود ويسمي التلويح لانه يلوح منه ما يريده وقال ابن الاثير الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما وتكون في المفرد والمركب والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي او

﴿ فصـل ﴾ أَطبَقَ البلغاءُ على انَّ المجازَ والكنايةَ أبلغُ من الحقيقةِ والتصريحِ لانَّ الانتقالَ فيهما من الملزومِ الى اللازمِ فهو كدَعْوَى الشئ ببَيّنَةٍ وأَنَّ الاستعارَةَ أبلغْ من التشبيهِ لانها نوعٌ من المجازِ

المجازي بل من جهة التلويح والاشارة فيختص باللفظ المركب كقول من يتوقع صلة والله اني لمحتاج فانه تعريض بالطلب مع انه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً وانما فهم المعنى من عرض اللفظ اى جانبه وعرض كل شيء جانبه (فصل) أجمع ارباب البلاغة واصحاب الصياغة للمعاني على ان المجاز ابدا ابلغ من الحقيقة وان الكناية أبلغ من الافصاح والتعريض اوقع من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا على التصريح بالتشبيه قال الشيخ الامام ليس ذلك لان الواحد من هذه الامور يفيد زيادة فى المعنى نفسه لا يفيدها خلافه بل لانه يفيد تأكيدا لاثبات المعني لا يفيده خلافه فليست فضيلة قولنا رأيت أسدا على قولنا رأيت رجلا هو والاسد سواء فى الشجاعة ان الاول افاد زيادة فى مساواته للاسد فى الشجاعة لم يفدها الثانى بل هى ان الاول افاد تأكيدا لاثبات تلك المساواة له لم يفده الثانى وليست فضيلة قولنا كثير الرماد على قولنا كثير القرى ان الاول افاد زيادة لقراه لم يفدها الثانى بل هى ان الاول افاد تأكيدا لاثبات كثرة القري له لم يفده الثانى فالسبب فى ان للكناية مزية لا تكون للتصريح ان كل عاقل يعلم ان اثبات الصفة باثبات دليلها آكد وابلغ فى الدعوى من ان تجيء اليها فتثبتها هكذا ساذجاً غُفلا وذلك انك لا تدعى

﴿ الفنُّ الثالثُ علمُ البديعِ ﴾

وهو علمٌ يُعرَفُ به وجوهُ تحسينِ الكلامِ بعد رعايةِ المطابقةِ ووضوحِ الدَّلالةِ وهيَ ضربانِ معنويٌّ ولفظيٌّ أَمَّا المعنويُّ

دليل الصفة الاوالامر ظاهر معروف وبحيث لايشك فيه ولايظن بالمخبر التجوز والغلط وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة انك اذا قلت رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما اردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذى يجب له الثبوت والحصول وكالامر الذى نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل او الممتنع ان يعري عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثبات الشيء يترجح بين انيكون وبين ان لا يكون ولم يكن من حديث الوجوب فى شيء (وجوه تحسين الكلام) إعلم انه قد اطبق البلغاء على ان هذه المحسنات البديعية لا سيما اللفظية منها لا تحل محلها من القبول ولا تقع موقعها من الحسن حتى يكون المعنى هو الذى استدعاها وساقها نحوه وحتى تجدها لا تبتغي بها بدلا ولا تجد عنها حِوَلا ومن هنا ذم الاستكثار منها والولوع بها لِان المعانى لا تدين فى كل موضع لها اذ هى فى الغالب الفاظ والالفاظ خدم المعانى مصرفة فى حكمها فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن ازال الشيء عن جهته واحاله عن طبيعته وذلك مظنة الاستكراه وفيه فتح ابواب العيب والتعرض للشين ولهذه الحالة كان كلام المتقدمين الذين تركوا فضل الاحتفاء بالبديعيات ولزموا

فمنهُ المطابقةُ وتُسمى الطِّباقَ والتضادَّ أيضاً وهى الجمعُ بين متضادَّين أي معنيينِ متقابلَين فى الجملةِ ويكونُ بلفظَينِ من

سجية الطبع امكن فى العقول واوضح للمراد واسلم من التفاوت وأبعد من التعمد الذى هو ضرب من الخداع بالتزويق . وقد تجد فى كلام المتأخرين كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بالبديعيات الى ان ينسى انه يتكلم ليفهم ويقول ليبين ويخيل اليه انه اذا جمع بين اقسام البــديع فى بيت فلا ضير ان يقع ما عناه فى عمياء وان يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده كمن أثقل العروس باصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها ولعمرى لن تجد ايمن طائرا واحسن اولا وآخرا واهدى الى الاحسان واجلب للاستحسان من ان ترسل المعانى على سجيتها وتدعها تطلب لانفسها الالفاظ فانها اذا تُرِكتْ وما تريد لم تكتس الا ما يليق بها ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها فأما أن تضع فى نفسك انه لابد من ان تجنس او تسجع بلفظين مخصوصين مثلا فهو الذى انت منه بعُرضِ الاستكراه وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم وهو الذى يجعل عبارتك حرية بقول ابى الطيب

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها　　　واعضائها فالحسن عنك مغيب

(اي معنيين متقابلين فى الجملة) يعنى ليس المراد بالمتضادين ههنا الامرين الموجودين المتواردين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسواد والبياض بل اعم من ذلك وهو ما يكون بينهما تقابل وتناف فى الجملة

نَوْعٍ إِسْمَيْنِ نحوُ وتحسبهُمْ أَيقاظاً وهم رُقُودٌ أو فعلَيْنِ نحوُ يُحيِي ويُميتُ أو حرْفَيْنِ نحوُ لها ما كسَبَتْ وعليها ما اكتسبتْ أو من نَوْعَيْنِ نحوُ أو مَنْ كانَ ميتاً فأحييناهُ وهو ضَرْبانِ

وفى بعض الاحوال سواء كان التقابل حقيقياً او اعتبارياً وسواء كان تقابل التضاد او تقابل الايجاب والسلب او تقابل العدم والملكة أو تقابل التضايف وما يشبه شيئاً من ذلك (نحو يحيي ويميت) مثله قوله تعالى توءتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار • انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقول بشار

اذا ايقظتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

(نحو لها ما كسبت) فان فى اللام معنى الانتفاع وفى على معنى التضرر أى لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وتخصيص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل • ومما كان الطباق فيه بين حرفين قول الشاعر

على انى راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علىّ ولا ليا

(نحو او من كان ميتاً فاحييناه) فان احدهما اسم والآخر فعل ومثله قول طفيل الغنوي يصف فرساً

بساهم الوجه لم تقطع اباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول

(هذا) ومن لطيف الطباق قول ابي تمام

طِباقُ الايجابِ كما مر وطباقُ السَّلْبِ نحوُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمونَ يعلمُونَ ونحوُ فلا تخشوا النَّاسَ واخْشَوْنِ ومن الطِّباقِ نحوُ قولهِ

اصم بك الناعى وان كان اسمعا واصبح مغنى الجود بعدك باقعا

وقالوا هذا احسن ابتداء في مرثية اسلامية • وقوله ايضاً

وضل بك المرتاد من حيث يهتدى وضرت بك الايام من حيث تنفع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً فاصبح يدعى حازماً حين يجزع

ومنه قول كثير بن هراسة لابنه • يابني ان من الناس ناساً ينقصونك اذا زدتهم وتهون عليهم اذا اكرمتهم ليس لرضاهم موضع فتقصده ولا لسخطهم موقع فتحذره فاذا عرفت اولئك باعيانهم فأبدِ لهم وجه المودة وامنعهم موضع الخاصة ليكون ما ابديت لهم من وجه المودة حاجزا دون شرهم وما منعتهم من موضع الخاصة قاطعاً بحرمتهم (وطباق السلب) وهو ان يجمع فى الكلام بين الثبوت والانتفاء • ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشى لايملأ الكف خصرها ويُملأ منها كل حجل ودملج

وقول السموأل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

وقول أبى تمـام

الى سالم الاخلاق من كل عايب وليس له مال على الجود سالم

(ومن الطباق نحو قوله) أى قوم أبي تمـام من قصيدته التى يرثي بها أبا نهشل حين استشهد واولها

تَرَدَّى ثِيَابَ المَوْتِ حُمْرًا فما أتى
لها اللَّيْلُ إلَّا وهيَ مِنْ سُنْدسٍ خُضْرُ

ويَلحَقُ به نحوُ أشدَّاءُ على الكفارِ رُحَماءُ بينهم فإِنَّ الرحمةَ مُسَبَّبَةٌ عن اللينِ ونحوُ قولهِ

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماؤها عذر
وهى لعمرى من أعيان المراثي • وهذا النوع من الطباق سماه بعضهم تدبيجا وفسره بأن يذكر فى معنى المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية اما تدبيج الكناية فكبيت أبي تمام فانه ذكر فيه لوني الحمرة والخضرة وكنى بالاول عن القتل وبالثاني عن دخول الجنة وأما تدبيج التورية فكقول الحريرى • فذ ازور المحبوب الاصفر واغبر العيش الاخضر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فياحبذا الموت الاحمر فقوله المحبوب الاصفر تورية عن الذهب لان معناه القريب الانسان (هذا) ومن طباق التدبيج قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

بانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا

وقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكتاف حمر النصال

(ويلحق به) أى بالطباق شيآن فأولهما الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق مثل السببية واللزوم كما فى الآية فان

لاتَعجَبي ياسَلمُ من رَجلٍ   ضَحِكَ المَشيبُ برأسهِ فبكى

ويُسَمَّى الثاني ايهامَ التضادِ ودَخلَ فيه مايختَصُّ باسم المقابلة وهيَ أَنْ يُؤْتَي بمعنيينِ متوافقَينِ أوْ أكثَرَ ثُم بما يقابلُ ذلكَ على الترتيب والمرادُ بالتوافقِ خلافُ التقابلِ نحوُ فليَضحَكُوا قليلا وليَبكُوا كثيرًا ونَحوُ قوله

الرحمة وان لم تكن مقابلة للشدة فهى مسببة عن اللين الذى هو ضد الشدة وثانيهما الجمع بين منعيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناها الحقيقيان كما فى البيت فانه لاتقابل بين البكاء وظهور المشيب لكنه عبر عن ظهور المشيب بالضحك الذى معناه الحقيقي مقابل للبكاء وهذا البيت لِدِعبل ومثله قول أبي تمام

ما أن ترى الاحساب بيضا وضحا   الا بحيث ترى المنايا سودا

وقوله أيضاً فى الشيب

له منظر في العين أبيض ناصع   ولكنه فى القلب اسود أسفع

(ويسمى الثانى ايهام التضاد) لان المعنيين قد ذكرا بلفظين يوهمان التضاد نظرا الى الظاهر (فيه) أي فى الطباق (مايختص باسم المقابلة) جعله السكاكي وغيره قسما برأسه من المحسنات المعنوية (والمراد بالتوافق خلاف التقابل) فلا يشترط ان يكون المعنيان متناسبين أو متماثلين (نحو فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) مثله قول الذبياني

فتى تم فيه مايسر صديقه   على أن فيه مايسوء الا عاديا

(ونحو قوله) أى قول أبى دلامة ومثله قول أبى الطيب

ما أحْسَنَ الدِّينَ والدُّنيا اذا اجْتَمَعَا

وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ بالرَّجلِ

ونحوُ فأمَّا مَنْ أعطَى واتَّقَى وصَدَّقَ بالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى وأما مَنْ بَخِلَ واستَغْنَى وكَذَّبَ بالحسنى فَسَنُيَسِّرُه للعُسْرَى المرادُ باستغنى أنّهُ زَهِدَ فيما عندَ اللهِ تعالى كأنَّهُ مُستغْنٍ عنه فلم يَتَّقِ أو استغنَى بشهواتِ الدنيا عن نَعيمِ الجنَّةِ فلم يَتَّقِ وزاد السكاكيُّ واذا شُرِطَ هُنَا أَمْرٌ شُرِطَ ثَمَّةَ ضِدُّه كهاتَيْنِ الآيَتَيْنِ فإِنَّهُ لما جُعِلَ التيسيرُ مُشْتَرَكاً بين الاعطاءِ والاتقاءِ والتصديقِ جُعِلَ ضِدُّه مشتركاً بين اضدادِها * ومنه مراعاةُ النَّظيرِ ويُسَمَّى التناسبَ والتوفيقَ وهو جَمْعُ أمرٍ وما

فلا الجود يفنى المال والجد مقبل ولا البخل يبقى المال والجدمدبر

(هذا) وانما كرر المصنف كلمة نحو لانه مثل أولا لما كان فيه مقابلة اثنين باثنين وثانياً لمقابلة ثلاثة بثلاثه وثالثاً لاربعة باربعة والمقابلة فى الآية الثانية مركبة من طباق وملحق به كما لايخفي (وزاد السكاكي واذا شرط) عبارته المقابلة ان تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما ثم اذا شرطت هنا شرطاً شرطت هنالك ضده كقوله تعالى فاما من أعطى الآيتين لما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء

يناسبه لا بالتضادِّ نحوُ الشمسُ والقمرُ بحُسْبانٍ وقولهِ

كالقسيِّ المُعطَّفاتِ بلِ الاسهُمِ مبرِيَّةً بلِ الاوتارِ

ومنها مايُسمِّيهِ بعضهم تشابُهَ الاطرافِ وهو أنْ يختِمَ الكلامُ بما يُناسبُ ابتداءَهُ في المعنى نحوُ لاتدركهُ الابصارُ وهو يُدرِكُ الابصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ ويلحقُ بها نحوُ الشمسُ والقمرُ بحُسبانٍ والنجمُ والشجرُ يسجُدانِ ويسمَّي ايهامَ التناسبِ

والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب (ومنه) أى ومن المعنوى (وقوله) أى قول البحتري فى وصف الابل الانضاء • ومثله قول اسيد بن عنقاء الفزارى

كأن الثريا علقت فى جبينه   وفى خده الشعرى وفى وجهه البدر

وقول ابن خفاجة يصف فرساً

من جلنار ناضر خده   وأذنه من ورق الآس

(نحو لا تدركه الابصار) الآية فان اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبرة تناسب من يدرك شيئاً فان من يدرك شيئاً يكون خبيرا به (نحو الشمس والقمر بحسبان) أى بحساب معلوم وتقدير سوى والنجم النبات الذى يجم من الارض لاساق له كالبقول والشجر الذى له ساق وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له فالنجم بهذا المعنى وان لم يكن مناسباً للشمس والقمر فقد يكون بمعنى الكوكب وهو مناسب لهما ولهذا سمى ايهام التناسب

* ومنه الإِرْصادُ ويُسمِّيهِ بعضُهم التسهيمَ وهو أنْ يُجْعَلَ قَبلَ العَجزِ مِنَ الفقْرَةِ أو مِنَ البيتِ ما يَدُلَّ عليه اذا عُرِفَ الرَّوِيُّ

(ومنه الارصاد) وهو فى الاصل نصب الرقيب فى الطريق من رصدته أي رقبته والرصيد السبع الذى يرصد ليثب والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع المؤنث • وهذا النوع قالوا انه من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض وفى الافتخار به يقول ابن نباتة السعدى

خذها اذا انشدت فى القوم من طرب صدورها عرفت منها قوافيها
ينسي لها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطويها

ومن لطيف هذا النوع قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم

وقول الراعى

وان وزن الحصى فوزنت قومى وجدت حصى ضريبتهم رزينا

وقول البحتري

ابكيكما دمعاً ولو انى على قدر الجوى ابكى بكيتكما دما

وقوله أيضاً

احلَّت دمى من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى حللتِه بمحلل وليس الذى حرمتِه بحرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف القافية وصدر البيت الثاني ان عجزه هو ما قاله البحترى (التسهيم) من البرد المسهم أى المخطط (اذا

نحوُ وما كان اللهُ ليَظلمهمْ ولكن كانوا أنفسَهم يظلمونَ وقوله

إذا لم تستطع شيئاً فدعهْ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

* ومنه المشاكَلةُ وهي ذِكرُ الشيءِ بلفظِ غيرهِ لوقوعهِ في صُحبتهِ تحقيقاً أو تقديرًا فالاولُ نحوُ قوله

قالوا اقترِحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طبخَهُ

قلتُ اطبُخُوا لى جُبّةً وقميصاً

ونحوُ تعلَمُ مافي نفسي ولا أعلمُ مافي نفسِك والثاني نحو صِبغةَ اللهِ وهو مصدرٌ مؤكّدٌ لآمنّا باللهِ أي تطهيرَ اللهِ لإنَّ الإيمانَ يُطهّرُ النفوسَ والاصلُ فيهِ أَنَّ النصارَى كانوا

لم تستطع) هو لعمرو بن معديكرب (نحو قوله) أى قول ابن الرُّقعُمق فانه ذكر خياطة الجبة بلفظ الطبخ لوقوعها فى صحبة طبخ الطعام. (ونحوه تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) حيث اطلق النفس على ذات الله تعالى لوقوعه فى صحبة نفسي هذا ومن لطيف المشاكلة قول عمرو بن كلثوم

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(وهو مصدر مؤكد لآمنا بالله) أصل هذا الكلام لصاحب الكشاف رحمه الله قال • صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله وهو

يَغْمِسُونَ أَولادَهم فى ماءٍ أصفرَ يُسَمُّونَهُ المعمُودِيّه
ويقولونَ إِنَّهُ تطهيرٌ لهم فعبّرَ عن الايمانِ بالله بصبغةِ اللهِ

فعلة من صبغ كالجلسة من جاس والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بالصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار أغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (قال) فى الايضاح بعد هذا النوع • ومنه الاستطراد وهو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الاول التوصل الى ذكر الثاني كقول الحماسى

وانا لقوم لانري القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول

وعليه قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوي ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما فى العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى هذا أصله وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر

للمشاكلة بهذه القرينة * ومنه المزاوجة وهي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله

إذا مانهى الناهى فلج بي الهوى
أصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

* ومنه العكس وهو أن يقدم جزء في الكلام ثم يؤخر ويقع على وجوه منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما

الاول قبله ليتوصل اليه كقول ابى اسحاق الصابى

ان كنت خنتك فى المودة ساعة   فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكا فى العلا   وجحدته فى فضله التوحيدا
قسما لو انى حالف بغموسها   لغريم دين ما أراد مزيدا

ولا بأس ان يسمى هذا ايهام الاستطراد (ان يزواج) أي يجعل معنيان واقعان فى الشرط والجزاء مزدوجين فى ان يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر (كقوله) أى قول البحترى فقد زواج بين نهى الناهي واصاختها للواشي الواقعين فى الشرط والجزاء فى ان رتب عليهما لجاج شئ ومن المزاوجة قول البحترى أيضا

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

فزواج بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شيء عليهما (ومنه العكس) قالوا وهو ان تقدم فى الكلام

أُضيفَ اليه نحوُ عادَاتُ السَّادَاتِ سادَاتُ العاداتِ ومنها أن يَقعَ بين متعلّقيْ فعلَينِ في جملتَين نحوُ يخرِجُ الحيَّ من الميّتِ ويخرجُ الميّتَ من الحيّ ومنها أنْ يقعَ بين لفظَين في طرَفيْ جملتَينِ نحوُ لَا هُنَّ حلٌّ لهم ولا هم يحلُّون لهنَّ * ومنه الرُّجوعُ وهو العوْدُ الى الكلام السابقِ بالنّقضِ لنُكتةٍ كقوله

قِفْ بالدّيارِ التي لمْ يَعفُها القِدَمُ

بَلَى وغيَّرَها الازوَاحُ والدِّيَمُ

* ومنه التَّوْرِيَةُ وهي ان يُطلَقَ لفظٌ له معنَيانِ قريبٌ وبعيدٌ

جزأ ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت وهذا أوضح مما قاله المصنف (نحو يخرج الحي من الميت) مثله قول الحماسي

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

(نحو لاهن حل لهم) مثله قول أبي الطيب

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وقول الآخر

ان الليالى للانام مناهل تطوى وتنشر دونها الاعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

(قف بالديار) هو لزهير بن ابى سلمى: الارواح الرياح والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم فى سكون. فقد دل صدر البيت على ان تطاول الزمان

وَيُرَادَ البعيدُ وهي ضَرْبانِ مجرَّدةٌ وهى التى لا تُجامِعُ شيئاً مما يلائِمُ القريبَ نحوُ الرحمٰنُ على العرشِ استوى ومرشَّحَةٌ نحوُ وَالسماءَ بَنَيْنَاهَا بأَيْدٍ * ومنه الاستخدامُ وهو أَنْ يُرَادَ

وتقادم العهد لم يعف الديار ثم عاد اليه ونقضه بانه قد غيرها الرياح والامطار لنكتة وهو اظهار الكآبة والحزن والحيرة والدهشة حتى كأنه اخبر اولا بما لم يتحقق ثم ثاب اليه عقله فتدارك كلامه فقال بلى وغيرها الارواح والديم ومثل هذا بيت الحماسة

أليس قليلا نظرة أن نظرتها اليك وكلا ليس منك قليل

وقول الآخر فأف لهذا الدهر لا بل لاهله

(نحو الرحمن على العرش استوى) فانه أريد باستوى معناه البعيد وهو استولى ولم يقترن به شئ مما يلائم القريب الذى هو الاستقرار (ومرشحة) وهى التى قرن بها ما يلائم القريب المورى به عن البعيد (نحو والسماء بنيناها بأيد) فان المراد بالايدى المعنى البعيد وهو القدرة وقد قرن بها ما يلائم القريب الذى هو الجارحة المخصوصة وهو قوله بنيناها (هذا) والذى ذكره صاحب الكشاف فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى أنه تمثيل لانه لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك ولما امتنع ههنا المعنى الحقيقي صار مجازا كقوله • وقالت اليهود يد الله مغلولة أى هو بخيل بل يداه مبسوطتان • أى جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتشبيه من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة

بلفظٍ له معنيانِ أحـدُهما ثم بالآخرِ الآخرُ أو يُرادَ بأحدِ
ضميرَينِ أحدُهما ثمَّ بالآخرِ الآخرُ فالاولُ كقوله

إِذَا نَزَلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رَعَيناهُ وإنْ كانوا غِضابا

والثاني كقوله

فَسَقَى الغَضَى والساكِنيهِ وإنْ هُمُ
شَبُّوهُ بينَ جَوانِحي وضُلوعي

اعوام وكذلك قوله جل شأنه والسماء بنيناها بأيد تمثيل وتصوير لعظمته
من غير ذهاب بالايدي الى جهة حقيقة او مجاز (١) وقد شدد النكير
علي تفسير اليد بالنعمة والايدي بالقدرة والاستواء بالاستيلاء وقد ذكر
الشيخ فى دلائل الاعجاز ما يؤيد ذلك وشنع على من يذهب هذه المذاهب
من المفسرين اكبر تشنيع حتي لقد قال ومن عادة قوم ممن يتعاطى
التفسير بغير علم ان توهموا ابدا فى الالفاظ الموضوعة على المجاز والتمثيل
انها على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويبطلوا الغرض ويمنعوا انفسهم
والسامع منهم العلم بموضع البلاغة وبمكان الشرف وناهيك بهم اذا هم
اخذوا فى ذكر الوجوه وجعلوا يكثرون فى غير طائل هناك تري ماشئت
من باب جهل قد فتحوه وزند ضلالة قد قدحوا به نسأل الله تعالى
العصمة والتوفيق (كقوله اذا نزل) فانه اراد بالسماء الغيث وبضميرها
النبت والبيت قيل لجرير وقيل لمعوذ الحكماء (كقوله فسقا الغضا)

(١) يعنى المجاز المرسل والا فهو مجاز بالاستعارة لانه تمثيل كما قال

* ومنهُ اللفُّ والنَّشْرُ وهو ذِكْرُ متعدِّدٍ على التفصيل أو الاجمالِ ثمَّ ما لِكُلِّ واحدٍ من غير تعْيينٍ ثقةً بأنَّ السامعَ يَرُدُّه إليه فالاولُ ضَرْبانِ لأنَّ النَّشرَ إمَّا على ترتيبِ اللفِّ نحوُ ومِنْ رحمتِه جعلَ لكمُ الليلَ والنهارَ لِتسكُنوا فيهِ ولتبتغُوا مِنْ فَضله وإمَّا على غيرِ ترتيبه كقوله

كيف أسلُو وأنتَ حِقْفٌ وغُصْنٌ
وغَزالٌ لَحْظًا وقدًّا ورِدْفا

فانه اراد بضمير الغضا في قوله والساكنيه المكان وفي قوله شبوه أي اوقدوه الشجر والبيت للبحتري من قصيدة بائية وحقيقته

فسقى الغضا والساكنيه وان هم ... شبوه بين جوانح وقلوب

(نحو ومن رحمته) مثله قول ابن حيوس

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقول ابن الرومي

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والاخريات رجوم

(كقوله) اى قول ابن حيوس • والحقف الرمل العظيم المستدير يشبه به الكفل في العظم والاستدارة فاللحظ للغزال والقد للغصن والردف للحقف (هذا) وهناك نوع آخر من اللف لطيف المسلك

والثانى نحوْ قوله تعالى وقالوا لنْ يَدْخُلَ الجنّةَ إلاَّ مَنْ كانَ
هُوْدًا أو نَصارَى أي قالت يهودُ لن يَدْخُلَ الجنّهَ الا من
كان هودا وقالت النصارى لن يدخلَ الجنةَ الا من كان
نصارى فَلَفَّ لِعَدَمِ الالتباسِ لِلعلْمِ بتضليلِ كُلِّ فَرِيقٍ
صاحِبَهُ * ومنه الجمعْ وهو أنْ يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّدٍ في حُكْمٍ
كقوله تعالى المالُ والبنُونَ زِينةُ الحياةِ الدُّنياونحوُ

وهو ان يذكر متعدد على التفصيل ثم يذكر ما لكل ويؤتى بعده
بذكر ذلك المتعدد على الاجمال ملفوظاً او مقدراً فيقع النشر بين
لفظين أحدها مفصل والآخر مجمل وعلى هذا جاء قوله تعالى • فمن
شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً او على سفر فعدة من أيام
أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا
الله على ما هدا كم ولعلكم تشكرون قال صاحب الكشاف الفعل المعلل
محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما
هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخص بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص
فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما
علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة
الترخيص والتيسر وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى

إِنَّ الشَّبابَ والفَرَاغَ والجِدَهْ   مَفْسَدَةٌ للمرء أيُّ مَفْسَدَهْ

* ومنه التفريقُ وهو إيقاعُ تبايُنٍ بين أمرينِ مِنْ نوْعٍ في المدحِ أو غيرِهِ كقوله

مانوَالُ الغمامِ وَقْتَ رَبيعٍ   كنَوالِ الاميرِ وَقْتَ سخَاءِ

فَنوالُ الاميرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ   ونَوالُ الغمامِ قطْرَةُ ماءِ

* ومنه التقسيمُ وهو ذِكرُ مُتعدِّدٍ ثمَّ إضافةُ مَا لِكُلٍّ اليهِ على التَّعيينِ كقولِه

الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان (ان الشباب) هو لابى العتاهية والجدة الاستغناء (ما نوال الغمام) هو لرشيدالدين الوطواط وبدرة العين جلدولد الضأن مملوءًا من الدراهم ومن لطيف هذا النوع قوله

من قاس جدواك بالغمام فما   انصف فى الحكم بين شكلين

أنت اذا جدت ضاحك ابدا   وهو اذا جاد دامع العين

(وهو ذكر متعدد) وقال السكاكي هو ان تذكر شيئاً ذا جزئين او اكثر ثم تضيف الى كل واحد من اجزائه ما هوله عندك كقوله

اديبان فى بلخ لا يأكلان   اذا اصحبا المرء غير الكبد

فهذا طويل كظل القناة   وهذا قصير كظل الوتد

وهذا يقتضى ان يكون التقسيم اعم من اللف والنشر (كقوله ولا يقيم) البيتان للمتامس : الضيم الظلم والعير الحمار غاب

ولا يُقيمُ على ضَيْمٍ يُرَادُ به * إلاَّ الأذَلاَّنِ عيْرُ الحَيِّ والوتِدُ

هذا على الخَسْفِ مَرْبُوطٌ برُمَّتِهِ

وذَا يُشَجُّ فلاَ يَرْثِي لهُ أحدُ

* ومنه الجمعُ معَ التفريق وهو أنْ يُدْخَلَ شيآنِ في معنىً ويُفرَّقَ بين جهتَي الادخالِ كقولِه

فوجهُكَ كالنَّارِ في ضَوْئِها وقَلبِيَ كالنَّارِ في حرِّهَا

* ومنه الجمعُ معَ التَّقسيم وهو جمعُ متعدِّدٍ تحتَ حُكْمٍ ثمَّ تقسيمُه أو العكسُ فالاولُ كقولِه

على الوحشي والمناسب هنا الاهلى والخسف الذل والرمة قطعة من حبل والشج الدق والكسر والمعنى ظاهر • فقد ذكر العير والوتد ثم اضاف الى الاول الربط مع الخسف والى الثانى الشج على التعيين • ومن جيد التقسيم قول ابى تمام

فما هو الا الوحى او حد مرهف تميل ظباه اخدعى كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم وهذا دواء الداء من كل جاهل

(كقوله فوجهك) فقد شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار وفرق بين وجهى المشابهة والبيت للوطواط (او العكس) اى تقسيم متعدد ثم

حَتَّى أَقامَ عَلى أَرْباضِ خَرْشَنَةٍ
تَشْقَى بِه الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ
لِلسَّبْيِ ما نَكَحُوا والقَتْلِ ما وَلَدُوا
والنَّهْبِ ما جَمَعُوا والنَّارِ ما زَرَعُوا

والثاني كقوله

قَوْمٌ إِذَا حارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ
أَوْ حاوَلُوا النَّفْعَ في أَشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ
إِنَّ الخَلائِقَ فاعْلَمْ شَرُّها البِدَعُ

جمعه تحت حكم (حتى اقام) البيتان للمتنبي وقبلهما

قاد المقانب اقصى شربها نهل على الشكيم وادنى سيرها سرع
لا يكتفى بلدا مسراه عن بلد كالموت ليس له رى ولا شبع

المقانب العساكر والارباض جمع ربض وهو ما حول المدينة وخرشنة بلد من بلاد الروم والشاهد فى البيتين ظاهر (كقوله قوم) البيتان لحسان بن ثابت والبدع جمع بدعة وهى الحدث فى الدين بعد الكمال والمراد بها هنا محدثات الاخلاق • فقد قسم فى البيت الاول صفة الممدوحين الى ضر الاعداء ونفع الاولياء ثم جمعهما في البيت الثانى

* ومنه الجمعُ مع التّفريقِ والتّقسيمِ كقوله تعالى يَوْمَ ياتِ لاتَكلّمُ نفسٌ إلا بإذنِهِ فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ فأمّا الذين شقوا ففي النّارِ لهم فيها زفيرٌ وشهيقٌ خالدينَ فيها مادامتِ السّمواتُ والارضُ إلاّ ماشاءَ رَبُّكَ إنَّ رَبّكَ فعّالٌ لِما يُريدُ وأمّا الّذينَ سُعدُوا في الجنّةِ خالدينَ فيها مادامتِ السّمواتُ والارضُ إلاّ ماشاءَ رَبُّكَ عطاءً غيرَ مجذوذٍ وقد يُطلقُ التقسيمُ على أمرينِ آخرينِ أحدُهما أنْ تذْكرَ أحوالُ الشيءِ مُضافاً الى

حيث قال سجية تلك ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر

لوان ما انتم فيه يدوم لكم ظننت ما انا فيه دائماً ابدا
لكن رأيت الليالى غير تاركة ماسرمن حادث اوساء مطردا
فقد سكنت الى انى وانكم سنستجد خلاف الحالتين غدا

فقوله خلاف الحالتين جمع لما قسم لطيف وقد ازداد لطفاً بحسن مابناه عليه من قوله فقد سكنت الى اني وانكم (كقوله تعالى يوم يأتى) أما الجمع ففى قوله يوم يأتى لا تكلم نفس الا باذنه فان قوله نفس متعدد معنى وأما التفريق ففي قوله فمنهم شقى وسعيد وأما التقسيم ففي قوله فاما الذين شقوا الى آخر الآية الثانية ومن هذا النوع قول ابن شرف القيروانى

لمختلفى الحاجات جمع ببابه فهذا له فن وهذا له فن

كلّ مايليقُ به كقوله

سأَطلبُ حقّي بالقنَا ومشايخٍ

كأنَّهمُ من طولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ

ثِقالٌ اذ لاَقوْا خفَافٌ إِذَا دُعُوا

كَثيرٌ اذا شَدُّوا قليلٌ إِذَا عدُّوا

والثانى استيفاءُ أقسامِ الشيءِ كقولِه تعالى يَهَبُ لمنْ يشاءُ إناثاً ويَهَبُ لمنْ يشاءُ الذكورَ أو يُزَوِّجهُم ذُكرَاناً وإِناثا

فللخامل العليا وللمعدم الغني   وللمذنب العتبي وللخائف الامن

(كقوله سأطلب) البيتان للمتنبي والقنا الرماح واراد بالمشايخ قومه والالتثام وضع اللثام على الفم والانف وكان ذلك من دأب العرب فقوله من طول ما التثموا أى شدوا اللثام حالة الحرب يريد كثيراً ما شنوا الغارات ثم وصفهم بشدة الوطأة على العدا والثبات على اللقاء وانهم مسرعون الى الاجابة اذا دعوا الى كفاية مهم ومدافعة خطب مدلهم وان الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم .. فقد ذكر احوال المشايخ واضاف الى كل حال ما يناسبها وهو ظاهر (كقوله يهب لمن يشاء اناثا) فان الانسان اما ان يكون له ولد او لا يكون فان كان فاما ان يكون ذكراً او انثي او ذكرا وانثي وقد استوفى جميع الاقسام وانما قدم ذكر الاناث لان سياق الكلام انه تعالى يفعل ما يشاؤه لاما يشاؤه الانسان

وَيَجْعَلُ مَنْ يشاء عقيماً * ومنه التجريدُ وهو أَنْ يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صِفةٍ آخرُ مِثْلُه فيها مبالغةً لكمالها فيه وهو أقسامٌ مِنها نحوُ قولهم لِي مِن فلانٍ صديقٌ حَمِيمٌ أي بلغَ فلانٌ مِنَ الصَّدَاقَةِ حَدًّا صَحَّ معه أنْ يُستخلَصَ منه آخرُ مثله فيها

فكان ذكر الاناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء فلما اخر الذكور لذلك تدارك تأخيرهم وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر : ومن هذا الضرب ما حكى عن اعرابي وقف على حلقة الحسن فقال رحم الله من تصدق من فضل او آسي من كفاف او آثر من قوت فقال الحسن ما ترك لاحد عذرا ومنه قول طريح

ان يعلموا الخير يخفوه وان علموا شرا اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقول ابى تمام فى الافشين لما احرق

صلى لها حيا وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

وقول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق ليمن الله ما ندرى

فانه ليس فى اقسام الاجابة غير ما ذكر (حميم) فى الصحاح حميمك

ومنها نحو قولهم لَئِنْ سألتَ فلانا لَتَسْأَلَنَّ به البحرَ ومنها نحوُ قوله

وشَوْهاءَ تَعْدُو بي الى صارِخِ الوَغَى
بمُسْتَلْئِمٍ مثلِ الفَنيقِ المُرَحَّلِ

ومنها نحوُ قوله تعالى لهمْ فيها دَارُ الخلْدِ ومنها نحوُ قوله

فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحلَنَّ بِغَزْوَةٍ * تَحْوِي الغنائِمَ أويَموتَ كَرِيمُ

وقيلَ تقدِيره أو يموتَ مِنِّي كَرِيمٌ وفيه نَظَرٌ ومنها نحو قولهِ

قريبك الذى تهتم لامره (وشوهاء) فرس شوهاء صفة محمودة يراد بها سعة اشداقها وصارخ الوغي اى المستغيث فى الحرب والمستلئم لابس اللأمة وهى الدرع والفنيق الفحل المكرم عند اهله والمرحل من رحل البعير اشخصه عن مكانه وأرسله فقد بالغ فى اتصافه بالاستعداد للحرب حتى انتزع منه مستعدا آخر لابساً درعاً (ومنها لهم فيها دار الخلد) فان جهنم اعاذنا الله منها هى دار الخلد لكن انتزع منها مثلها وجعل معدا فيها للكفار تهويلا لامرها ومبالغة فى اتصافها بالشدة (ومنها نحو قوله) أى قول قتادة بن مسلمة الحنفى • عنى بالكريم نفسه فكانه انتزع من نفسه كريماً مبالغة فى كرمه (وقيل تقديره او يموت منى كريم) فيكون من قبيل لى من فلان صديق حميم فلايكون قسما آخر (وفيه نظر) لحصول التجريد وتمام المعنى بدون هذا التقدير

يا خيرَ من يركبُ المطيَّ ولا * يشربُ كأساً بكفِّ من بخلا

ومنها مخاطبةُ الانسان نفسه كقوله

لا خيلَ عندكَ تهديها ولا مالُ

فليسعدِ النطقُ إنْ لم يسعدِ الحالُ

*ومنه المبالغةُ المقبولةُ والمبالغةُ أنْ يدَّعى لوصفٍ بلوغهُ في الشدَّةِ

(ومنها نحو قوله) أى قول الاعشى . فان فيه تجريداً بطريق الكناية حيث انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه على طريق الكناية لانه اذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد اثبت له الشرب بكف كريم ومعلوم انه يشرب بكفه فهو ذلك الكريم (كقوله لا خيل عندك) هو للمتنبي ومثله قول الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل   وهل تطيق وداعا ايها الرجل

(هذا) ومن لطيف التجريد قول المعزى

هاجت نمير فهاجت منك ذا لبد   والليث افتك افعالا من النمر

وقول الآخر

ان تلقنى لا ترى غيرى بناظرة .   تنس السلاح وتعرف جبهة الاسد

(المقبولة) يشير بهذا الى الرد على من زعم انها مردودة مطلقاً محتجاً بان خير الكلام ما خرج مخرج الحق وكان على منهج الصدق كما قال السيد حسان بن ثابت

وانما الشعر لب المرء يعرضه   على المجالس ان كيسا وان حمقا

أوالضَّعفِ حدًّامستحيلاً أو مستبعداً لئلاَّ يُظَنَّ أنَّه غيرُ متناهٍ فيهِ وتنحصر في التبليغ والإغراقِ والغلوّ لانَّ المدَّعَى ان كان ممكناً عقلاً وعادَةً فتبليغٌ كقوله

فعادَى عِداءً بين ثَوْرٍ ونَعجةٍ * دِرَاكاً فلم يَنْضَحْ بماءٍ فيغسلِ

وان اشعر بيت انت قائله　　بيت يقال اذا انشدته صدقا

وعلى من زعم انها مقبولة مطلقاً وان الفضل مقصور عليها والمحاسن كلها منسوبة اليها محتجا بان احسن الشعر اكذبه وخير الكلام ما بولغ فيه ولهذا استدرك النابغة على السيد حسان فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى　　واسيافنا يقطرن من نجدة دما

حيث استعمل جمع القلة يعنى الجفنات والاسياف وقد ذكر وقت الضحوة وهو وقت تناول الطعام وقال يقطرن دون يسلن او يفضن اونحو ذلك (فيه) أي في الشدة او الضعف (كقوله) اى قول امرئ القيس وصف هذا الفرس بانه ادرك ثورا وبقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق وذلك غير ممتنع عقلا ولا عادة .. ومن الحسن فى باب المبالغة قول الحماسى

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره　　وما فوق شكرى للشكور مزيد

ولو كان مما يستطاع استطعته　　ولكن ما لا يستطاع شديد

وقول ابن نباتة السعدى فى سيف الدولة

لم يبق جودك لى شيئاً اؤمله　　تركتنى اصحب الدنيا بلا أمل

وان كان ممكنا عقلاً لاعادةً فإغراقٌ كقوله

ونُكرِمُ جارَنا ماذامَ فينا * ونُتْبِعُهُ الكرامةَ حيثُ مالا

وَهمَا مقبُولانِ وإلاَّ فغلوٌّ كقوله

وأخفتَ أهلَ الشِّركِ حتى إنَّهُ
لَتَخافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخْلَقِ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرومى

لو ان قصرك يابن يوسف ممتل   ابرا يضيق بها فناء المنزل
واتاك يوسف يستعيرك ابرة   ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال أيضاً

فتى على خبزه ونائله   اشفق من والد على ولده
رغيفه منه حين تسأله   مكان روح الجبان من جسده

(كقوله) اى عمرو بن الايهم التغلبي ادعى ان جاره لايميل عنه الى جهة الا وهو يتبعه الكرامة وهذا ممتنع عادة وان كان غير ممتنع عقلا ومن هذا النوع قول امرئ القيس

تنورتها من اذرعات واهلها   بيثرب ادني دارها نظر عالى

وقول القائل

ولو ان مابي من جوى وصبابة   على جمل لم يدخل النار كافر

يريد انه لو كان مابه من الحب بجمل لنحل حتي يدخل فى سم الخياط (كقوله واخفت) هو لابي نواس من قصيدة يمدح بها الرشد ومما

والمقبولُ منه أصنافٌ منها ما أُدْخِلَ عليه ما يقرّبهُ الى الصحّةِ نحو يكادُ زَيتُها يُضِيءُ وَلو لم تَمسَسْهُ نارٌ ومنها ما تَضَمَّنَ نوْعاً حَسناً من التخْييلِ كقوله

عَقَدَتْ سَنابكُها عليها عِثْيَرًا ... لو تَبْتَغِي عَنقًا عليه لأَمْكنا

يتصل بهذا مايحكى ان العتابى الشاعر اتي ابا نواس فقال اما استحييت من الله بقولك واخفت أهل الشرك البيت فقال له أبو نواس وانت اما استحييت من الله بقولك

مازلت فى غمرات الموت منطرحا ... يضيق عنى وسيع الرأى من حيلي

فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لى ... حتى اختلست حياتي من يدى اجلي

ومن الغلو قول البحترى

ولو ان مشتاقاً تكلف فوق ما ... فى وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هنا أخذ المتنبي قوله

لو تعقل الشجر التى قابلتها ... مدت محيية اليك الاغصنا

ومن الغلو الغث قول المتنبي

فتى الف جزء رأيه في زمانه ... اقل جزء بعضه الرأى اجمع

ومثل هذا من الكلام مردود لا يشتغل بالاحتجاج عنه له والتحسين لامره وهو بترك التداول اولي الاعلى وجه التعجب منه ومن قائله (والمقبول منه) أى من الغلو (عقدت) هو للمتنبي من قصيدة يمدح بها ابن عمار وقبله

وقد اجتمعا في قوله

يُخَيَّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ في الدُّجا
وشُدَّتْ بأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي

اقبلت تبسم والجياد عوابس يخببن بالحلق المضاعف والقنا السنا بك جمع سنبك وهو طرف الحافر والعثير التراب والعنق نوع من السير • ادعى تراكم الغبار المرتفع من سنابك الخيل فوق رؤسها بحيث صار أرضا يمكن سيرها عليه وهذا ممتنع عقلا وعادة لكنه تخييل حسن (وقد اجتمعا) أى ادخال ما يقربه الى الصحة وتضمن التخييل الحسن (فى قوله) أى فى قول القاضى الارّجاني يصف الليل بالطول • يقول يخيل لى ان الشهب محكمة بالمسامير لا تنتقل من مكانها وان اجفان عينى قد شدت باهدابها الى الشهب لطول سهرى فى ذلك الليل وهذا تخييل حسن ولفظ يخيل يزيده حسنا (هذا) ومن المقبول فى الغلو قول أبى العلاء المعرى

تكاد قسيه من غير رام تمكن فى قلوبهم النبالا
يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

وقول ابن المعتز يصف فرسا

يكاد ان يخرج من اهابه اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقال الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وقال آخر

ومنها ما أُخرِجَ مُخرَجَ الهزْلِ والخَلاعةِ كقولِه

أُسكَرُ بالامْسِ إِنْ عزَمْتُ على الشُّرْ
بِ غدًا إِنَّ ذا منَ العَجَبِ

* ومنه المذهبُ الكلاميُّ وهو إِيرَادُ حجةٍ للمطلوبِ على طريقةِ أهلِ الكلام نحوُ لو كانَ فيهما آلهةٌ إِلاَّ اللهُ لفسدَتا وقولِه

حلفتُ فلمْ أترُكْ لنفسكَ ريبةً
وليس وَرَاءَ اللهِ للمرْءِ مَطلَبُ

ويكاد يخرج سرعة عن ظله   لو كان يرغب فى فراق رفيق

وذم اعرابي رجلا فقال يكاد يعدى لؤمه من تسمى باسمه ومثل هذا النوع فى الكلام كثير (اسكر بالامس) لا يعلم قائله ومعناه ظاهر (ومنه المذهب الكلامى) وأول من ذكره الجاحظ وانكر وجوده فى القرآن (طريقة أهل الكلام) هى ان تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) واللازم وهو فساد السموات والارض باطل لان المراد به خروجهما عن النظام الذى هما عليه فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة • ومثل الآية قوله تعالى أيضاً وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى والاعادة اهون عليه من البدء والاهون من البدء ادخل فى الامكان من البدء فالاعادة ادخل فى الامكان من البدء وهو المطلوب وقوله تعالى فلم يعذبكم بذنوبكم اى انتم تعذبون والبنون لا يعذبون فلستم بنين له (وقوله حلفت)

لَئِنْ كُنتَ قد بُلِّغْتَ عني خِيَانَةً
لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغشُّ وأَكْذَبُ
ولكنَّني كنتُ امرأً لِيَ جانِبٌ
مِنَ الارضِ فيهِ مُسْتَرَادٌ ومذهبُ
مُلوكٌ وَإِخوَانٌ إِذا مامَدَحْتُهمْ
أُحَكَّمُ في أَموالِهم وَأُقَرَّبُ
كَفِعلِكَ في قومٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ
فلم تَرَهُمْ في مدْحِهِمْ لكَ أَذْنَبُوا

* ومنه حُسْنُ التَّعليلِ وهو أَنْ يُدَّعَى لِوَصْفٍ عِلَّةٌ مُناسِبَةٌ لهُ باعتبارٍ لطيفٍ غيرِ حَقِيقِيٍّ وهو أَربعةُ أَضْرُبٍ لِإِنَّ الصفةَ

الابيات للنابغة الذبيانى من قصيدة يعتذر فيها الى النعمان بن المنذر وقد كان مدح آل جفنة بالشام فتنكر النعمان من ذلك والريبة الشك ومستراد معناه موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ • فهو يقول انت احسنت الى قوم فمدحوك وانا احسن الى قوم فمدحتهم فكما أن مدح اولئك لك لايعد ذنبا فكذلك مدحى لمن احسن الى لا يعد ذنبا ومن هذا النوع قول الفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة   واخرى يعاصيها الهوى فيطيعها

إِمَّا ثابتةٌ قُصِدَ بيانُ علَّتِها أو غيرُ ثابتةٍ أُريدَ إثباتُها والأُولى إِمَّا أَنْ لايَظهَرَ لها في العادةِ علَّةٌ كقوله

لم يَحْكِ نائلَكَ السحابُ وإنَّما * حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُها الرُّحَضاءُ

أو يَظْهَرَ لها علةٌ غيرُ المذكورةِ كقوله

ونفسك من نفسيك تشفع للندى   اذا قال من احرارهن شفيعها

(كقوله لم يحك) هو للمتنبي والنائل العطاء والرحضاء العرق أثر الحمى فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها علة فى العادة وقد علله بانه عرق حماها الناجمة عن عطاء الممدوح • ومن هذا الضرب قول ابى تمام

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى   فالسيل حرب للمكان العالى

علل عدم اصابة الغني الكريم بالقياس على عدم اصابة السيل المكان العالي كالطود العظيم من جهة ان الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالي والغنى لحاجة الخلق اليه كالسيل وقول ابن نباتة فى صفة فرس ادهم محجل القوائم ذي غرة

وادهم يستمد الليل منه   وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً   ويطوي خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه   تشبث بالقوائم والمحيا

وفى معناه وهو جيد الى الغاية

وكانما لطم الصباح جبينه   فاقتص منه فخاض فى احشائه (كقوله)

مابهِ قَتْلُ أعادِيهِ ولكن * يتَّقي إخلافَ ماترجو الذِّئابُ
فإنَّ قتْلَ الاعداءِ في العادَةِ لِدَفْعِ مَضَرَّتِهِمْ لا لِمَا ذَكَرَهُ
والثانيةُ إمَّا ممكنةٌ كقولِه

اي قول المتنبي من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار (لا لما ذكره) من ان طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبته ان يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل اعدائه لما علم انه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم وهذا مبالغة فى وصفه بالجود و يتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي اي تناهي فى الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم فاذا غدا للحرب رجت الذئاب ان تنال من لحوم اعدائه • ومن اطيف هذا الضرب قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينهُ فقلت لهم ... من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت ... والدم فى النصل شاهد عجب

وقول الآخر

اتتني تؤنبني بالبكاء ... فاهلا بها وبتأديبها
تقول وفى قولها حشمة ... انبكى بعين تراني بها
فقلت اذا استحسنت غيركم ... امرت الدموع بتأديبها

وذلك ان العادة فى دمع العين ان يكون السبب فيه اعراض الحبيب او اعتراض الرقيب ونحو ذلك من الاسباب الموجبة للاكتئاب لا ما جعله من التأديب على الاساءة باستحسان غير الحبيب (والثانية) اى الصفة الغير الثابتة التى اريد اثباتها (كقوله) اى قول مسلم بن الوليد

يا واشِياً حَسُنَتْ فِينا اساءتُهُ

نَجَّى حذارُكَ إِنساني مِنَ الغَرَقِ

فإِنَّ استحسانَ إساءةِ الواشي ممكنٌ لكنْ لمَّا خالفَ الناسَ فيه عقَّبَهُ بانَّ حذارَهُ منه نَجَّى إِنسانَهُ مِنَ الغرقِ في الدُّموعِ أو غيرُ ممكنةٍ كقولِه

لوْ لَمْ تكنْ نيَّةُ الجوْزاءِ خِدْمَتَهُ

لَمَا رَأيْتَ عليها عقْدَ مُنتَطِقِ

وأُلحِقَ به مايُبْنَى على الشكِّ كقولِه

كأَنَّ السحابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تحتَها * حبيباً فما ترْقا لهُنَّ مدامِعُ

(انسانى) اى انسان عينى (كقوله لو لم تكن) فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد اثباتها : والانتطاق شد المنطقة ونطاق الجوزاء كواكب حولها وهذا البيت مترجم من الفارسية ومثله فى معناه قول الآخر

لو لم يكن اقحوانا ثغر مبسمها   ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

(والحق به ما يبنى على الشك) ولكونه مبنياً على الشك لم يجعل من حسن التعليل لان فيه ادعاء واصرارا والشك ينافيه (كقوله كان السحاب)

* ومنه التفريعُ وهو أنْ يُثْبَتَ لِمتعلَّقِ أمرٍ حُكْمٌ بعد إثباتهِ لمتعلّقٍ لهُ آخرَ كقولهِ

أَحلامُكُم لِسقَامِ الجهلِ شافيةٌ
كما دِماؤُكُمُ تَشفِي مِنَ الكَلَبِ

البيت لابى تمام والغر جمع الاغر والمراد السحاب الماطرة الغزيرة الماء والضمير فى تحتها لربى فى قوله قبل هذا البيت

ربي شفعت ريح الصبا لرياضها   الى المزن حتى جادها وهو هامع

فقد عال على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بانها غيبت حبيباً تحت تلك الربا فهى تبكى عليه وهذا البيت يشير الى قول محمد بن وهيب

طللان طال عليهما الامد   درسا فلا علم ولا نضد
لبسا البلى فكأنما وجدا   بعد الاحبة مثل ما اجد

ونظيره قول المتنبى

رحل العزاء برحلتى فكاننى   اتبعته الانفاس للتشييع

علة تصعيد الانفاس فى العادة هى التحسر والتأسف لا ماجوز ان يكون اياه والمعنى رحل عنى العزاء بارتحالى عنك اى معه او بسببه فكانه لما كان الصدر محل الصبر وكانت الانفاس تتصعد منه أيضاً صار العزاء والنفس الصعداء كانهما نزيلان فلما رحل ذلك كان حقاً على هذا ان يشيعه قضاء لحق الصحبة (كقوله احلامكم) فقد اثبت لدمائهم انها تشفى

* ومنه تأكيدُ المدحِ بما يُشبِهُ الذمَّ وهو ضربانِ أفضلُهما أنْ يُستثنَى من صفةِ ذمٍّ منفيةٍ عنِ الشيء صفةُ مدحٍ بتقديرِ دُخولِها فيها كقولِه

من الكلب بعد ان اثبت لاحلامهم انها تشفى من سقام الجهل والبيت للكميت من قصيدة يمدح بها اهل البيت والكلب مايحدث فى الانسان عقيب عض الكلب الكلب ولادواء له زعموا انجع من شرب دم الملوك يقول انتم ارباب العقول الراجحة كما انكم اشراف وملوك وفى طريقته قول الحماسى

بناة مكارم واساة كلم ... دمائكم من الكلب الشفاء

هذا ومن التفريع قول الشريف الرضى

اذا فات شيء سمعه دل انفه ... وان فات عينيه رأى بالمسامع

وقول ابن المعتز

كلامه اخدع من لحظه ... ووعده اكذب من طيفه

فبيناهو يصف خدع كلامه اثبت خدع لحظه وبيناهو يصف كذب وعده اثبت كذب طيفه (ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم) النظر فى هذه التسمية الى الاعم الاغلب والا فقد يكون ذلك فى غير المدح والذم ويكون من محسنات الكلام كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباءكم من النساء الا ماقد سلف يعنى ان امكنكم ان تنكحوا ماقد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته وليسم تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه (كقوله) اى قول النابغة الذبيانى فلوله

ولاعَيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهُم * بهنَّ فُلولٌ من قِرَاعِ الكتائبِ.

أي إنْ كانَ فلولُ السيفِ عيباً فأثبتَ شيئاً منهُ على تقديرِ كونِهِ منهُ وهو مُحَالٌ فهُوَ في المعنى تَعليقٌ بالمُحالِ فالتأكيدُ فيه من جِهَةِ أنَّهُ كدَعوى الشيءِ ببيِّنَةٍ وأنَّ الاصلَ في الاستثناءِ الاتصالُ فذِكرُ أداتِهِ قبلَ ذِكرِ مابعدها يُوهِمُ إخراجَ شيءٍ مما قبلها فاذا وَلِيَها صِفَةُ مَدْحٍ جاءَ التأكيدُ والثاني أنْ

جمع فل وهو الثلم يصيب السيف فى حده (قراع الكتائب) مضاربة الجيوش عند اللقاء (فاثبت) اى فقد اثبت الشاعر شيئاً من العيب على تقدير كون فلول السيوف من العيب وهذا محال لانه كناية عن كمال الشجاعة فهو فى المعنى تعليق بالمحال كما يقال حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط فتأكيد المدح فى هذا الضرب من وجهين احدهما انه كدعوى الشىء ببينة كانه استدل على انه لاعيب فيهم بان ثبوت عيب فيهم معلق بكون فلول السيوف عيباً وهو محال والثانى ان الاصل فى الاستثناء الاتصال اى كون المستثنى منه بحيث يدخل فيه المستثنى على تقدير السكوت عن الاستثناء ليكون ذكر المستثنى اخراجا له عن الحكم الثابت للمستثنى منه وذلك لان الاستثناء المنقطع مجاز على ماتقرر فى أصول الفقه واذا كان الامر كذلك فاذا نطق المتكلم بالا او نحوها توهم السامع قبل ان ينطق بما بعدها ان ماياتي بعدها مخرج مما قبلها فيكون شيء من صفة

يُثْبَتَ لشيءٍ صفةُ مَدْحٍ وَتُعقَّبَ بإِداةِ استثناء يَليها صِفةُ مَدْحٍ أُخرى لهُ نحوُ أنا أفْصحُ العرَب بَيْدَ أنّي منْ قرَيْشٍ وَأَصلُ الاستثناء فيه أيضاً أنْ يكونَ منْقطعاً لَكنَّهُ لم يقدَّرْ متصلاً فلاَ يُفيدُ التأكيدَ إلاَّ منَ الوجهِ الثَّاني ولهذا كانَ الاولُ أفضلَ ومنهُ ضربٌ آخرُ نحوُ وما تنْقمُ منَّا إلاَّ أنْ آمنَّا بآياتِ رَبّنا والاستدراكُ في هذا البابِ كالاستثناء كما

الذم ثابتا فاذا وليها صفة مدح جاء التوكيد لكونه مدحاً على مدح وان كان فيه شيء من السحر ونوع من الخلابة (واصل الاستثناء فيه) يقول اصل الاستثناء فى هذا الضرب ان يكون منقطعاً كما ان الاستثناء فى الضرب الاول منقطع لعدم دخول المستثنى فى المستثنى منه وهذا لاينافى ان الاصل فى مطلق الاستثناء هو الاتصال (لكنه لم يقدر متصلا) بل بقى على حاله من الانقطاع لانه ليس فى هذا الضرب صفة ذم منفية عامة يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها (فلا يفيد التأكيد الا من الوجه الثانى) وهو ان الاصل فى مطلق الاستثناء الاتصال فذكر اداته قبل ذكر المستثنى يوهم اخراج شيء مما قبلها من حيث انه استثناء فاذا ذكر بعد الاداة صفة مدح اخرى جاء التأكيد ولايتأتى فيه التأكيد من الوجه الاول اعنى دعوى الشيء ببينة لانه مبنى على التعليق بالمحال المبنى على تقدير الاستثناء متصلا (ومنه) اى ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم (نحو وما تنقم منا) اى وما تعيب منا الا اصل

في قولهِ

هو البَدْرُ إلاَّ أنَّهُ البحرُ زاخراً
سِوَى أنَّهُ الضِّرْغامُ لكنَّهُ الوَبْلُ

* ومنهُ تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشْبِهُ المدحَ وهو ضربان أحدُهما أنْ يُستثنَى من صفةِ مدحٍ منْفِيَّةٍ عن الشيءُ صفةُ ذَمٍّ بتقديرِ دُخولِها فيها كقولهِ فلانٌ لاخيرَ فيهِ إلاَّ انَّهُ يُسيءُ الى من أحسنَ اليهِ وثانيهما أنْ يُثْبَتَ للشيءُ صفةُ ذَمٍّ وتُعقَّبَ بأداةِ استثناءٍ تَليها صفةُ ذَمٍّ أُخرَى له كقولك فُلانٌ فاسقٌ إلاَّ أنهُ جاهلٌ وتحقيقُهُما على قِياسِ مامرَّ* ومنهُ الاستتباعُ وهو المَدْحُ بشيءٍ على وَجهٍ يَستَتْبِعُ المدحَ بشيءٍ آخرَ كقولِهِ

نَهَبتَ من الاعمارِ مالو حَوَيْتَهُ * لَهُنِّئَتِ الدُّنيا بأنَّكَ خالدُ

المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان بآيات الله (كما في قوله هو البدر) فالاولان فيه استثنآن مثل بيد اني من قريش وقوله لكنه الوبل استدراك يفيد من التأكيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لانه استثناء منقطع والا فيه بمعنى لكن والبيت لبديع الزمان الهمذانى يمدح

مَدَحهُ بالنّهايَةِ فى الشّجاعةِ على وَجْهٍ استَتْبعَ مَدْحَهُ بكونه سَبَبًا لِصلاحِ الدُّنْيَا ونظامِها وفيه أنَّهُ نَهَبَ الاعمارَ دُونَ الاموالِ وأنَّهُ لم يَكُنْ ظالماً في قتلِهِمْ * ومنهُ الإدْماجُ وهو أنْ يُضَمَّنَ كلامٌ سِيقَ لِمَعْنًى مَعْنًى آخَرَ

به خلف بن احمد السجستانى (نهبت من الاعمار) هو للمتبي (مدحه بالنهاية فى الشجاعة) اذ كثر قتلاه بحيث لو ورث اعمارهم لخلد فى الدنيا (على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا) حيث جعل الدنيا مهنأة بخلوده ولا معنى لتهنئة احد بشيء لا فائدة له فيه ولا ثمرة يجنيها منه (وفيه) يقول ان فى البيت وجهين آخرين من المدح ذكرها على بن عيسى الربعي فاولهما انه نهب الاعمار دون الاموال وهذا مما يشف عن علو الهمة وثانيهما انه لم يكن ظالما فى قتل احد من مقتوليه لانه لم يقصد بذلك الا صلاح الدنيا واهلها فهم مسرورون ببقائه (ومنه الادماج) يقال ادمج الشيء فى الثوب اذا لفه فيه (وهو ان يضمن كلام سيق لمعني معنى آخر) فهذا المعنى الثاني يجب ان لا يكون مصرحاً به ولا يكون فى الكلام اشعار بانه مسوق لاجله فمن قال فى قول الشاعر يهنى بعض الوزراء لما استوزر

ابى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم اتمها ودع امرنا ان المهم المقدم

انه ادمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الاحوال فى

فهو أعمُّ منَ الاستتباع كقوله

أُقلّبُ فيه أجفاني كأنّي * أعدُّ بها على الدهر الذُّنوبَا

فإنَّهُ ضمَّنَ وصفَ الليلِ بالطولِ الشكايةَ منَ الدهرِ * ومنه التَّوْجيهُ وهو إيرادُ الكلامِ مُحتملاً لوجهينِ مختلفينِ كقولِ مَنْ

التهنئة فقدسها لان الشكاية مصرح بها فكيف تكون مدمجة ولو جعل التهنئة مدمجة لكان اقرب (فهو اعم من الاستتباع) لشموله المدح وغيره واختصاص الاستتباع بالمدح (كقوله) اي قول ابي الطيب يصف طول الليل عليه ومثله قول ابن المعتز فى الخيري

قد نفض العاشقون ما صنع الهجر بالوانهم على ورقه

فان الغرض وصف الخيرى بالصفرة فأدمج الغزل فى الوصف وكذلك قول ابن نباتة

ولا بد لي من جهلة فى وصاله   فمن لي بخل اودع الحلم عنده

فانه ضمن الغزل الفخر بكونه حليما المكنى عنه بالاستفهام عن وجود خل صالح لان يودعه حلمه وضمن الفخر بذلك باخراج الاستفهام مخرج الانكار شكوى الزمان لتغير الاخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشان ونبه بذلك على انه لم يعزم على مفارقة حلمه جملة ابدا ولكن اذا كان مريدا لوصل هذا المحبوب المستلزم للجهل المنافى للحلم عزم على انه ان وجد من يصلح لان يودعه حلمه اودعه

قالَ لأعْوَرَ * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

(السكاكيُّ) ومنهُ متشابِهاتُ القرآنِ باعتبارٍ * ومنه الهَزْلُ الذي يُرادُ به الجِدُّ. كقولهِ

إذَا ماتميميٌّ أتاكَ مفَاخِرًا

فَقُلْ عُدَّ عَنْ ذَا كيفَ أكْلُكَ لِلضَّبِّ

* ومنه تَجاهُلُ العَارِفِ وهو كما سَمَّاهُ السكاكيُّ سَوْقُ المعلوم مَسَاقَ غيرِهِ لِنُكْتَةٍ كالتوبيخِ في قولِ الخارِجيَّةِ

اياه فان الودائع تستعاد (كقول من قال لاعور ليت عينيه سواء) فانه يحتمل تمنى ان تصير العين العوراء صحيحة فيكون مدحاً او بالعكس فيكون ذماً (قال) السكاكى وللمتشابهات من القرآن مدخل فى هذا النوع • يعنى التوجيه • باعتبار وهو احتمالها للوجهين المختلفين (.ومنه الهزل الذى يراد به الجد) وترجمته تغنى عن تفسيره ومن امثلته قول امرئ القيس

وقد علمت سلمى وان كان بعلها بان الفتى يهذي وليس بفعال

فهو الفاتح لهذا الباب (كقوله) اى قول ابي النواس • فانه اورده على سبيل الهزل والمراد به الجد قالوا لان تميما كانت تكثر أكل الضب وتعيّر به (فى قول الخارجية) ترثى اخاها حين قتل وبعد البيت

فتى لايريد العز الا من التقى ولا الرزق الا من قنى وسيوف

أيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَالَكَ مُورِقًا
كَأَنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابْنِ طَرِيفِ

والمبالغةِ في المدحِ كقولِه

أَلَمْعُ بَرْقٍ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ
أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بالمَنْظَرِ الضَّاحِي

أو في الذم كقولِه

وما أَدْرِي وسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي
أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ

والتَّدَلُّهِ في الحُبِّ في قولِه

باللهِ يَاظَبَيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لَنَا
لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ البَشَرِ

* ومنه القَوْلُ بالمُوجِبِ وهو ضربانِ أَحَدُهُمَا أَنْ تَقَعَ صِفَةٌ

(الخابور) نهر من ديار بكر (المع برق) هو للبحتري (وما ادرى) هو لزهير (بالله ياظبيات) هو للحسين بن عبد الله الغريبي ومثله قوله ذى الرمة

ايا ظبية الوعساء بين جلاجل ... وبين النقا أأنت أم أمُّ سالم

فِي كلامِ الغَيْرِ كنايَةً عن شيءٍ أُثبتَ له حُكْمٌ فتُثْبِتها لغيرِهِ من غَيْرِ تعرُّضٍ لثبُوتِه أو نَفْيِهِ عنهُ نحوُ يقولونَ لئِنْ رَجعنا إِلى المدينةِ لَيُخرِجَنَّ الاعزُّ منها الاذلَّ وللهِ العزَّةُ ولِرَسولِهِ ولِلمُؤْمِنِينَ والثَّانِي حَمْلُ لَفظٍ وَقعَ في كلامِ الغَيْرِ على خِلافِ مُرادِهِ ممَّا يَحتَمِلهُ بِذِكْرِ مُتَعلَّقِهِ كقوله

قُلْتُ ثَقَّلْتُ إِذ أَتَيتُ مِرارًا * قالَ ثَقَّلتَ كاهِلي بالأَيادِي

والقاع هو المستوى من الارض (نحو يقولون) فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين واثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى فى الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم (كقوله قلت ثقلت) فلفظ ثقلت وقع فى كلام الغير بمعنى حملتك المؤنة وثقلتك بالاتيان مرة بعد اخرى وقد حمله على تثقيل عاتقه بالايادى والمنن وبعد البيت

قلت طولت قال لا بل تطولت وابرمت قال حبل ودادى

اى طولت الاقامة والاتيان وابرمت اى أمللت وابرم ايضا احكم والتطول الانعام فقوله ابرمت ايضاً من هذا القبيل ومن هذا الباب قول القاضي الارجانى

غالطتنى اذ كست جسمى الضنا كسوة عرت من اللحم العظاما
ثم قالت انت عندى فى الهوي مثل عينى صدقت لكن سقاما

* ومنه الاطِّرَادُ وهو أنْ تأْتِيَ بأسماء الممدوحِ أو غيرِهِ وآبائه على ترتيبِ الوِلادَةِ من غيرِ تَكَلُّفٍ كقوله

إنْ يَقتلوكَ فقد ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ
بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحرثِ بْنِ شِهَابِ

* وأمَّا اللفظيُّ فمنهُ الجِنَاسُ بينَ اللفظَيْنِ وهو تَشابُهُهما في اللفظِ والتَّامُّ منه أنْ يَتَّفِقا في أنواعِ الحُرُوفِ وَأَعْدَادِها وَهيئَاتِها وترتيبِها فإنْ كانا من نَوْعٍ وَاحِدٍ كاسْمَيْنِ سُمِّيَ مُماثِلاً نحوُ ويومَ تَقُومُ الساعةُ يُقْسِمُ المجرِمُونَ مَا لَبِثُوا غيرَ

(ومنه الاطراد) لان تلك الاسماء فى تحدرها كالماء الجارى فى اطراده وسهولة انسجامه (ان يقتلوك) اى ان يجحوا بقتلك وفرحوا به فقد أثرت فى عزهم وهدمت اساس مجدهم بقتل رئيسهم : هذا آخر المحسنات المعنوية وقد اخذ المصنف فى بيان المحسنات اللفظية وذكر منها فى هذا الكتاب سبعة انواع (ان يتفقا فى انواع الحروف واعدادها وهيآتها وترتيبها) نخرج نحو يفرح ويمرح ونحو الساق والمساق ونحو البَرَد والبُرد ونحو الفتح والحتف (نحو ويوم تقوم الساعة) ومثل قول ابي تمام

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالي فى صدور الكتائب

وقول الشاعر

حدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال

ساعةٍ وإن كانا من نوعين سُمّي مستوفى كقوله

مامات من كرم الزمان فإنّه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله

وأيضاً ان كان أحد لفظيه مركباً سُمّي جناس التركيب فإن اتّفقا في الخطّ خصَّ باسم المتشابه كقوله

إذا ملكٌ لم يكن ذا هبة * فدعه فدولته ذاهبة

والّا خُصَّ باسم المفروق كقوله

كلّكم قد أخذ الجا م ولا جام لنا

ما الذي ضرّ مدير الجـام لو جا ملنا

وإن اختلفا في هيآت الحروف فقط سُمّي محرّفاً كقولهم جبّة البُرْدِ جُنّة البَرْد ونحوه الجاهل إمّا مُفْرِطٌ أو مُفرِّطٌ

الاول جمع اجل بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش والثاني جمع اجل والمراد به منتهى الاعمار (مامات) هو لابى تمام (خص باسم المتشابه) لتشابه اللفظين فى الكتابة (خص باسم المفروق) لافتراق اللفظين فى صورة الكتابة (اذا ملك) هو لابى الفتح البستى قوله لم يكن ذا هبة اى صاحب هبة وعطاء وقوله فدولته ذاهبة اى غير باقية (كلكم قد اخذ الجام) هو لابى الفتح ايضاً والجام اناء يشرب فيه الخمر ومديره يعني به الساقى وقوله لو جاملنا اي عاملنا بالجميل (سمى محرفا)

والحرفُ المشدّدُ في حكمِ المخففِ وكقولِهم البدعةُ شَرَكُ الشّرْكِ وان اختلفا في أعدادِها سُمّيَ ناقصاً وذلك إما بحرفٍ في الاولِ مثلُ والتفّتِ الساقُ بالساقِ الى رَبّكَ يومئذٍ المَسَاقُ أو في الوسَطِ نحوُ جَدّي جَهْدِي أو في الآخِرِ كقوله

* يَمُدُّونَ مِنْ أيدٍ عَوَاصٍ عوَاصِمٍ *

ورُبّما سُمّيَ هذا مُطرّفاً وإمَّا بأكثرَ كقولها

لانحراف هيئة احد اللفظين عن هيئة الآخر (كقولهم البدعة) مثله قول ابى العلاء المعرى

والحسن يظهر فى بيتين رونقه بيت من الشعر او بيت من الشعر

(سمى ناقصاً) لنقصان احد اللفظين عن الآخر (جَدّى جَهدى) اى حظى من الدنيا وغناى فيهـا انما هو باجتهادى وسعيي (كقوله يمدون) تمامه : تصول باسياف قواض قواضب : والبيت لابى تمام قوله من ايد فمن زائدة على مذهب الاخفش او للتبعيض مثلهـا فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وبالجملـة هو الواقع موقع مفعول يمدون وعواص جمع عاصية من عصاه ضربه بالعصا أي السيف وعواصم من عصمه حفظه وحماه وقواض جمع قاضية من قضى عليه قتله وقواضب جمع قاضب من قضبه قطعه أى يمدون للضرب يوم الحرب ايديا ضاربات للاعداء حاميات للاولياء صـائلات على الاقران بسيوف قاتلة قاطعة (وربما سمى مطرفاً) يعنى هذا القسم الذى تكون فيه الزيادة فى الآخر

إنَّ البُكاءَ هو الشِّفا * ءُ مِنَ الجوَى بينَ الجوانِحْ

ورُبما سُمِّيَ هذا مُذَيَّلاً وان اختلفا في أنواعها فيشترطُ أنْ لا يقَعَ بأكثرَ من حرفٍ ثم الحرْفانِ إنْ كانا متقاربَيْنِ سُمِّيَ مُضارعاً وهو إماً في الاوَّلِ نحوُ بَيْني وبينَ كِنّي ليلٌ دامسٌ وطريقٌ طامسٌ أو في الوسَطِ نحوُ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عنهُ وينأَوْنَ عنه أو في الآخِرِ نحو الخيلُ معقودٌ بنواصِيها الخيرُ وإلاَّ سُمِّيَ لاحِقاً وهو أيضاً إماً في الاوَّلِ نحوُ ويلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ أو في الوسَطِ نحوُ ذلِكُمْ بما كنتم تفرَحونَ في الارضِ

لتطرف الزيادة فيه هذا ووجه حسنه انك تتوهم قبل ان يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم انها هى التى مضت وانما اتى بها للتأكيد حتى اذا تمكن آخرها فى نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم وفى هذا حصول الفائدة بعد ان يخالطك اليأس منها قاله الشيخ الامام (كقولها) اى الخنساء (مذيلا) لان تلك الزيادة فى آخره كالذيل (سمي مضارعاً) لمضارعة المباين من اللفظين لصاحبه فى المخرج (نحو بيني) هذا كلام للحريرى والكن المنزل والدامس الشديد الظلمة والطامس المطموس العلامات الذي لا يهتدى فيه الى المراد (ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن يقال لمزه وهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم وبناء فعلة يدل على ان ذلك

بغير الحقِّ وبما كنتم تمرحون أو في الآخرِ نحوُ وإذا جاءهم أمرٌ منَ الأَمنِ وان اختلفا في ترتيبها سُمّيَ تجنيسَ القلبِ نحوُ حسامهُ فتحٌ لأوليائهِ حتفٌ لأعدائه ويُسمَّى قلبَ كلٍّ ونحوُ اللّهمَّ استرْ عوراتنا وآمنْ روعاتنا ويُسمَّى قلبَ بعضٍ واذا وقعَ أحدُهما في أوّلِ البيتِ والآخرُ في آخرِه سُمّيَ مقلوباً مجنحًا واذا وَليَ أحدُ المتجانسينِ الآخرَ سُمّيَ مزدوجاً ومكررًا ومردّدًا نحوُ وجئتكَ من سبأٍ بنبأٍ يقينٍ ويلحق بالجناسِ شيئانِ أحدُهما أنْ يجمعَ اللفظينِ الاشتقاقُ نحوُ فأقمْ

عادة منه قد ضري بها ونحوها اللعنة والضحكة قال

وان اغيب فانت الهامز اللمزة (سمي تجنيس القلب) لوقوع القلب اى عكس بعض الحروف فى احد اللفظين بالنظر للآخر (نحو حسامه) هذا مأخوذ من قول الاحنف بن قيس

حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف

(سمي مقلوباً مجنحاً) لان اللفظين كأنهما جناحان للبيت وهذا كقول ابن نباتة

ساق يريني قلبه قسوة وكل ساق قلبه قاس

(نحو وجئتك من سبأ) ونحو قولهم من طلب وجدّ وجد وقولهم من قرع بابا ولجّ ولج وقولهم النبيذ بغير النغم غم وبغير الدسم سم (نحو فاقم

وجهَكَ للدّينِ القيّمِ والثاني أنْ يجمعهما المشابهةُ وهي ما يُشبهُ الاشتقاقَ نحو قال إنّي لعملِكُم منَ القالينَ * ومنه رَدُّ العجزِ على الصدرِ وهو في النثرِ أنْ يُجعلَ أحدُ اللفظينِ المكرَّرَيْن أو المتجانسينِ أو المُلْحَقَيْنِ بهما في أوّل الفقرَةِ والآخَرُ في آخرِها نحو وتَخشى النّاسَ واللهُ أحقُّ أن تخشاهُ ونحو سائلُ اللئيمِ يرجعُ ودمعُهُ سائلٌ ونحو استغفرُوا ربَّكُمْ إنّهُ كانَ غفّارًا ونحوُ قال انّي لعمَلِكُم منَ القالينَ وفي النَّظمِ أنْ يكون

وجهك) مثله قوله تعالى فروح وريحان وقوله عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيامة وقول الشافعي وقد سئل عن النبيذ اجمع اهل الحرمين على تحريمه وقول ابي تمام فيادمع انجدني على ساكني نجد وقول البحتري

يعشى عن المجد الغبي ولن ترى فى سؤدد إربا لغير اريب

(نحو قال) وقوله تعالى وجنى الجنتين دان وقول البحترى

واذا مارياح جودك هبت صار قول العذول فيها هباء

(ومنه)اى ومن اللفظى (المكررين) يعنى المتفقين فى اللفظ والمعنى (او المتجانسين) اى المتشابهين فى اللفظ دون المعنى (اوالملحقين بهما) أي المتجانسين والمراد بهما اللفظان اللذان يجمعها الاشتقاق او شبه

أحدُهما في آخرِ البيتِ والآخرُ في صدْرِ المصْرَاعِ الاوَّلِ أو حَشْوِهِ أوآخرِهِ أوصدرِ الثاني كقوله

سَريعٌ الى ابن العمّ يَلطِمُ وجهَهُ * وليس الى داعي النَدَى بسرِيعِ

وقوله.

تمتّعْ من شَميمِ عَرارِ نجدٍ * فما بعدَ العَشيَّةِ من عَرارِ

الاشتقاق : وقد مثل المصنف لهذه الاربعه على الترتيب (احدهما) أي أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين او الملحقين بهما (والآخر فى صدر المصراع الاول اوحشوه او آخره او صدر الثانى) وعلى هذا تصير الاقسام ستة عشر ناجمة عن ضرب أربعة أقسام المكررين والمتجانسين والملحقين اشتقاقاً والملحقين بشبه الاشتقاق فى اربعة وهى كون اللفظ المقابل لما فى عجز البيت واقعاً فى صدر المصراع الاول اوحشوه اوآخره او صدر الثاني والمصنف اورد ثلاثة عشر مثالا واهمل ثلاثة اكتفاء لعله بامثلة الاشتقاق وسنذكرها أخرة ان شاء الله (كقوله سريع) فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الاول والبيت للاقيشر وتقدم السبب في قوله له (وقوله تمتع) فيما يكون المكرر الآخر فى حشو المصراع الاول والبيت للصمة ابن عبد الله القشيرى والعرار وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة وموضع من عرار رفع على انه اسم ما ومن زائدة وتمتع مقول اقول فى قوله.

اقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار

وقوله ومَنْ كان بالبيضِ الكواعبِ مغْرَمًا
فما زِلْتُ بالبيضِ القواضبِ مغرَمَا

وقوله
وإنْ لم يكنْ إلاَّ مُعرَّجَ ساعةٍ * قليلاً فانّي نافعٌ لِي قليلُها

وقوله
دَعانِي من ملامِكُمَا سَفاهًا * فدَاعِي الشَّوْقِ قَبْلَكُمَا دَعاني.

وقوله

(وقوله ومن كان) فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الاول. والبيت لابى تمام والكواعب جمع كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للنهود والبيض القواضب أى السيوف القواطع (وقوله وان لم يكن) فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثاني والبيت لذى الرمة وقبله.

الما على الدار التى لو وجدتها بها اهلها ما كان وحشا مقيلها

الالمام النزول القليل والتعريج على الشيء الاقامة عليه وانتصب معرج على انه خبر يكن واسمه ضمير الالمام وقليلا صفة مؤكدة لان القلة تفهم من اضافة التعريج الى الساعة وقليلها فاعل نافع او هو مبتدأ ونافع خبره والضمير فى قليلها للساعة اى قليل التعريج فى الساعة ينفعنى ويبل اوامى ويروى غلتى (وقوله دعاني) فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الاول دعانى الاول بمعنى اتركانى والثانى من الدعاء بمعنى الطلب والسفاه الطيش والبيت لنقاضى الارجانى (وقوله واذا

وإِذَا البلاَبلُ أفصحت بلغاتها * فانف البلاَبلَ باحتساء بلاَبلِ
وقوله فمشغوفٌ بآيات المثاني * ومفتونٌ برنّاتِ المثاني
وقوله أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لي أن ليس فيهم فلاح
وقوله
ضرائبُ أبدعتها في السماح * فلسنا نرى لك فيها ضريبا

البلابل) فيما يكون المجانس الآخر فى حشو المصراع الاول البلابل الاول جمع بلبل وهو الطائر المعروف والثانى جمع بلبال وهو الحزن والثالث جمع بلبلة وهو ابريق الخمر والاحتساء الشرب والمقصود بالتمثيل هو البلابل الثالث بالنسبة الى الاول والبيت للثعالبي (وقوله فمشغوف) فيما يكون المتجانس الآخر فى آخر المصراع الاول المثانى الاول القرآن(١) والآخر اوتار المزامير التى ضم طاق منها الى طاق ورناتها نغماتها والبيت للحريرى (وقوله املتهم) فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الثاني ومعناه ظاهر وهو للقاضى الارجاني (وقوله ضرائب) فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين اشتقاقاً فى صدر المصراع الاول فالضرائب جمع ضريبة وهى الطبيعة والسجية التى طبع الرجل عليها والضريب المثل وأصله المثل في ضرب القداح فهما

(١) قال الجوهرى المثانى من القرآن ما كان أقل من المائتين وتسمى فاتحة الكتاب مثانى لأنها تثنى فى كل ركعة ويسمي جميع القرآن مثانى أيضاً لاقتران آية الرحمة بآية العذاب

وقوله

إِذَا المَرْءُ لم يَخْزُنْ عليه لسانَهُ * فليس على شيءٍ سِواه بِخَزَّانِ

وقوله لو اختَصَرْتُم منَ الإِحْسانِ زُرْتُكُمُ

والعَذْبُ يُهْجَرُ للافراطِ في الخَصَرِ

وقولِه فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائري

أَطَنِينُ أَجنحةِ الذُّبابِ يَضِيرُ

وقولِه وقد كانت البيضُ القَواضبُ في الوغى

راجعان الى أصل واحد فى الاشتقاق والبيت للبحتري (وقوله اذا المرء) مما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً فى حشو المصراع الاول اى اذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره اليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لاضرر له فيه فيخزن وخزان مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لامرىء القيس (وقوله لو اختصرتم) مما وقع أحد الملحاقين في آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الاول ويجمعهما شبه الاشتقاق والبيت لابى العلاء المعرى قوله والعذب يعنى من الماء والخصر البرودة يقول ان بعدى عنكم لكثرة ما انعمم عليّ وطوّقتموني من الاحسان (وقوله فدع الوعيد) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً فى آخر المصراع الاول فضائر ويضير مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لا بن عيينة المهلبى (وقوله وقد كانت) فيما يكون الملحق الآخر اشتقاقاً فى صدر المصراع الثاني

* بواترَ فهي الآنَ من بعدِهِ بتْرُ *

* ومنه السَّجعُ وهو تواطؤُ الفاصلتَينِ منَ النَّثْرِ على حرفٍ واحدٍ وهو معنى قولِ السكاكيّ هو في النثرِ كالقافيةِ في الشّعْرِ وهو ثلاثةُ أضرُبٍ مُطرّفٌ إنِ اختلفَا في الوزْنِ نحوُ

قوله القواضب اى القواطع من ذاتها وقوله بواتر اى قواطع لحسن استعماله اياها وبتر جمع ابتر مقطوع الفائدة فالبواتر والبتر مما يجمعهما الاشتقاق والبيت لابى تمام من قصيدته التى رثى بها محمد بن نهشل حين استشهد : هذا : واما الامثلة الثلاثة التى اهملها المصنف فمثال ما يقع احد الملحقين اللذين يجمعهما شبه الاشتقاق فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الاول قول الحريرى

ولاح لايلحي على جرى العنان الى ملهى فسحقا له من لائح لاح

فالاول ماضى يلوح والآخر اسم فاعل من لحاه ابعده ومثال ماوقع الآخر فى آخر المصراع الاول قول الحريرى ايضاً

ومضطلع بتلخيص المعانى ومطلع الى تخليص عانى (١)

فالاول من عنى يعنى والثانى من عنا يعنو ومثال ماوقع الآخر فى صدر المصراع الثاني قول الآخر

لعمرى لقد كان الثريا مكانه ثراء فاضحى الآن مثواه فى الثرى

فالثراء واوى من الثروة والثرى يائي (ومنه السجع) وليس قصاراه

---

(١) المضطلع بالشيء القوي فيه الناهض به وتخليص العاني فكاك الاسير

مَالَكُمْ لَاتَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا وَإِلَّا فَانْ كَانَ مَافِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَايُقَابِلُهُ مِنَ الأُخْرَى فِي الوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَتَرْصِيعٌ نَحْوُ فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ

ان تقف عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد بل ينبغي ان تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة لاغثة ولا باردة والاكنت كمن ينقش اثواباً من الكرسف او ينظم عقدا من الخزف الملون وكذلك ينبغى ان يكون اللفظ فيه تابعاً للمعني والا كان كظاهر مموه على باطن مشوه فاذا توفرت هذه الامور فان وراء ذلك مطلوباً آخر وهو ان تكون كل واحدة من الفقرتين دالة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه الآخرى والاكان تطويلا كقول الصابى الحمد لله الذى لاتدركه الاعين بألحاظها ولا تحده الالسن بالفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبى عليه السلام فقال لم ير للكفر اثرا الاطمسه ومحاه ولا رسما الا ازاله وعفاه اذ لافرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لافرق بين محو الاثر وعفاء الرسم (القرينتين) اي الفقرتين سميت الفقرة كذلك لانها تقارن اختها (فترصيع) وسمى كذلك تشبيهالها بجعل احدى اللؤلؤتين فى العقد فى مقابلة الاخرى وهذا النوع لمافيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة لايوجد الا فى كلام المتفصحين (نحو فهو يطبع) فان الحريرى كما ترى قد جعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر

بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وإلاّ فمتوازٍ نحو فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعةٌ قيل وأحسنُ السّجع ماتساوت قرائنهُ نحو في سدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ وظلٍّ

بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (والا) اى وان لم يكن ما فى احدى القرينتين ولا اكثره مثل ما يقابله من الاخرى فهو السجع المتوازى وذلك بأن يكون ما فى احدى القرينتين او اكثره وما يقابله من الاخرى مختلفين فى الوزن والتقفية جميعا كما فى الآية اوفى الوزن فقط نحو والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً اوفى التقفية فقط كقولهم حصل الناطق والصامت(١) وهلك الحاسد والشامت (قيل) قال ابن الاثير السجع ثلاثة اقسام الاول ان يكون الفصلان متساويين كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وهذا اشرف السجع منزلة للاعتدال الذى فيه الثانى ان يكون الفصل الثانى اطول من الاول لاطولا يخرج به عن الاعتدال كثيرا والا كان قبيحاً فمن ذلك قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً ادًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فان الاول ثمان لفظات والثاني تسع وله فى القرآن غير نظير ويستثنى منه ما كان على ثلاث فقر فان الاولين يحسبان فى عدة واحدة ثم تأتى الثالثة بحيث تزيد عليها طولا و يجوز ان تجيء مساوية لهما كقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصاب اليمين فى سدر مخضوض وطلح منضود وظل ممدود فهذه الثلاث كل منها من لفظتين ولو جعلت

(١) أي وجد عندى الناطق وهو العبيد والصامت نحو الابل والعقار

ممدُودٍ ثم ماطالَتْ قرِينَتُه الثانيةُ نحو والنَّجم إِذَا هوى.
ماضلَّ صاحبُكُم وما غَوى أو الثالثةُ نحو خُذُوه فَغُلُّوه ثم
الجحيمَ صَلُّوه ولا يَحْسُنُ أن يُولَي قرِينةً اقصرُ منها كثيرًا
والاسجاعُ مَبْنِيةٌ على سكونِ الأَعجازِ كقولِهِم ما أَبْعدَ مافاتْ

الثالثة منها خمس لفظات او ستاً كان حسنا الثالث ان يكون الاخر اقصر
من الاول وهو عندي عيب فاحش لان السمع قد استوفى امده من
الفصل الاول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الاول
فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية
فيعثر دونها. هذا والسجع اما قصير كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات
عصفاً او طويل كقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها
منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيئا ت عني انه لفرح فخور او متوسط كقوله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومن لطيف
السجع قول البديع الهمذاني من كتاب له الى ابن فريقون • كتابي
والبحر وان لم أره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت
خلقه والملك العادل وان لم أكن لقيته قد لقيني صيته ومن رأي من
من السيف اثره فقد رأي اكثره (والاسجاع) فواصل الاسجاع
موضوعة على ان تكون ساكنة الاواخر موقوفاً عليها لان الغرض
ان يزاوج بينها ولا يتم ذلك في كل صورة الا بالوقف الا ترى انك لو وصلت

وما أقربَ ماهو آتٍ قيلَ ولا يُقالُ في القرآنِ أسْجاعٌ بل

قولهم ما ابعد مافات وما اقرب ماهو آت لم يكن بد من اجراء كل من الفاصلتين على مايقتضيه حكم الاعراب فيفوت الغرض من السجع واذا رأيتهم يخرجون الكلم من اوضاعها للازدواج في قولهم اني لآتيه بالغدايا والعشايا اى بالغدوات فما ظنك بهم فى ذلك (قيل ولا يقال فى القرآن اسجاع) السجع نوع من الكلام يعتمد الصنعة وقلما يخلو من التكلف والتعسف ومن قصده فى كلامه اجبر على ان يجعل المعنى تابعاً له وهذا نقص فى الكلام كبير وعيب يخمش وجه الفصاحة فلذلك ذهب العقلاء الى ان القرآن برئ من السجع وهذا الذى يظن به انه سجع انما هو فواصل يستريح الكلام اليها قال الباقلانى قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعاً لان مايكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لان السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن لان اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وفصل بين ان ينتظم الكلام فى نفسه بالفاظه التي تؤدى المعنى المقصود فيه وبين ان يكون المعنى منتظماً دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت افادة السجع كافادة غيره ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى ثم قال ولو كان الذى فى القرآن سجعاً لكان مذموماً لان السجع اذا تفاوتت اوزانه واختلفت طرقه كان قبيحاً من الكلام والسجع منهج مرتب وطريق مضبوط متى اخل به المتكلم نسب الى الخروج عن الفصاحة وهذا الذى يظن به انه سجع قد علمنا ان بعضه

يقالُ فواصِلُ وقيل السجعُ غير مختصّ بالنثرِ ومثاله من النظم قوله

تَجَلَّى به رُشدِي وأَثْرَتْ به يَدِي
وفاضَ بهِ ثمْدِي وأورَى به زَنْدِي

متقارب الفواصل متدانى المقاطع وبعضه مما يمتد حتى يتضاعف طوله عايه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا فى السجع غير محمود (ومثاله من النظم قوله) وقول ذى الرمة

كحلاء فى برج صفراء فى نعج   كأنها فضة قد مسها ذهب

وقول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة مهدى الطريقة نفاع وضرار
جواب قاصية جزاز ناصية   عقاد الوية للخيل جرار
حلو حلاوته فصل مقالته   فاش حمالته للعظم جبار

وقول ابي صخر الهذلي

سود ذوائبها بيض ترائبها   محض ضرائبها صيغت من الكرم

وهذا النوع كثير لايحصره الاستقصاء (تجلى) هو لابى تمام قوله اثرت اى صارت ذات ثروة والثمد الماء القليل لامادة له والمراد هنا المال القليل ومعنى اورى به زندى صار ذا ورى وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب

ومِنَ السجعِ على هذا القولِ مايُسمَّى التشطيرَ وهو جعل

(ومن السجع على هذا القول مايسمى التشطير) وكذلك منه مايسمى التصريع وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب والعروض هو آخر المصراع الاول من البيت والضرب آخر المصراع الثاني منه قال ابن الاثير التصريع ينقسم الى سبع مراتب الاولى ان يكون كل مصراع مستقلا بنفسه فى فهم معناه ويسمى التصريع الكامل كقول امرئ القيس

افاطم مهلا بعض هــذا التدلل　　　وان كنت قد ازمعت صرمى فاجمل

الثانية ان يكون الاول غير محتاج الى الثانى فاذا جاء جاء مرتبطاً به كقوله ايضاً

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　　بسقط اللوي بين الدخول فحومل

الثالثة ان يكون المصراعان بحيث يصح وضع كل منهما موضع الآخر كقول ابن الحجاج البغدادى

من شروط الصبوح فى المهرجان　　　خفة الشرب مع خلو المكان

الرابعة ان لا يفهم معنى الاول الا بالثاني ويسمي التصريع الناقص كقول ابى الطيب

مغاني الشعب طيباً فى المغانى　　　بمنزلة الربيع من الزمان

الخامسة ان يكون التصريع بلفظة واحدة فى المصراعين ويسمى التصريع المكرر وهو ضربان لان اللفظة اما متحدة المعنى فى المصراعين كقول عبيد بن الابرص

فكل ذى غيبة يؤب　　　وغائب الموت لا يؤب

وهذا انزل درجة واما مختلفة المعنى لكونه مجازا كقول ابي تمام

كلٌّ مِنْ شَطرَي البيتِ سَجعَةً مُخالِفَةً لأُختِها كقولِه

تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ لِلّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللهِ مُرتقِب

* ومنه المُوازَنَةُ وهي تَساوِي الفاصِلتَيْنِ في الوزنِ دونَ التَّقْفِيَةِ نحوُ ونَمارِقُ مَصفُوفَةٌ وزَرابِيُّ مَبثُوثَةٌ فإنْ كانَ مافي إِحدى القَرِينَتَيْنِ أَوأَكثَرُهُ مثلَ مايُقابِلُهُ مِنَ القَرِينَة

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا فاصبح للهندية البيض مرتعا

السادسة ان يكون المصراع الاول معاقا على صفة يأتى ذكرها فى اول الثانى ويسمى التعليق كقول امرئ القيس

الا ايها الليل الطويل الا انجلى بصبح وما الاصباح منك بامثل

لان الاول معلق بصبح وهذا معيب جداً السابعة ان يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور كقول ابي نواس

اقانى قد ندمت من الذنوب وبالاقرار عدت عن الجحود

فصرع بالباء ثم قفاه بالدال انتهى وهذا السابع خارج مما نحن فيه (كقوله تدبير) فالشطر الاول كما ترى سجعة مبنية على الميم والثانية سجعة مبنية على الباء والبيت لابى تمام والمرتغب فى الله الراغب فيما يقربه من رضوانه والمرتقب المنتظر للثواب الخائف العقاب (ومنه) اى ومن اللفظى (نحو ونمارق) فلفظا مصفوفة ومبثوثة متساويان فى الوزن لافى التقفية لان الاول على الفاء والثانى على الثاء ولا عبرة بتاء

الاخرى في الوزن خُصَّ باسم المُماثَلةِ نحو وآتيناهُما الكتاب المُستبِينَ وهدَيناهُما الصِّراطَ المستقيمَ وقوله

مَهَا الوحشِ إلَّا أنَّ هاتا أوانسٌ * قَنا الخطِّ إلَّا أنَّ تلك ذوابلُ

* ومنه القلبُ كقوله

مَوَدَّتُهُ تَدُومُ لِكلِّ هَوْلٍ * وهَلْ كُلٌّ مَوَدَّتُه تَدُومُ

وفي التَّنزِيلِ كُلٌّ فى فَلَكٍ ورَبَّكَ فَكَبِّرْ *ومنه التشريعُ وهو

التأنيث لما هو معروف من علم القوافى (مها الوحش) هو لابى تمام يصف النساء بسعة العيون وطول القدود مها الوحش بقره والخط موضع تنسب اليه الرماح المستقيمة (ومنه القلب) وهو ان يكون الكلام بحيث اذا قلبت حروفه لم تتغير قراءته ولا بد مع ذلك ان يكون جيد السبك منسجم المعاني ويجرى هذا النوع فى النظم والنثر أما فى النظم فقد يكون بحيث يكون كل من المصراعين قلباً للآخر كقوله* ارانا الاله ؛ هلالا انارا* وقد يكون مجموع البيت قلبا لمجموعه كقول القاضي الارجانى مودته تدوم البيت وأما فى النثر فكما فى قوله تعالى كل فى فلك وقوله جل شأنه وربك فكبر قالوا والحرف المشدد فى هذا الباب فى حكم المخفف لان المعتبر هو الحروف المكتوبة (ومنه التشريع) ويسمي التوشيح قال ابن الاثير وهو ان يبنى الشاعر ابيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من

بناءُ البيتِ على قافيتَينِ يَصحُّ المعني عنـد الوقوفِ على كلٍّ منهما كقوله

ياخاطِبَ الدُّنيا الدَّنيَّةِ إِنَّها * شَرَكُ الرَّدَى وقَرارَةُ الاكدارِ

* ومنه لزُومُ مالاَ يلزَمُ وهو أنْ يجيءَ قبلَ حرف الرّويّ

بحر على عروض واذا اضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافيـة الاخرى كان كذلك شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح فمن ذلك قول بعضهم

اسـلم ودمت على الحوادث مارسا   ركنا ثبير او هضاب حراء

ونـل المراد ممكنـا منه على   رغم الدهور وفز بطول بقاء

اذا نظر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكران على قافية اخرى وبحر آخر وذاك ان يقال

اسلم ودمت على الحوا   دث مارسا ركنا ثبير

ونل المـراد ممكنـا   منه على رغم الدهور

وقـد استعمل ذلك الحريرى فى مقاماته نحو قوله

ياخاطب الدنيا الدنيـة انها   شرك الردى وقرارة الاكـدار

دار متى ما أضحكت فى يومها   ابكت غدا بعـدا لها من دار

واذا اظـل سحابهـا لم ينتفع   منه صـدى لجهـامه الفرار

واعـلم ان هـذا النوع لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم فى الثوب او الشية فى الجلد وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة (ومنه لزوم ما لا يلزم) قال ابن الاثير وهو من اشق هذه الصناعة

أو مافي معناهُ مِنَ الفاصِلة ماليس بلازم في السجع نحوُ فأما اليتيمَ فلا تقْهَرْ وأما السائلَ فلا تَنْهَرْ وقولِه

مذهباً وابعدها مسلكا وذاك لان مؤلفهُ يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذى هو تساوي اجزاء الفواصل من الكلام المنثور فى قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو ان تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو في الشعر ان تتساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية ومن هذا النوع نثرا مارواه صاحب الاغاني ان لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذي الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فآمت بعده وتزوجت زوجاً غيره فكانت كثيرا ما تذكر لقيطاً فلامها على ذلك فقالت انه خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم اتانى وبه نضح دم فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة فلم ار منظرا كان احسن من لقيط فقولها ضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة من الكلام الحلو فى باب اللزوم ولا كلفة عليه وهكذا فليكن ومن ذلك قول الحماسي

ان التى زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها واجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان اكثرها لنا واقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفواد فسلها

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكذلك قول الفرزدق

منع الحياة من الرجال ونفعها حدق تقلبها النساء مراض

سأَشكرُ عمراً إنْ تَرَاخت منيَّتي
أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإنْ هي جلَّتِ
فتًى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه
ولا مُظْهِرُ الشكوى إذا النَّعلُ زلَّت
رَأى خَلَّتي من حيثُ يَخْفى مكانُها
فكانت قذَى عينيهِ حتَّى تجلَّت

وكأن افئدة الرجال اذا رأوا حدق النساء لنبلها اغراض

وممن قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة وهي القصيدة التي اولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتاً وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تترقرق من لينها وسهولتها وبالجملة مايقع من هذا النوع لمتقدم فهو غير مقصود منه ولذلك لايرى عليه من أثر الكلفة شيء اما المتأخرون فقصدوا عمله واكثروا منه حتى ان ابا العلاء المعري عمل من ذلك ديوانا كاملا سماه ديوان اللزوم فاتى فيه بالجيد الذي يحمد والرديء الذي يذم (لم تمنن) اي لم تقطع او لم تخلط بمنة (اذا النعل زلت) زلة القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة (خلتي) الخلة

وأصلُ الحسنِ في ذلك كلّه أنْ تكونَ الالفاظُ تابعةً للمعاني دُونَ العكسِ

خاتمةٌ

(فى السرقاتِ الشّعريّةِ وما يتّصلُ بها وغيرِ ذلك)

إتّفاقُ القائلين إنْ كانَ فى الغَرَضِ على العُمُوم كالوصفِ بالشجاعةِ فلا يُعدُّ سرقةً لتقرُّرِهِ في العُقُولِ والعاداتِ وإنْ كان في الدّلالةِ كالتشبيهِ والمجازِ والكنايةِ وكذِكرِ هيآتٍ تدُلُّ على الصِّفَةِ لاختصاصِها بمن هى لهُ كوصفِ الجوادِ بالتّهلّلِ عند وُرُودِ العُفَاة والبخيلِ بالعُبُوسِ معَ سَعةِ ذاتِ اليَدِ فإن اشتركَ الناسُ فى معرفتِه لاستقرارِه

الخصاصة والفقر (واصل الحسن فى ذلك) قد اسلفنا اول البديع جملة كافية فى هذا المعنى فاجعلها على ذكر منك وعض عليها بالنواجد تكن من الفائزين (وما يتصل بها) مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح (وغير ذلك) مثل القول فى الابتداء والتخلص والانتهاء (فى الغرض على العموم) اى فيما يشترك فيه الناس عامة من الاغراض والمقاصد (لتقرره) فيشترك فيه الفصيح والاعجم والشاعر والمفحم (العفاة) أى السائلين جمع عاف (مع سعة ذات اليد) واما العبوس مع قلة ذات اليد فمن اوصاف

فيهما كتشبيه الشجاعِ بالاسدِ والجوادِ بالبحرِ فهو كالاولِ وإلّا جازَ أنْ يدَّعى فيه السبقُ والزيادةُ وهو ضَرْبانِ خاصيٌّ في نفسهِ غريبٌ وعاميٌّ تُصُرِّفَ فيه بما أخرجَهُ من الابتذالِ الى الغرابةِ كما مرَّ فالاخذُ والسَّرِقةُ نوعانِ ظاهرٌ وغيرُ ظاهرٍ أمَّا الظاهرُ فهو أنْ يُؤْخَذَ المعنى كلُّهُ مع اللفظِ كلّه أو بعضِه أو وحدَه فإن أُخذَ اللفظُ كلُّه من غير تغييرٍ لنَظْمِهِ فهو مذمومٌ لانه سَرِقةٌ مَحْضَةٌ ويُسمَّى نَسخاً وانتحالاً كما حكي عن عبدِ الله بن الزُّبيرِ انَّهُ فَعلَ ذلك بقولِ مُعَنّ بْنِ أوسٍ

الاسخياء (فيهما) اى فى العقول والعادات (فهو كالاول) اى فالاتفاق فى هذا النوع من وجه الدلالة على الغرض كالاتفاق في الغرض العام فى انه لا يعد سرقة ولا اخذا (والا) اى وان لم يشترك الناس فى معرفته بان كان مما لا ينال الا بفكر فهذا الذى يجوز ان يدعى فيه الاختصاص والسبق وان يقضى بين القائلين فيه بالتفاضل وان احدهما فيه افضل من الآخر وان الثانى زاد على الاول او نقص عنه (كما مر) فى باب التشبيه والاستعارة (كما حكى) ان عبد الله بن الزبير الشاعر دخل على معاوية فانشده البيتين فقال له معاوية لقد شعرت بعدى يا ابا بكر ولم يفارق عبد الله المجلس حتى دخل معن بن اوس المزنى فانشد قصيدته التى اولها

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَه

عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَزْحَلُ

لعمرك ما ادرى واني لأوجل　　على اينا تعدو المنية اول

حتى اتى عليها وفيها ما انشده عبد الله فاقبل معاوية على عبد الله وقال له ألم تخبرني انهما لك فقال المعنى لى واللفظ له وبعد فهو اخى من الرضاعة وانا احق بشعره قوله من ان تضيمه اى بدلا من أن تظلمه وشفرة السيف حده ومزحل من زحل عن مكانه زحولا اذا انحى وتباعد يقول انه لا يبالى ان يركب من الامور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة ان يدخل عليه ضيم او يلحقه هضم او احتقار متى لم يجد عن ركوبه مبعدا ولا معدلا: هذا: ومما هو من قبيل ذلك ماروى للابيرد اليربوعى

فتى يشترى حسن الثناء بماله　　اذا السنة الشهباء اعوزها القطر

ولابى نواس

فتى يشترى حسن الثناء بماله　　ويعلم ان الدائرات تدور

قال ابن الاثير ومما كنت استحسنه من شعر ابى نواس قوله من قصيدته التى اولها *دع عنك لومي فان اللوم اغراء

دارت على فتية ذل الزمان لهم　　فما يصيبهم الا بما شاؤا

وهذا من عالى الشعر ثم وقفت فى كتاب الاغانى لابى الفرج على هذا

وفى معناه أنْ يُبدَّلَ بالكلماتِ كلّها أو بعضها ما يُرادفُها وان كانَ معَ تغييرٍ لنظمه أو أُخِذَ بعضُ اللفظِ سُمّيَ إغارَةً

البيت فى اصوات معبد وهو

لهفى على فتية ذل الزمان لهم   فما اصابهم الا بما شاؤا

وما اعلم كيف هذا وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا فى شعرهما حتى لقد حكى ان امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان تحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها واقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل اليها فاقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى اتصارعنى فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث ان اخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال ياابا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما اردت ما جري فقال ويحك والله مابى انك صرعتنى ولكن كأنى بابن الاتان :يعنى جريرا :وقد بلغه خبرى فقال يهجونى

جلست الي ليلى لتحظى بقربها   فخانك دبر لا يزال يخون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه   كما شد جربان الدلاص قيون

قال فوالله مامضى الا ايام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من اغرب ما يكون فى مثل هذا الموضع واعجبه (ان يبدل) كقول امرئ القيس .

وقوفا بها صحبي على مطيهم   يقولون لاتهلك أسي وتجمل

وقول طرفة

وقوفا بها صحبي على مطيهم   يقولون لاتهلك أسي وتجلد

ومَسْخاً فان كان الثانِي أبلغَ لاختصاصِه بفضيلةٍ فممدُوحٌ كقولِ بشارٍ

مَنْ رَاقَبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتِه
وفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

وقولِ سَلْمٍ

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ همًّا * وفازَ باللذَّةِ الجسورُ

وكقول حاتم

ومن يبتدع ماليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقول الاعور

ومن يقترف خلقا سوى خلق نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها

(لاختصاصه بفضيلة) كحسن السبك اوالاختصار أو الايضاح أو زيادة معني (كقول بشار) فبيت سلم قالوا أجود سبكا وأخصر لفظاً وقد روى عن ابي معاذ راوية بشار انه قال انشدت بشارا قول سلم فقال ذهب والله بيتي فهو اخف منه واعذب والله لا اكلت اليوم ولا شربت: هذا: ومن السرقات الممدوحة قول الشاعر

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وقول ابن نباتة بعده

خلقنا باطراف القنا فى ظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب

وان كان دونه فمذموم كقول أبي تمام

هيهاتَ لايأتي الزمانُ بمثلِه * إنَّ الزمانَ بمثلِه لَبَخيلْ

وقول أبي الطيِّب

أعدَى الزمانَ سخاؤُه فسَخا به * ولقد يكونُ به الزمانُ بخيلا

فبيت ابن نباتة ابلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم ومن النــاس من جعلهما متساويين (كقول أبي تمــام) فان مصراعه احسن سبكا من مصراع ابي الطيب لان ابا الطيب اراد ان يقول ولقد كان الزمان به بخيلا فعــدل عن الماضى الى المضارع للوزن فان قلت المعنى ان الزمان لا يسمح بهــلاكه قلنا السخاء بالشيء هو بذله للغير فاذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق فى تصريفه حتى يسمح بهلاكه او يخل به (اعدى الزمان) اى تعلم الزمان منه السخاء فجاد به واخرجه من العــدم الى الوجود ولولا سخاؤه الذى استفاده منه لبخل به على الدنيا واستبقاه لنفسه (فابعد من الذم) هذا على تقدير ان لا يكون فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية والا فهو بالذم حقيق كقول ابى تمام

مقيم الظن عندك والاماني * وان قلقت ركابي فى البلاد

ولا سافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

وقول أبي الطيب

وانى عنك بعد غد لغادى * وقلبي عن فنائك غير غاد

محبك حيثما اتجهت ركابى * وضيفك حيث كنت من البلاد

وان كان مثله فابعدُ منَ الذَّمّ والفضلُ للاول كقولِ أبي تمام

لو حارَ مرْتادُ المنيّةِ لم يجِدْ * إلاَّ الفرَاقَ على النفوسِ دَليلاَ

وقولِ أبي الطيب

لولا مفارقةُ الاحبابِ ماوجَدتْ

لهـا المنـايا الى أرواحنا سُبْلاَ

(كقول ابي تمام) وكقول بشار

ياقوم اذنى لبعض الحي عاشقة والاذن تعشق قبل العين احيانا

وقول ابن الشحنة الموصلى

وانى امرؤ احببتكم لمكارم سمعت بها والاذن كالعين تعشق

وكذا قول الارجانى

لم يبكنى الا حديث فراقكم لما اسر به الى مودعى

هو ذلك الدر الذى اودعتم فى مسمعى القيته من مدمعى

وقول جار الله

وقائلة ما هذه الدرر التى تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت هى الدر التى قد حشا بها ابو مضر اذنى تساقط من عين

(كقول ابى تمام لو حار) فان ابا الطيب اخذ المعنى برمته مع بعض الالفاظ كالمنية والفراق والوجدان والبيتان متساويان فى البلاغة والارتياد الطلب واضافة المرتاد الى المنية بيانية والمعنى ظاهر (لما) من الم

وان أُخِذَ المعنى وحدَه سُمِّيَ إلماماً وسلخاً وهو ثلاثةُ أقسامٍ كذلِكَ أوَّلُها كقولِ أبي تمام

هو الصنْعُ إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ وإنْ يَرِثْ
فَلَلرَّيْثُ في بعضِ المواضِعِ أنفَعَ

وقولِ أبي الطيب

ومِنَ الخيْرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنّي

بالشيء اذا قصده واصله من الم بالمنزل اذا نزل به (وسلخا) وهو كشط الجلد عن نحو الشاة واللفظ للمعنى بمنزلة الجلد فكأنه كشط عن المعنى جلدا والبسه جلدا آخر (كذلك) اي مثل ما يسمى اغارة ومسخا لان الثانى اما ابلغ من الاول او دونه او مثله (كقول أبي تمام) وكقول البحترى

تصد حياء ان تراك باوجه اتى الذنب عاصيها فليم مطيعها

وقول ابى الطيب

وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

فان بيت ابى الطيب احسن سبكا وكانه اقتبسه من قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا وكقول الآخر

ولست بنظار الى جانب الغنى اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول ابي تمام بعده

يصد عن الدنيا اذا عن سودد ولو برزت فى زى عذراء ناهد

أَسرَعُ السُّحْبِ فِي المسيرِ الجَهَامُ

وثانيها كقولِ البُحْتُرِيِّ

وإذا تَأَلَّقَ في النَّدِيِّ كلامُهُ الـمصقولُ خِلْتَ لسانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

فبيت ابي تمام اخصر وابلغ لان قوله ولو برزت فى زى عـذراء ناهـد زيادة حسنة (كقول ابي تمام هو الصنع) فبيت المتنبى ابلغ لاشتماله على زيادة بيان • والريث الابطاء والسيب العطاء والجهام السحاب الذي لا ماء فيه (كقول البحترى) فان بيت ابى الطيب دون بيت البحتري لانه قد فاته ما افاده البحترى بلفظى تألق والمصقول من الاستعارة التخييلية حيث اثبت التألق والصقالة للكلام كاثبات الاظفار للمنية ويلزم من هـذا تشبيه كلامه بالسيف وهو الاستعارة بالكناية : ومعنى تألق لمع والندى المجلس الغاص باشراف الناس والمصقول المنقح والعضب السيف القاطع شبه لسانه بسيفه • وخرصان الرماح اسنتها او الحلق تطيف باسافل الاسنة وواحدها خرص بالضم والكسر وصف فصاحة السنة الممدوحين وطلاقتها • ومن هذا القسم قول بعض الاعراب

وريحها اطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر

وقول بشار

واذا ادنيت منها بصلا غلب المسك على ريح البصل

وكذلك قول اشجع

وعلى عدوك ياابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعتــه واذا هدا سلت عليه سيوفك الاحلام

وقول أبي الطيبِ

كأَنَّ ألسنَهمْ في النُّطقِ قد جُعِلَتْ

على رماحِهِمِ في الطَّعنِ خُرْصانا

وثالثُها كقولِ الأَعْرابيِّ

ولم يَكُ أَكثرَ الفِتْيانِ مالاً * ولكنْ كان أَرحَبَهُم ذِرَاعا

وقولِ أَشجعَ

وليس باوسعِهِمْ في الغِنَى * ولكنَّ معرُوفَهُ أَوسعُ

وقول ابى الطيب

يرى فى النوم رمحك فى كلاه   ويخشي ان يراه فى السهاد

فقصر بذكر السهاد لانه اراد اليقظة فاخطأ اذ ليس كل يقظة سهادا وانما السهاد امتناع الكرى فى الليل واما المستيقظ بالنهار فلا يسمى ساهدا (كقول الاعرابى) وكذا قول بكر بن النطاح

كأنك عند الكر فى حومة الوغى   تفر من الصف الذي من ورائكا

وقول ابى الطيب

فكأنه والطعن من قدامه   متخوف من خلفه ان يطعنا

وكذا قول الآخر يذكر ابنا له مات

الصبر يحمد فى المواطن كلها   الا عليك فانه مذموم

وقول ابي تمام بعده

* وأمَّا غيرُ الظاهرِ فمنه ان يتَشابَهَ المعنيانِ كقولِ جريرٍ

فلا يَمْنَعكَ من أرَبٍ لِحاهُم * سواءٌ ذُو العِمامةِ والخِمارِ

وقول أبي الطيب

ومَنْ فى كَفِّهِ منهم قَنَاةٌ * كَمَنْ في كفهِ منهم خِضَابُ

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فاصبح يدعى حازما حين يجزع

وفلان رحب الذراع والباع سخي (كقول جرير) فان تعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير ابى الطيب عنه بمن فى كفه قناة وكذا العبارة عن المرأة بذات الخمار وبمن فى كفه خضاب : ومن هذا النوع قول الطرماح بن حكيم الطائي

لقد زادنى حباً لنفسى اننى بغيض الى كل امرىء غير طائل

وقول ابى الطيب واذا اتتك مذمتى من ناقص* فهى الشهادة لي بانى كامل

فان ذم الناقص ابا الطيب كبغض من هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص ابا الطيب بفضله كزيادة حب الطرماح لنفسه وكذا قول ابي العلاء المعري فى مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة ولكنها فى وجهه أثر اللطم

وقول القيسرانى

واهوى الذي اهوى له البدر ساجدا الست ترى فى وجهه اثر الترب

ولا يغرنك من البيتين المتشابهين ان يكون احدهما نسيباً والآخر مديحاً او هجاء اوافتخارا او غير ذلك فان الشاعر الحاذق اذا عمد

* ومنـه النقلُ وهو أن يُنقَلَ المعـنى الى معنى آخرَ كقولِ البُحتُرِيّ

سُلِبُوا وأشرقَتِ الدماءُ عليهمُ * مُحْمَرَّةً فكأنَّهم لم يُسلَبُوا

وقول أبي الطيب

يبسَ النَّجيعُ عليهِ وهو مُجرَّدٌ * من غِمدِهِ فكأنَّما هو مُغمَدُ

* ومنه أن يكونَ الثانى أشملَ كقول جريرٍ

إذا غضِبَتْ عليك بنو تميمٍ * وجدْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا

وقول أبي نُواسٍ

وليس على اللهِ بِمُستَنـكَرٍ * أنْ يَجمَعَ العالَمَ في واحِدِ

* ومنه القلبُ وهو أنْ يكونَ معنى الثاني نَقيضَ معنى الاولِ

الى المعنى المختلس لينظمه تحيل فى اخفائه فغير لفظه وعـدل به عن نوعه ووزنه وقافيته (كقول البحترى) فان ابا الطيب كما ترى نقل المعنى من القتلى والجرحى الى السيف : واصل هذا المعنى من قول بعض العرب

وفرقت بين ابنى هشيم بطعنة لها عائد يكسو السليب ازارا

(النجيع) النجيـع من الدم ما كان الى السواد وهو دم الجوف (كقول جرير) فان جريرا جعل الناس كلهم بنى تميم وابا نواس جعل

كقولِ أبي الشِّيصِ

أَجِدُ الملامَةَ في هواكِ لذيذةً * حبًّا لذكرِكِ فَلْيَلُمْني اللُّوَّمُ

وقول أبي الطيب

أأُحِبُّهُ وأُحِبُّ فيهِ ملامةً * إنَّ الملامَةَ فيه من أعدائِهِ

ومنه أن يُؤْخَذَ بعضُ المعنى ويضافَ اليه ما يُحسِّنُه كقولِ الافوهِ

وترى الطيرَ على آثارِنا * رَأْيَ عينٍ ثقةً أن ستُمارُ

العالم كله في واحد (كقول ابي الشيص) فان ما في بيته مناقض لما في بيت ابي الطيب لانه صرح بحب الملامة والمتنبي نفى حبها بهمزة الانكار لكن كل منهما باعتبار آخر ولهذا قالوا الاحسن في هذا النوع ان يبين السبب كما في هـذين البيتين (١) الا ان يكون ظاهراً كما في قول ابي تمام

ونغمة معتف جدواه احلي   على أذنيــه من نغم السماع

وقول ابي الطيب

والجراحات عنده نغمات   سبقت قبل سيبه بسؤال

اراد ابو تمام أن الممدوح يستلذ نغمات السائلين لما فيه من غاية الكرم ونهاية الجود واراد ابو الطيب انه ان سبقت نغمة من سائل عطاء الممدوح باغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح لان عادته ان يعطى بغير سؤال (ستمار) أى ستطعم من لحوم من تقتلهم من القتلى

---

(١) فان الاول علل حب الملامة بحبه لذكره والثاني علل كراهيته لها بكونها تصدر من الاعداء

وقول أبي تمام

وقد ظُلِّلَتْ عِقبانُ أعلامِهِ ضُحًى ... بِعِقبانِ طيرٍ في الدماء نواهلِ

أقامتْ معَ الرَّاياتِ حتى كأَنَّها ... من الجيشِ إلاَّ أنَّها لم تقاتلِ

فإنَّ أبا تمَامٍ لم يُلِمَّ بشيءٍ من معنى قولِ الافوه رأيَ عينٍ وقولِهِ ثقةً أنْ ستُمارُ لكنْ زادَ عليه بقولهِ الاَّ أنَّها لم تُقاتل وبقولِهِ في الدماءِ نواهلِ وباقامتِها مع الرياتِ حتى كأنَّها من

(وقد ظللت) يقول ان رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت مظللة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى لانه اذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لاكل لحوم القتلى فتلقى ظلالها عليها والنواهل جمع ناهلة من نهل اذا روى (فانا ابا تمام) يعنى ان ابا تمام انما أخذ بعض معنى بيت الافوه لا كله لان الافوه افاد بقوله رأي عين قرب الطير من الجيش لانها اذا بعدت تخيلات ولم تر وانما يكون قربها توقعاً للفريسة وهذا يؤكد المعنى المقصود أعنى وصفهم بالشجاعة والاقتدار على قتل الاعادى ثم قال ثقة ان ستمار فجعلها واثقة بالميرة واما ابو تمام فلم يلم بشيء من ذلك لكن زاد على الافوه بقوله الا انها لم تقاتل وبقوله فى الدماء نواهل ثم باقامتها مع الريات حتى كأنها من الجيش وبذلك يتم حسن

الجيشِ وبها يتِمُّ حسنُ الاوَّلِ وأكثرُ هذهِ الانواعِ ونحوها مقبولةٌ بل منها مايخْرِجهُ حسنُ التصرفِ من قبيلِ الاتّباعِ الى حيِّزِ الابتداعِ وكلُّ ما كان أشدَّ خفاءً كان أقربَ الي القبولِ هذا كلُّه اذا عُلِم أنَّ الثانيَ أخذ من الاولِ لجوازِ أنْ يكونَ الاتفاقُ من قبيلِ تواردِ الخواطرِ أي مجيئِه على سبيلِ الاتفاقِ من غيرِ قصدٍ للاخذِ فاذا لَمْ يُعلَمْ قيل قال فلانٌ كذا وسبقه اليه فلانٌ فقال كذا * ومِمَّا يتَّصِلُ بهذا القولُ في

قوله الا انها لم تقاتل وهذه الزيادات حسنت قوله وان كان قد ترك بعض ما اتي به الافوه (اذا علم ان الثانى أخذ من الاول) بان يعلم انه كان يحفظ قول الاول حين نظم قوله أو بان يخبر هو عن نفسه أنه أخذه منه (لجوز ان يكون الاتفاق من قبيل تواردالخواطر) كما وقع لى فيما درج من الايام ايام كنت لااعرف شعرا ولا شاعرا وذلك بيت قلته فى صديق غاب عنى حرساً من الزمن وهو

وما كنت ادرى قبل بعدك ما الجوى ... ولا حادثات الدهر كيف تنوب

فاسمعته صاحباً لي فقال ان مثله لكثير عزة وهو

وما كنت ادرى قبل عزة ماالبكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

فما كاد يتمه حتى اخذتنى هزة الطرب وكدت اخرج من جلدى فرحا وقلت الآن اغبط نفسي حيث طبعت على غرار اعيان الشعراء وكما يحكى

الاقتباسِ والتَّضمينِ والعقدِ والحلّ والتَّلميح أمَّا الاقتباسُ فهو أَن يُضمَّنَ الكلامُ شيئاً مِنَ القرآنِ أو الحديثِ لاَ على أنَّهُ منهُ كقولِ الحريريِّ فلم يكنْ إلاَّ كلَمحِ البَصَرِ أو هو أقربْ حتى أنشدَ فأغربْ وقولِ الآخرِ

إن كنتِ أزمعتِ على هجرنا * من غيرِ ماجُرْمٍ فصبرٌ جميلْ
وإن تبدَّلتِ بنَا غيرَنَا * فحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلْ

وقول الحريريِّ قُلْنا شاهتِ الوجوه وقُبِحَ اللُّكَعُ ومَنْ يرْجوهْ وقولِ بن عبادٍ

قالَ لِي إنَّ رَقيبِي * سيِّئُ الخُلْقِ فدارهْ

عن ابن ميادة انه أنشد لنفسه

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته تهلل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له أين يذهب بك هـذا للحطيئة فقال الآن علمت انى شاعر اذ وافقته على قوله ولم اسمعه (الآخر) هو ابو القاسم بن الحسن الكاتبي (ازمعت) أى عزمت (قلنا شاهت الوجوه) أى قبحت وهو لفظ الحديث فانه روى لما اشتدت الحرب يوم حنين أخـذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من الحصباء فرمى به وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه (اللكع) أي اللئيم ويقال هو العبد الذليل النفس (فداره) من

قَلَتُ دَعْنِي وجْهُكَ الجَنَّةُ حُفَّتْ بالمكارهْ

وهو ضربانِ مالم يُنقَلْ فيه المقتبَسُ عن معناه الاصليِّ كما تقدم وخلافُه كقوله

لَئِنْ أخطأْتُ في مَدْحِيكَ ما أخطأْتَ في مَنْعِي

لقد أنزلتُ حاجاتي * بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعِ

ولا بأْسَ بتغييرٍ يسيرٍ للوزنِ أو غيرِه كقوله

قد كان ماخِفْتُ أن يكونا * إنّا الى اللهِ راجعونا

المداراة وهى المجاملة والملاطفة (وجهك الجنة) فقد اقتبس من لفظ الحديث حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات : يعنى انوجهك جنة فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب كما لابد لطالب الجنة من مشاق التكاليف (كقوله) اى قول ابن الرومى فان بوادغير ذى زرع مقتبس من القرآن الكريم لكن معناه فى القرآن واد لاماء فيه ولا نبات وفى البيت جناب لاخير فيه ولا نفع (كقوله) أى قول بعض المغاربة عند وفاة بعض اصحابه ومثله قول عمر الخيامى

سبقت العالمين الى المعالى بصائب فكرة وعلو همه

ولاح بحكمتى نور الهدى فى ليال للضلالة مدلهمه

يريد الجاهلون ليطفؤه ويأبى الله الا ان يتمه

* وأمَّا التضمينُ فهو أنْ يُضَمَّنَ الشعرُ شيئًا من شعرِ الغير مع التنبيهِ عليه ان لم يكنْ مشهورًا عندَ البلغاء كقوله

على أنّي سأنشدُ عندَ بيعي * أضاعوني وأيَّ فتي أضاعوا

وأحسنهُ مازاد على الاصلِ بنُكتةٍ كالتوريةِ والتشبيهِ في قوله

وكذلك قول القاضي منصور الهروي الازدي

فلو كانت الاخلاق تحوى وراثة ولو كانت الآراء لاتتشعب
لاصبح كل الناس قد ضمهم هوى كما ان كل الناس قد ضمهم أب
ولكنها الاقدار كل ميسر لما هو مخلوق له ومقرب

(عليه) أي على انه من شعر الغير (كقوله) اى قول الحريرى يحكي ماقاله الغلام الذي عرضه ابو زيد للبيع : والمصراع الاخير قيل للعرجي وقيل لامية بن ابي الصلت وتمامه * ليوم كريهة وسداد ثغر *

ومن هذا النوع قول ابن العميد

وصاحب كنت مغبوطاً بصحبته دهراً فغادرني فردا بلا سكن
هبت له ريح اقبال فطار بها نحو السرور وألجأني الى الحزن
كأنه كان مطوياً على احن ولم يكن في ضروب الشعر انشدني
ان الكرام اذا ماسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

والبيت لأبي تمام (كالتورية والتشبيه فى قوله) أى قول صاحب التحبير فقوله تذكرت ما بين العذيب وبارق ومجر عوالينا ومجرى السوابق مطلع قصيدة لابى الطيب ومعناه انهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين وكانوا يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ويسابقون على الخيل فالشاعر،

اذا الوهمُ أبْدَى لِي لَمَاهَا وثَغْرَهَا
تذكَّرْتُ مابين العُذَيْبِ وبارقٍ
ويُذْكِرُني من قَدِّها ومَدَامِعي
مَجَرَّ عَوالينا ومَجْرَى السَّوابقِ

ولا يَضُرُّ التغييرُ اليسيرُ ورُبَّما سُمِّيَ تَضْمِينُ البيتِ فما زاد استعانةً وتضمينُ المصراعِ فما دونه إِيْدَاعاً ورَفْوًا * وأمَّا العَقْدُ فهو أن يُنظَمُ نَثْرٌ على طريقِ الاقتباسِ كقوله

الثانى أراد بتضمينه بالعذيب وبارق معنيهما البعيدين لانه جعل العذيب تصغير العذب وعنى به شفة الممدوح و ببارق ثغرها الشبيه بالبرق وبما بينهما ريقها وشبه تبختر قدها بتمايل الرمح وجريان دمعه على التتابع بجريان الخيل السوابق فزاد على ابي الطيب بهذه التورية والتشبيه (ولا يضر التغيير اليسير) ليدخل فى معنى الكلام كقول بعض المتأخرين فى يهودى به داء الثعلب

اقول لمعشر غلطوا وغضوا عن الشيخ الرشيد وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

البيت لسحيم بن وثيل واصله

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفونى

(ايداعا) لان الشاعر الثانى قد اودع شعره شيأ من شعر الاول (ورفوا) لانه رفا خرق شعره بشعر غيره (كقوله) اي قول ابى العتاهية :.

مابالُ مَنْ أوَّلُهُ نُطفةٌ * وجيفةٌ آخرُه يفخرُ

عَقَدَ قولَ عليٍّ رضي الله عنه وما لابنِ آدمَ والفخرَ وإنما أوَّله نُطفةٌ وآخرُه جيفةٌ * وأمَّا الحَلُّ فهو أنْ يَنثُرَ نظمٌ كقولِ بعضِ المغاربةِ فانَّهُ لمَّا قَبُحتْ فعلاتُه وحَنظلتْ نخلاتُه لم يَزَلْ سوءُ الظنِّ يقتادُهُ ويُصدِّقُ تَوهُّمَهُ الذي يَعتادُه حَلَّ قولَ أبي الطيب

ومثله قوله أيضاً

كفى حزنا بدفنك ثم انى   نفضت تراب قبرك عن يديا
وكانت فى حياتك لي عظات   وانت اليوم اوعظ منك حيا

قيل عقد قول بعض الحكماء فى الاسكندر لما مات كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم اوعظ منه امس (واما الحل) وشرط كونه مقبولا شيآن احدهما ان يكون سبكه مختارا لايتقاصر عن سبك أصله والثاني ان يكون حسن الموقع مستقرا فى محله غير قلق (كقول بعض المغاربة) وكقول صاحب الوشي المرقوم فى حل المنظوم يصف قلم كاتب فلا تحظى به دولة الا فخرت على الدول • وغنيت به عن الخيل والخول وقالت اعلى الممالك ما يبنى على الاقلام لاعلى الاسل حل قول ابي الطيب

(اعلى الممالك مايبنى على الاسل)

اذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظُنونُهُ * وصدَّقَ ما يَعتادُهُ من تَوَهُّمِ

* وأما التَّلميحُ فهو أنْ يُشارَ الى قصَّةٍ أو شِعرٍ من غير ذِكرهِ كقوله

فواللهِ ما أدري أأَحلامُ نائمٍ
أَلمَّتْ بِنا أمْ كانَ في الرَّكبِ يُوشَعُ

وكقول بعض الكتاب في وصف السيف اورثه عشق الرقاب نحولا فبكى. والدمع مطر تزيد به الخدود محولا حل قول ابي الطيب أيضاً

في الخد ان عزم الخليط رحيلا   مطر تزيد به الخدود محولا

وكقولي في استاذنا الامام الشيخ محمد عبده امام صار له دوي في كل. قطر كأنما تداول سمع المرء انمله العشر حللت قول ابي الطيب يخاطب. علي بن احمد الانطاكي

وتركك في الدنيا دويا كأنما   تداول سمع المرء انمله العشرُ

(كقوله فوالله) هو لابي تمام وقبله

لحقنا باخراهم وقد حوم الهوى   قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع.
فردت علينا الشمس والليل راغم   بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى   لبهجتها ثوب السماء المجزع.

الضمير في اخراهم ولهم للاحبة المرتحلين وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ. وحام الطير على الماء دار وحومه غيره ونضا ذهب به وازاله والضمير في ضوءها وبهجتها للشمس الطالعة من الخدر والدجنة الظلمة وانطوى.

أشار الى قصةِ يُوشعَ عليه السلام واستيقافِهِ الشَّمسَ وكقولهِ

لَعمرٍو معَ الرَّمضاءِ والنَّارُ تلتظي
أرقُّ وأحفى منكَ في ساعةِ الكربِ

أشار الى البيت المشهور

المُستجيرُ بعمرٍو عند كُربتهِ * كالمُستجيرِ منَ الرَّمضاءِ بالنَّارِ

انضم والجزع ذو لونين وقوله أأحلام نائم استعظام لما رأى واستغراب (اشارة الى قصة يوشع) على ماروى انه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم (لعمرو) هو لابى تمام والرمضاء الارض الشديدة الحر واحفى من حفى بفلان اذ بالغ فى كرامه واظهر السرور بالفرح (المستجير بعمرو) لهذا البيت قصة وهى ان البسوس زارت اختها الهيلة وهى أم جساس بجار لها من جرم بن زبان له ناقة وكليب قد حمى ارضا من العالية فلم يكن يرعاها الا ابل جساس لمصاهرة بينهما فخرجت فى ابل جساس ناقة الجرمى ترعى فى حمى كليب فانكرها كليب فرماها فاختل ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبها وضرعها يشخب دما ولبنا وصاحت البسوس واذلاه واغربتاه فقال لها جساس أيتها الحرة اهدئي فوالله لاعقرن فحلا هو اعز على اهـله منها فلم يزل جساس يتوقع غرة كليب حتى خرج وتباعد عن الحمى فبلغ جساسا خروجه فخرج على فرسه فاتبعه فرمى

﴿ فصل ﴾ يَنبغي للمتكلِّمِ أَنْ يتأنَّقَ في ثلاثةِ مواضعَ من كلامهِ حتى تكونَ أعذبَ لفظاً وأحسنَ سبكاً وأصحَّ معنًى أحدُها الابتداء كقوله

قِفَا نَبْكِ من ذِكرَي حبيبٍ ومنزلِ
بِسقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فحَوْمَلَ

صابه ثم وقف عليه فقال ياعمرو اغثني بشربة ماء فاجهز عليه فقضى فقيل المستجير بعمرو البيت ونشب الشر بين تغلب وبكر اربعين سنة كلها لتغلب على بكر ولهذا قيل اشأم من البسوس : هذا : ومن التامليح ضرب يشبه اللغز كما روى ان تميما قال لشريك النميري مافى الجوارح أحب الى من البازى فقال اذا كان يصيد القطا اشار التميمى الى قول جرير

انا البازى المطل على نمير ... اتيح من السماء لها انصبابا

واشار شريك الى قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت طرق المكارم ضلت

(احدها الابتداء) لانه أول مايقرع السمع فان كان عذبا حسن السبك صحيح المعنى اقبل السامع على الكلام ولهذا المعنى يقول الله عز وجل الم وحم وطس وطسم وكهيعص فيقرع اسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم الى لاستماع لما بعده ومن هنا جعل اكثر الابتدآت بالحمد لله لان النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية الى الاستماع (كقوله قفانبك) قيل لما سمعه رسول الله صلى الله

وكقوله قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ * خلعتْ عليه جمالَها الايامُ

وينبغي أنْ يتجنَّبَ في المديح مايُتطيَّرُ به كقوله

* موْعدُ أحبابكَ بالفرقةِ غدْ *

عليه وسلم قال قاتل الله الملك الضليل وقف واستوقف وبكى واستبكى. وذكر الحبيب ومنزله في مصراع واحد والبيت مطلع معلقة امرىء القيس وتمامه * بسقط اللوى بين الدخول فحومل *

ومن الابتدآت الجيدة قول النابغة الجعدي

كليني لهمٍّ يا اميمة ناصبِ وليل اقاسيه بطيء الكواكب

وقول المتنبي

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

(وكقوله) أي قول اشجع السلمى (موعد)مطلع قصيدة لابن مقاتل الضرير انشدها للداعي العلوى فقال له الداعي موعد احبابك يا أعمى ولك المثل السوء ويروى أيضاً أنه دخل عليه في يوم مهرجان وأنشد

لاتقل بشرى ولكن بشريان . غرة الداعي ويوم المهرجان

فتطير به وقال يا أعمى تبتدىء بهذا يوم المهرجان وقيل بطحه وضربه خمسين عصا وقال اصلاح أدبه ابلغ في ثوابه . ويروى انه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وامرهم ان يخرجوا في زينتهم فما رأى الناس احسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق الموصلي فانشد شعراً اجاد فيه الا انه ابتدأه بذكر الديار وعفائها فقال له

وأَحْسَنُه مايناسِبُ المقْصُودَ ويُسَمَّى براعَةَ الاستِهْلَالِ كقولِهِ في التهنئةِ

* بُشْرَي فقَدْ انجزَ الاقبالُ ما وَعَدَا * وقولِهِ في المرثيةِ

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فيهَا * حَذَارِ حَذَارِ منْ بَطْشِي وفَتْكِي

يادار غيرك البلا ومحاك   ياليت شعري ما الذى ابلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا كيف ذهب على ابى اسحق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ثم اقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سرمن رأى وخرب القصر (بشرى)هو لابى محمد الخازن يهنىء ابن عباد بمولود لبنته وأحسن منه قول ابى تمام يهنىء المعتصم بالله بفتح عمورية وكان أهل التنجيم زعموا انها لاتفتح فى ذلك الوقت

السيف اصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى   متونهن جلاء الشك والريب

وقول ابى الطيب فى التهنئة بزوال مرض

المجد عوفى اذ عوفيت والكرم   وزال منك الى اعدائك السقم

(هى الدنيا) لابي الفرج الساوى فى مرثية فخر الدولة واحسن منه قول اوس بن حَجَر

ايتها النفس اجملى جزعا   ان الذى تحذرين قد وقعا

وقول ابى تمام

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر   وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

*وثانيها التخلص مما شبب الكلام به من نسيب أو غيره الى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما كقوله

يقول في قومس قومي وقد أخذت
منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا *فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وقد ينتقل منه الى مالا يلائمه ويسمى الاقتضاب وهو مذهب

(وثانيها التخلص) لان السامع يكون مترقباً للانتقال من التشبيب الى المقصود كيف يكون فاذا كان حسنا متلائم الطرفين حرك من نشاط السامع واعان على اصغاء ما بعده وان كان بخلاف ذلك كان الامر بالعكس هذا وكان الاحسن والاوضح للمصنف ان يقول وثانيها التخلص وهو الانتقال مما ابتدئ الكلام به من نسيب او غيره الى المقصود الخ كما لا يخفى على الفطن والنسيب ان يصف الشاعر جمال المرأة وحاله معها فى العشق (او غيره) كالافتخار والهجو والشكاية (كقوله يقول) قومس صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل والمهرية الابل المنسوبة الى مهر بن حيدان والقود الطوال الظهور والاعناق والبيتان لابى تمام في عبد الله بن طاهر هذا ومن بدائع التخلص قول زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم

وقول مسلم بن الوليد

اجدك ما تدرين ان رب ليلة كان دجاها من قرونك ينشر

العَرَبِ الأُولى وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ المُخَضْرَمِينَ كقوله

لو رَأى اللهُ انَّ فِي الشَّيْبِ خَيْراً * جاوَرَتْه الابرارُ في الخُلْدِ شِيبا

كلَّ يومٍ تُبْدِي صُرُوفُ الليالِى * خُلُقاً مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبا

وَمِنْهُ مايَقْرُبُ مِنَ التَّخَلُّصِ كَقَوْلِكَ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ أَمَّا بَعْدُ

سهرت بها حتى تجلت بغرة   كغرة يحيى حين يذكر جعفر

وقول المتنبي

خليلى مالى لا ارى غير شاعر   فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة   ولكن سيف الدولة اليوم واحد

(الاولى) يعنى الجاهلية (من المخضرمين) وهم الذين ادركوا الجاهلية والاسلام مثل لبيد قال الزمخشرى ناقة مخضرمة اى جدع نصف اذنها ومنه المخضرم الذى ادرك الجاهلية والاسلام كانما قطع نصفه حيث كان فى الجاهلية (كقوله) اى قول ابى تمام وهو من الاسلاميين لانه كان فى زمن الدولة العباسية هذا والاقتضاب فى الشعر كثير والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر فمن الاقتضاب قول ابى نواس فى قصيدته النونية التى اولها * يا كثير النوح فى الدمن *

فاسقنى كأسا على عذل   كرهت مسموعه اذنى

من كميت اللون صافية   خير ما سلسلت فى بدنى

ما استقرت فى فؤاد فتى   فدرى مالوعة الحزن

تضحك الدنيا الى ملك   قام بالآثار والسنن

سن للناس الندى فندوا   فكأن البخل لم يكن

قيلَ وَهوَ فَصلُ الخطابِ وَ كَقَوْلِهِ تعالى هذَا وإِنّ للطاغين لَشَرَّ مآب أي الامرُ هذَا أوْ هذَا كماذُكِرَ وقولهِ هذَا ذِكْرٌ وإِنَّ لِلمُتَّقِينَ لَحُسنَ مآب ومنهُ قولُ الكاتِبِ هذَا بابٌ *وثالثها الانتهاء كقوله

وَإِنّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالمُنَى
وَأَنتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ الجَمِيلَ فَأَهْلُهُ
وَإِلاَّ فَإِنّي عَاذِرٌ وَشَكُورُ

وَأَحسَنُهُ ما آذَنَ بِانْتِهَاءِ الكَلامِ كَقَوْلِهِ

(قيل وهو فصل الخطاب) قال ابن الاثير والذي اجمع عليه المحققون من علماء البيان ان فصل الخطاب هو اما بعد لان المتكلم يفتتح كلامه في كل امر ذي شأن بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج منه الى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد (وثالثها الانتهاء) لانه آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس فان كان مختارا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير وان كان غير مختار كان بخلاف ذلك وربما انسى محاسن ما قبله (كقوله واني) اى قول ابي نواس في

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ * وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

وَجَمِيعُ فَوَاتِحِ السُّوَرِ وَخَوَاتِمِهَا وَارِدَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَكْمَلِهَا يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ مَعَ التَّذَكُّرِ لِمَا تَقَدَّمَ

الخصيب بن عبد الحميد (بقيت) قيل أنه للمعرى (واردة على احسن الوجوه واكملها) فانك اذا نظرت الى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البراعة والتفنن وضروب الاشارة ما قد اصاب المحز وطبق المفصل. واذا نظرت الى خواتمها وجدت من الادعية والوصايا والمواعظ والتحميد والوعد والوعيد وغير ذلك من الخواتم مالا يبقى للنفوس بعده مطمع، وما تسجد لحسنه مصاقع البلغاء • هذا آخر ما يسره الله سبحانه مما اردنا وضعه على هذا الكتاب فى اوقات كنا نختلسها اختلاسا من بين تشعب الاعمال ، وتزاحم الاشغال، فان كنت وفيت بما وعدت فالشكر لله سبحانه على معونته وحسن توفيقه، والا فأحق الناس بقبول عذره واقلال عتبه ، من اوقف نفسه لصناعة التأليف فى زمن فترت فيه همم طلاب العلوم وخارت عزائمهم عن مساعدة المؤلفين وتنشيطهم على الدأب فى عملهم والعناية بصناعتهم ، فان فاتنى ايفاء العمل حقه من الاجر، فلن يفوتنى ان شاء الله اعطاؤه قسطه من العذر، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ؛ ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ؛ ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا : ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير

عبد الرحمن البرقوقي

(فهرست التلخيص)

صحيفه

(تابع الفهرست)

(تنبيه)

وقع في هــذا الكتاب شيء من الخطأ المطبعي أردنا تداركه والاشارة اليه طالبين الى القارئ ان يصحح نسخته عليه لتكون نقية صافية وهذا هو

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١	١٦	تقول لو سليمى	تقول سليمي
١٣	١٦	تريد قتلي	تريدين قتلي
٢٣	٥	ارتدعْ	ارتدعَ
٢٦	١٢	الى ماهو	الى ماهو له
٥٧	١٧	في المشتاةُ	في المشتاةِ
٦٤	١	في قوّةَ	في قوة
٨٣	٣	مَحَلا وان مرتحلاً	مَحَلاً وانّ مُرْتَحَلاَ
٨٥	٢	نحو يزيدَ	نحو يزيدُ
١١١	٥	وكم ذدتُ	وكم ذدتَ
٢٧٤	١	لمعارضة كل من القرب والتفضيل	لمعارضة كل من القرب والتكرار التفصيل
٣٥٧	١	ثم بالآخر الآخر	ثم يراد بضميره الآخر
٣٥٧	٥	وان هُمْ	وان هُمُ
٣٥٧	٦	شَبَوْهُ	شَبُّوهُ
٣٧٠	٢	نحو يكاد زيتها	نحو يكاد في يكاد زيتها
٣٧٦	٢	نَجَى حِذارَك	نَجَّى حِذَارُك
٣٧٦	٤	نَجَى منه انسانُه	نَجَّى انسانَه
٣٨٢	١٣	في الثواب	في الثوب
٤٢٨	٣	واما الحلَّ	واما الحلُّ



وضعها

الشيخ عبد الرحمن البرقوقي لشرحه على التلخيص



﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ﴾

حياطة الدين ملاك الخير ، والتفقه فيه قِوَام السعادة ، وانما السبيل الى هذا معرفة اللغة التى جاء بها ذلك الدين ، ومسالك اللغة علم البيان الذي لولاه لم تر براعة كاتب وخلابة شاعر وذرابة خطيب ، وما كنت تسمع نظما أنيق الظاهر عميق الباطن بل المعاني السوقية والالفاظ المبتذلة التى تعافها الطباع ، وتمجها الاسماع ، والذى لولاه لاستسر اعجاز القرآن (١) ولاستمر به يد الدهر السِّرار ، فيتجذم اذ ذاك حبل الدين ، وتنهار معاذ الله دعائم اليقين

وهذا ما حدا امام اللغة في عصره الشيخ عبد القاهر الجرجاني الى وضع كتابين في هذا العلم دار لهما فلك الفصاحة وبرقت اسارير البيان سمي أحدهما اسرار البلاغة والآخر

(١) استسر من قولهم استسر القمر اى خفى ليلة السرار والسرار آخر ليلة من الشهر ويد الدهر معناه ابد الدهر

دلائل الاعجاز

كتب في هـذا الفن قبل الامام عبـد القاهر جماعة من البلغاء مثل الجاحظ وقدامـة الـكاتب وابن دريد بيدان ذلك الامام هو الذي أخذ بضبعيه وأناف به على اليفاع [١] فهو الذى عين له رسوما يعرج عليها ، وسن له قوانين يعمد اليها ، وأبرز ذلك في كلام لا يقـوم بفصاحتـه لسان ، ولا يَطَّلِعُ فَجَّه انسان [٢]

قام بعد هؤلاء أبو يعقوب يوسف السكاكى : امامٌ فَتَّ في عضده حب الفلسفة [٣] فعمَد الى هذا العلم وقبَعَ في كِسْر بيته [٤] لا يرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه ، ووضع ماوضع

(١) اليفاع ما ارتفع من الارض واناف به على اليفاع واخذ بضبعيه يريد سما به واخذ بيده

(٢) اطَّلَع الارض بلغها والفج الطريق الواسع بين جبلين فى قبل من احدهما

(٣) يقال فت هذا الشيء فى عضده اذا كسر قوته والمراد بلغت منه واستولت عليه

(٤) قبع القنفذ ادخل رأسه في جلده وكذلك الرجل اذا ادخل رأسهُ فى قميصه وكسر البيت جانب الخباء

مما نهج فيه منهج أهل النظر من الحكماء ، لا منهج المطبوعين من البلغاء ، وهو وان فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب وتقريب الاحكام ، فلم يدرك شأوه في لطف الحس وصفاء الديباجة وبراعة الكلام ، فكان وسطاً بين عبد القاهر واضرابه من المتقدمين ، وبين عبد الحكيم واترابه من المتأخرين

نهض بعد ذلك جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب فهذب ماوضعه السكاكي وضم اليه نتفاً مما وضعه عبد القاهر واخرج للناس كتابا هشت له النفوس ، وأصاب منها مواقع الماء من ذي الغلّة الصادي

ظهر حوالَيْ ذلك قوم درجوا من عُش الفلسفة فوضعوا على هذا الكتاب الشروح والحواشي وسلكوا بهذا العلم مسلكا تنكره اللغة ويستهجنه البلغاء فاغمضوا عن اسرار البلاغة وتشبثوا بالفلسفة وحمى بينهم وطيس المناظرة حتى اتوا على الذّماء الباقي من هذا العلم ، وحتى اضحى وقد انهالت دعائمه ، وتنكرت معالمه

كأن لم يكن بين الحَجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

اتى على ذلك حين من الدهر بلغ من هذا العلم نَسيسهُ [1]
حتى اتيح له فى هذا العصر امام تولى الله تأديبه، وارضعه افاويق
حكمته، و اوحى اليه صالح العلم، وأيده بآيات الحق، امامٌ ارسله
الله رحمة للغة والدين، رحمة للغة بما يدبجه يراعه وما يحييه من آثار
المتقدمين، ورحمة للدين بما يبين من صحيحه، ويكشف عن صريحه

فبينا تراه في جحفل من البلاغة والبيان، ينافح كتائب
العيّ بعضْب يمان، ويفْرى احشاء الفهاهة بيراع احدمن السنان [2]
اذا هو فوق منبر التذكير يسوق للناس الرشد في نوابغ الكلم،
وروائع الحكم، فلا يلبث أن يقوّم من اود المائل، ويجتث من
النفوس جذور الباطل [3] وبينا تراه ينقب فى مناجم العلم ليلتقط
من آثار الآباء، ما تكون فيه عبرة الابناء، اذا هو يخرج للناس
من منجم علمه جواهر تزرى بتلك الجواهر، ويبز بها شأو

(١) النسيس بقية الروح ويقال بلغ منه نسيسه اذا اشرف على التلف

(٢) الجحفل الجيش وينافح يضارب اشـد المضاربة والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش ايضا والعضب السيف القاطع استعير هنا للسان ويفرى يقطع والمراد ظاهر

(٣) الاود الاعوجاج ويجتث يقتلع

الاوائل والاواخر

كان من بين ماقرأه علينا حفظه الله كتابا اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لذلك الامام، فما هو الا ان سطع فينا نور هذين الكوكبين حتي استبان لنا سوء ما كنا نعتسف فيه [١] ورحمنا أنفسا انصبناها في غير طائل، ومطايا من العمر انضيناها في سبيل الباطل، وحتى علمنا ان مالدينا من هذا العلم لم يكن الا صُبَابة لاتنقع غلة [٢] ولا تغنى عن رواد البلاغة، وهذا ماحرك النفس الى شرح ذلك الكتاب الذى هو عمدة طلاب البلاغة في هذا العصر وقبلتهم التى يحجون اليها لولا مايعترض سبيلهم من اختصار الجأ المؤلف اليه رغبة ان تكون قواعد هذا العلم على طرف الثمام [٣] والذى عقد عليه أولئك القوم سحبا من الالفاظ حجبت معانيه دون الطالب لتلك الاسرار، كما تحجب الغيوم صفحة البدر دون الانظار، ولم نزل ردحاً من الزمن

(١) الركاب يعتسفن الطريق يخبطنه على غير هداية

(٢) نقع الماء العطش سكنه وهذا الشيء لا يغنى عنك لا ينفعك

(٣) هولاء على طرف الثمام اى هين المتناول

نستخير الله في أن نلج هذا المأزِق[1] المتلاحم حتى خار لنا سبحانه ولدينا من الصبر درع مسردة لا تنفذ فيها السهام، ومن الثقة بالله قَبَس[2] يضيء لنا دُجُنَّات الظلام

اسلفنا ان ثمرة هذا النوع من العلم هي ادراك اعجاز القرآن والوقوف على الاسرار التي بها يرتفع شأن الكلام ويفضل بعضه بعضاً لكن لابد للمرء قبل ذلك ان يحظى برَسٍّ من اللغة[3] ويصيب ذروا من النحو ويرشف الضرَب من لسان العرب[4] ويكون له مع ذلك خاطر كدم في مكدم، وذهن اذا لاقى الضريبة صمم[5] اما النحو فهو معيار لا يتبين نقصان

---

(١) الردح المدة والمأزق المضيق ويقال سرد الردع نسجها وهو تداخل الحلق بعضها في بعض

(٢) القبس جذوة من نار والدُجنة الظلمة

(٣) يقال بلغنى رس من خبر وذرو من قول اى شيء منه

(٤) الرشف المص والضرب العسل الابيض الغليظ والمعنى ظاهر

(٥) كدم فى مكدم اى طمع فى مطمع وقوله وذهن اذا لاقى الضريبة صمم فالضريبة المضروب بالسيف وانما دخلته الهاء وان كان بمعنى مفعول لانه صار فى عداد الاسماء كالنطيحة : يشبه الذهن بالسيف فى المضاء

كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، ومقياس لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه، ومن شذ فيه فقد خمش وجه الكلام وجعل نفسه غرضا لسهام الملام، انظر كيف نعي على ابي نواس حين غلط في قوله يصف الخمر [١]

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

وكيف سلقه الناس بالسنتهم حين قال في الامين محمد [٢]

ياخير من كان ومن يكون الا النبي الطاهر المأمون

وقل لي بعيشك هل يمكن الجاهل به ان يذود عن القرآن فيما عساه ان يخفى من وجوه الاعراب فيدرك ماقاله العلماء مثلا في قول الله جل شأنه ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبون [٣]

---

(١) لان فعلى افعل لا يجوز حذف الالف واللام فيها وانما يجوز حذفهما من فعلى التي لا افعل لها نحو حبلى الا ان تكون فعلى افعل مضافة وههنا عريت عن الاضافة (٢) فانه رفع الاستثناء من الموجب (٣) سيمر بك في الشرح ان الصابئون مرفوع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وان فائدة التقديم التنبيه على ان الصابئين مع كونهم ابين المذكورين ضلالا واشدهم غيا يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم

وما استشهد وابه من قول الشاعر

والا فاعلموا أنا وأنتم بغاة مابقينا في شقاق

واما اللغة والادب فهما مسرح الفصاحة، ومغني البلاغة، نعم وهل يتسنى للقائل ان يعمد الى ما كان من الكلمات عذب النطق سهل اللفظ غير حوشي مهجور، ولا سوقي مردود، وما كان من التراكيب جيد السبك محكم الرصف غير مستكره فج، ولا متكلف وخم، وما كان من التشبيه والمجاز والكناية قد أصاب المحز، ووضع فيه الهناء مواضع النُّقَب، الا اذا ضرب في اللغة بسهم، وجرى في أساليبها على عِرْق [1] وهل يتأتى للرجل ان يدرك اعجاز القرآن، وتبريزه على سائر الكلام، حتى يلم بجميع ضروبه، ويسبر سائر أساليبه

ولقد افضى الجمود بقوم الى ان بخسوا الادب حقه، ولم يوفوه من الاعظام قسطه، حتى صوّحت لديهم زهرته، وذوَتْ بينهم

(١) يقال فلان يصيب بكلامه المحز ويضع الهناء مواضع النقب اذا كان ماهرا مصيبا • والهناء القطران والنقب جمع نقبة وهي اول ما يبدو من الجرب قِطَعا متفرقة : والعِرق الاصل والمعنى ظاهر

نَضرته [١] وصار من يحاول العلم منهم فانما يرتوي من آجن، ويكتنز من غير طائل، الم يعلموا أن العلوم عيال عليه، وان الشريعة مفتقرة اليه، وان مثلها ومثله قول ابي الاسود الدؤلي

فالا يكنها او تكنه فانه ... اخوها غذته امه بلبانها

وهل بلغ ائمة الدين هـذه المنزلة فَهْمَ اغراض القرآن ومعرفة اسرار الشريعة، الا بعد ان قبضوا على خزائم الادب. والقيت اليهم مقاليد اللغة، الم يكن مما نجم عنه تعدد الآراء بينهم أن كان احدهم يروى من كلام العرب مايروى الآخر غيره. هذا لفظ القَرء مثلا ذهب مالك رحمه الله الى انه الطهر وحجته في ذلك قول الاعشى

افي كل عام انت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحى رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وذهب ابو حنيفة رحمـه الله الى انه الحيض ومستنده قول الراجز

يارب ذي ضغن على فارض ... يُرَى له قَرء كقرء الحائض

---

(١) صوحت الزهرة يبست وذوي البقل ذبل

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم قصوا الشارب وأعفوا اللحى.
قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون قصروا وانقصوا
حجة من ذهب الي التكثير قول جرير

ولكنا نعض السيف منها ... باسوق عافيات اللحم كوم (١)

وحجة من ذهب الى التقصير قول زهير

تحمل أهلها منها فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء

ومثل هذا كثير لا يكاد يحصيه الاستقصاء، حتى لقد اختصه
العلماء بالتأليف وافردوه بالكتاب، اللهم ان الصاد عن معرفة
اللغة واسرار العربية صاد عن تعرف كتابك، واسرار شريعتك
فسواء من أعدم الناس الدواء الذي يشفي من الداء، وتستبقي به
حشاشة الانفس، ومن اعدمهم العلم بان فيه شفاء، وان لهم فيه
استبقاء، اين انت ايها الفاروق الذى قلت حين تلوت قول الله
جل شأنه افأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم
الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم

(١) منها اى من النوق والاسوق جمع ساق والكوم جمع كوماء وهى
الناقة العظيمة السنام • يقول انه يعقر النوق العظيمة بالسيوف

على تخوف ثم قلت لاخوتك المؤمنين ماتقولون فيها فنهض ذلك الهذلي وقال هذه لغتنا التخوف التنقص وانشد قول ابي كبير يصف ناقته

تَخَوَّفَ الرحلُ منها تامكاً قَرِدًا كما تخوف عودَ النبعةِ السَّفَنُ (١)

فقلت عليكم بديوان العرب فان فيه تفسير كتابكم . مَنْ لي بك لتنظر حال القائمين بامر الدين الآن، وازدراءهم للغة القرآن، حتى بلغ بهم الامر انهم يرمون البلغاء بالسخف، ويتهمونهم بالزيغ عن الجادة، اللهم ان هذا خذلان فادركنا برحمتك وهيء لنا من أمرنا رشدًا

الى هنا علمت ان البلاغة لايسلس قيادها الالمن شدا في الادب وعلوم النحو والصرف واللغة وهذا النوع من العلم علم اسرار البلاغة ولطائف الفصاحة المسمي بعضه علم المعاني وبعضه الآخر علم البيان ومن ثم قال البيانيون ان البلاغة مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته اذ لا يكون ذلك

---

(١) تامكا اى سناما عظيما والقرد الذى اكله القراد والسفن الحديد الذى ينحت به وهو المبرد يقول ان الرحل اثر فى سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود

الا بوساطة هذه العلوم كما ستعرف وحيث انتهى بنا الحديث
الى هذا الموضع وجب علينا ان نوفي القول في الفصاحة والبلاغة
حقه من البيان

ولع الناس قديما بامر الالفاظ ولوعا صرفهم عن جادة الاعتدال
وجاربهم عن قصد السبيل ، فعكفوا على العبارات المزخرفة
والالفاظ المفوفة، والتراكيب الضخمة، والجمل الفخمة ، وكادوا
يقصرون الفصاحة على هذا النوع من الحسن ويذهبون الى
ان ذلك هو الذي يرتفع به شأن الكلام ويفضل بعضه بعضا
ويبعد الشأن في ذلك حتى ينتهي الامر الى الاعجاز والى ان
يخرج من طوق البشر جميعا ، فانبرى لهم الشيخ عبد القاهر
رحمه الله وارهف عليهم لسانا اخرس الشقاشق، [1] واعدم نطق
الناطق، واسال الوادي عليهم عجزا ، واخذ منا فذ القول عليهم
اخذا ، فنادى بفساد مذهبهم هذا وانه قد يفضي الى انكار اعجاز
القرآن وان ذلك وحده لا تثبت به فضيلة ولا يشف عن

(١) الشقاشق جمع شقشقة وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ويقال للفصيح هدرت شقاشقه يريدون قوة البيان ويقال في خلاف ذلك خرست الشقاشق

براعة خاطر، وانما الذى يدل على بعد الغور ودقة الفكر ويرتقي به الكلام حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع وتحسر الظنون وتستوي الأقدام في العجز هو تلك الاسرار والدقائق التى وضع لها كتابيه اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز.

ذهب هذا الامام الى ان معترك البلاغة الذى تظهر فيه الخواطر براعتها، والبلغاء منتها[1] هو عند توخي تلك الاسرار والمعانى فيما بين الكلم على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام، فالبليغ هو الذي يضع كلامه الوضع الذى تقضتيه تلك المعاني ولا يخل بشيء منها، فينظر مثلا الى الوجوه التى تراها في قولك زيدمنطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد ومنطلق زيدوزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وفى الشرط والجزاء الى الوجوه التى تراها في قولك ان تخرج اخرج وان خرجت خرجت وان تخرج فانا خارج وانا خارج ان خرجت وانا ان خرجت خارج وفي الحال الى الوجوه التي تراها في قولك جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع او هو يسرع وجاءني

(١) المنة القوة

قد أسرع وجاءني وقد أسرع فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معني ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في حاق معناه نحو أن يجيء بما في نفي الحال وبلا اذا اراد الاستقبال وبان فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون وباذا فيما علم انه كائن وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء وموضع الفاء من موضع ثم وموضع او من موضع ام وموضع لكن من موضع بل وينظر في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على وجهه : ثم انه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في انفسها ومن حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بحسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض فليس اذا راقك التنكير مثلا في سؤدد من قول البحتري

تنقل في خلقيْ سؤدَد   سماحا مرجّي وبأسا مهيبا

وجب ان يروقك ابدا وفي كل شيء بل ليس من فضل ومزية الا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذى تريد، وانما سبيل هذه المعاني سبيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش فكما انك ترى الرجل قد تهدّى في الاصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج الى ضرب من التخير والتدبر فى انفس الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه اياها الى مالم يتهد اليه صاحبه فجاء نقشه من اجل ذلك اعجب، وصورته اغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر فى توخيهما معاني النحو ووجوهه

وزبدة القول ان الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وكل ماشا كل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين عن بعض من حيث راموا ان يعلموا السامعين مافي نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم انما هى الفاظ مترادفة لا معنى لها غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ثم تبرجها في صورة هى ابهي وازين، وآنق واعجب، واحق بان تستولى على هوى النفس ،

وتنال الحظ الاوفر من ميل القلوب، واولى بان تطلق لسان الحامد وتطيل رغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير ان يؤتى المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذى هو أخص به، وأكشف عنه واتم له، واحرى بان يكسوه فضلا، ويكسبه نبلا واذن فمرجعها النظم والكلام دون الالفاظ المجردة والكلمات المفردة

وقد استظهر عبد القاهر لهذا بعدة امور منها انك ترى الكلمة تؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك فى موضع آخر كلفظ الاخدع في بيت الحماسة

تلفتُّ نحو الحي حتى وجدتني　　وجعت من الاصغاء لِيتاً واخدعا

وبيت البحترى

واني وان بلغتني شرف الغنى　　واعتقت من رق المطامع اخدعى

فان لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن ثم انك تتأملها في بيت ابي تمام

يادهر قوّم من اخدعيك فقد　　اضججت هذا الانام من خُرُقك [1]

---

(١) الخرق بالضم العنف وكذلك الحمق والجهل وضم الراء للشعر ويريدون بتقويم الاخدعين • وهما عرقان فى صفحتي العنق كاللّيتين • ازالة الكبر والعنف

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير اضعاف ما وجدت هناك من الرَّوح والخفة ، والايناس والبهجة ، وهذا باب واسع فانك تجد الرجلين قد استعملا كلما باعيانها ثم ترى هذا قد فرع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة اذا حسنت حسنت من حيث هى لفظ واذا استحقت المزية والشرف استحقت في ذاتها وعلى انفرادها دون ان يكون السببَ في ذلك حال لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال ولكانت اما ان تحسن ابدا اولا تحسن ابدا

ومنها انك لا تشك اذا فكرت في قوله تعالى : وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين : فتجلى لك منها الاعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع انك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وأن لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا الى ان تستقر بها الى آخرها

وان الفضل تناتج ما بينها وحصل من مجموعها وكذلك اذا نظرت الى قول ابن المعتز

سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير

فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تم لها الحسن وانتهى الى حيث انتهى بما توخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير وتجدها ملحت ولطفت بمعاونة ذلك وموازرته لها وان شككت فانظر الى الجارين والظرف فازل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل . سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره . ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم اريحيتك التي كانت، والنشوة التي كنت تجدها

ومنها غير ذلك مما اثبتناه في غير هذا الموضع من الكتاب

اما المتأخرون كالسكاكي والخطيب وابن الاثير فهم: اذا الطفت النظر وامعنت الفكر: ممن سلكوا طريقة عبد القاهر وقفوا إثره ذاك لانهم لم يقصروا الفضيلة على هذا النوع من الحسن تلاؤم الحروف وسلاسة الالفاظ بل جعلوا ذلك وجها من

وجوه الفضيلة ودا خلا في عداد ما يفاضل به بين كلام وكلام
وبينوا ان قِوام الشرف والنُّبل هو تطبيق الكلام على مقتضي
الحال الذي عبر عنه الشيخ بتوخي معاني النحو فيما بين الكلم
على حسب الاغراض التى يصاغ لها الكلام . بيد انهم عمدوا
الى الفصاحة واخرجوها من حيز البلاغة وجعلوها اسما لما
كان بنجوة من تنافر الحروف وغرابة الالفاظ ومخالفة ماثبت
عن الواضع وتنافر الكلمات والتعقيد في النظم والمعنى ومخالفة
القانون النحوي وجعلوا البلاغة اسما لما كان مطابقا لمقتضى
الحال مع فصاحته وهذا غير قادح في ماذهب اليه الشيخ
هذا وما كلف الشيخ رحمه الله بشأن النظم والتنويه بتلك الاسرار
حتى طال بكلامه الامد، وحتى كاد يتجاوز غاية الافصاح الى
نهاية الاملال ، الا لما عنى به ووضع لاجله كتابه دلائل الاعجاز
من ازالة ما كان يعلق بالاذهان كافة فى عصره من الخطأ في
وجه اعجاز القرآن (وبعد) فمن المعروف ان القرآن تحدى العرب
الى معارضته واخذهم بالاتيان بمثل اقصر سورة منه فما كان الا ان
استولى عليهم العجز، وبلغ منهم العي وخرست السنهم فما تحير

مقالا، وخلدت قرومهم فما تستطيع صيالا، وآية ذلك فرارهم
الى شبا الاسنة واقتحامهم غمرات الموت ولو كان لهم عنها محيص
لابتغوا اليه سبيلا، بيد ان للعلماء في وجه الاعجاز مذاهب لا تتعدى
اربعا فذهب بعض الى ان الله سبحانه ما انزل القرآن ليكون حجة
على النبوة بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الاحكام والعرب
انما لم يعارضوه لان الله تعالى صرفهم عن ذلك وسلب علومهم
به : وذهب فريق الى ان اعجازه في ان له اسلوباً يختص به
ويتميز في تصرفه عن اساليب الكلام المعتاد وذلك ان
الطرق التي يتقيد بها الكلام المنظوم تنقسم الى اعاريض الشعر
على اختلاف انواعه والى الكلام الموزون المسجع والى ما يرسل
ارسالا واسلوب القرآن مباين لهذه الطرق خارج عن هذه
الوجوه لا سيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون ويؤمنون :
وذهب ثالث الى ان اعجازه في ان اشتمل على الغيوب ومالم
تلم به علوم الناس من اخبار من مضى واحوال مستقبل الايام
وذهب آخرون الى انه معجز بفصاحته ووافقهم على ذلك الشيخ
عبد القاهر الا انه خالفهم في ما ذهبوا اليه من تفسير الفصاحة
بالمزايا اللفظية التي تعاور الكلام كالتشبيهات والاستعارات

والكنايات وارسال المثل والجناس والتورية وكل انواع الصناعة اللفظية وفسرها هو بتوخي معاني النحو واسرار التركيب وترتيب الكلام حسبما تقتضيه المقاصد والاغراض، وقال ان هذا هو وجه الاعجاز في القرآن وهذه هي المزية التي امتاز بها عن سائر الكلام فأما التشبيهات والاستعارات واخواتها فمزايا يشاركه فيها كل كلام العرب، وما سمع عن احد من العرب ممن أعجب بفصاحة القرآن انه طرب لتشبيه اودهش لتمثيل او عجب لجناس او تورية او صعق لسماع مثل غريب و نكته بديعة، وما كان يروعهم ويملك عليهم مشاعرهم غير تلك الاسرار والمعاني التي سلك فيها القرآن مسلكا خرج عن طوق البشر فما عارضه معارض ولا حدث نفسه محدث بل ظلوا حياري هائمين يقولون سحر نعم انه السحر الذي يأخذ بمجامع القلوب ويملك الحواس ويختلب الالباب، ولعل الافاضة في هذا البحث وايفاءه حقه من البيان يخرج بنا عن موضوع هذه المقدمة فلنمسك بعنان القلم ونكله الى كتبه الخاصة به فهناك البيان الواسع والافاضة الوافية والله ولي التوفيق

عبد الرحمن البرقوقي

كلمة في التقاريظ

جرت عادة المؤلفين في هذه الايام ان يلجؤا في ترويج ما يؤلفون الى الاكثار من التقاريظ وكلمات المدح والاطراء من اعاظم الرجال واكابر العلماء. وانا نعتقد ان احسن ما يقرظ الكتاب هو ما ينطوي عليه ان خيراً فخير ، وان شراً فشر ، واذا لم يكن من التقريظ بد فهذه كلمة للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي مصر ، ونابغة هذا العصر ، قال حفظه الله

ليست البلاغة في الحقيقة الا ملكةَ البيان وقوةَ النفس على حسن التعبير عما تريد من المعنى لتبلغ من مخاطبها ماتريد من أثر في وجدانه يميل به الى الرغبة فيما رغب عنه ، او النفرة مما كان يميل اليه ، أو تمكين ميل الى مرغوب ، أو تقرير نفرة من مكروه ، أو تحويل في اعتقاد أو تغيير لعادة أو مايشبه ذلك مما يقصد بالخطاب : وذوقَ النفس كذلك لمحاسن ماتسمعه ، أو وجوه النقد فيما يلقى اليها ، هذه هي البلاغة فى حقيقة الامر

وضعوا علوما ليصل محصلها الى امتلاك تلك الملكة أحكم قواعدها عبد القاهر الجرجانى وتبعه من جاء بعده على نوع من التحرير والتنقيح وجاء صاحب التلخيص بمجمل ماينبغي تنبيه النفس اليه من أسرار

تأليف الالفاظ ليكون المحصل لذلك المجمل على بصيرة من وجوه التعبير
شرحه كثير من الناظرين في الفن وتعلق الاغلب بلفظه ولم ينظروا
الغاية من وضعه فصرفوا الوقت فيه وفاتتهم البلاغة نفسها بجميع
مقاصدها فلا هم يحسنون اذا كتبوا ، ولا هم يقنعون اذا خطبوا ولا هم
يحسنون الاستماع اذا خوطبوا كما هو معروف لانفسهم ولكل من يعرفهم
شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي واطلعت على نموذج من شرحه
فوجدته كافيا في تبيين معنى ما فى الكتاب موجها نظر الناظر فيه الى
ما قصد منه :ولا حاجة بالسائر الى الغاية من الفن الى ما هو أكثر مما
جاء فيه وانما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ومزاولة كلام
البلغاء ، وكسب أساليب الفصحاء ، حتى يتم له من شأنه ما يريد ،
ويشهد له كلامه قبل ان يشهد هو لنفسه ، وليس لكلامه ان يشهد
حتى يروق العلم وأهله ، وعدوّه وخاله ، وأسأل الله ان ينتفع بهذا الشرح
مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه . محمد عبده





